فرسان الخلافة

في العصر العباسي الأول

الدكتور / عبد الباري محمد الطاهر
كلية الدراسات العربية والإسلامية
جامعة القاهرة

بحث يتتبع «الأتراك» منذ كانوا في مواطنهم الأولى (بلاد ماوراء النهر) قبل الإسلام ويسير معهم مبيناً كيف أصبحوا فرسان الخلافة في العصر العباسي الأول

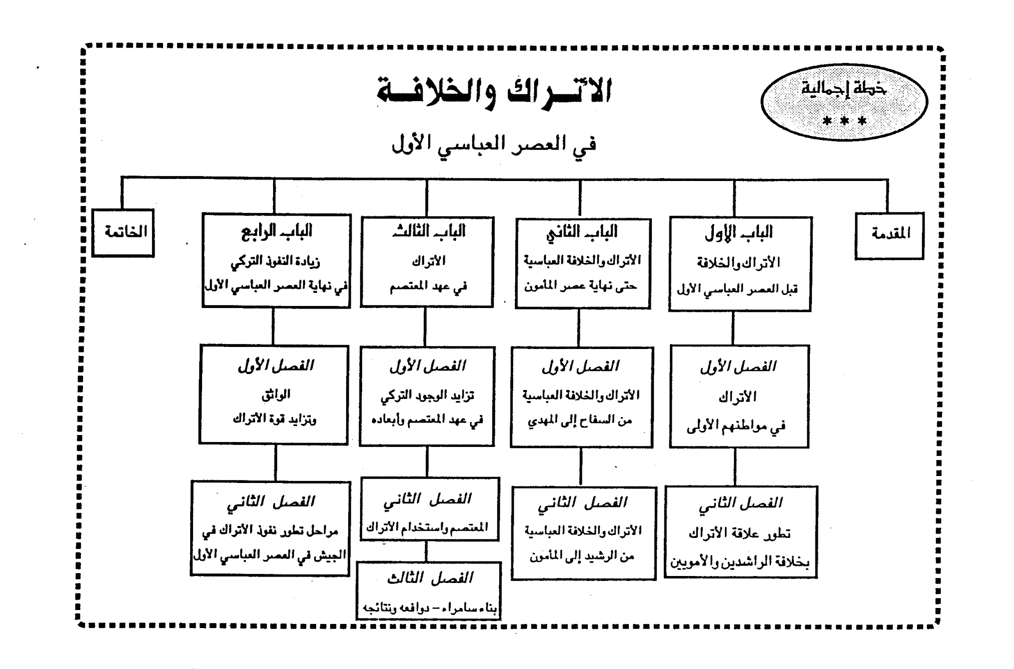
الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.



فرسان الخلافة

في العصر العباسي الأول


خطة إجمالية
* * *
الأتـراك والخلافـة
في العصر العباسي الأول
المقدمة
الباب الأول
الأتراك والخلافة
قبل العصر العباسي الأول
الفصل الأول
الأتراك
في مواطنهم الأولى
الفصل الثاني
تطور علاقة الأتراك
بخلافة الراشدين والأمويين
الباب الثاني
الأتراك والخلافة العباسية
حتى نهاية عصر المأمون
الفصل الأول
الأتراك والخلافة العباسية
من السفاح إلى المهدي
الفصل الثاني
الأتراك والخلافة العباسية
من الرشيد إلى المأمون
الباب الثالث
الأتراك
في عهد المعتصم
الفصل الأول
تزايد الوجود التركي
في عهد المعتصم وأبعاده
الفصل الثاني
المعتصم واستخدام الأتراك
الفصل الثالث
بناء سامراء – دوافعه ونتائجه
الباب الرابع
زيادة النفوذ التركي
في نهاية العصر العباسي الأول
الفصل الأول
الواثق
وتزايد قوة الأتراك
الفصل الثاني
مراحل تطور نفوذ الأتراك في
الجيش في العصر العباسي الأول
الخاتمة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين، وبعد...

فإن التاريخ شعاع من الماضي ينير للإنسانية مستقبلها، ويعطيها الثقة في نفسها لتسير قدماً إلى غد مشرق موفق بعون من الله.

والتاريخ الإسلامي بصفة خاصة له قيمة كبيرة فوق كونه شعاعاً ينير المستقبل، هذه القيمة تكمن في كونه خلاصة تجارب أمة لها ميراث خاص ينبع من مشكاة النبوة، فخير القرون هو القرن الذي عاش فيه رسول الله ﷺ وذلك القرن هو المثل الأعلى الذي يحتذى به ويُهتدى بهداه.

ولقد حظى العصر العباسي الأول بعناية فائقة من كثير من الباحثين، لدرجة أنه خصصت دراسات حول هذا العصر، بل حول جوانب محددة منه[١] .

وإذا كان عصر الخلفاء الراشدين وعصر بني أمية قد وسّعا محيط العالم الإسلامي ونشرا

---

(١) مثال ذلك:

١- التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول:
رسالة دكتوراة من مجاهد مصطفى بهجت (١٩٧٥م) الأزهر.

٢- تطور نظام الوزارة من بداية العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري:
رسالة ماجستير من : سامية توفيق عبد الله (١٩٧١م) جامعة القاهرة.

٣- الحالة العلمية في صدر الدولة العباسية:
رسالة دكتوراه من : محمد السيد أحمد إسماعيل خليفة - الأزهر.

٤- دراسات في تاريخ العرب في العصر العباسي الأول:
للدكتور السيد عبد العزيز سالم.

=

به أفانين الفكر الإسلامي ومبادئه وتشريعاته، فالعصر العباسي الأول أضاف للثقافة العالمية، ورفع مشعل الترجمة، وجعل العالم الإسلامي مركز النور والمعرفة للعالم كله بحفظ تراث الإنسانية، وكان هذا التراث على وشك أن يفنى، ولعل هذا ما جعل الباحثين يقبلون على هذا العصر بمزيد من الدراسات.

ومع وجود هذه الدراسات الجيدة في جوانب متعددة من العصر العباسي الأول فقد وجدت جانب علاقة الأتراك بالخلافة في هذا العصر يحتاج إلى مزيد من الدراسة، وبخاصة أنه قبيل نهاية هذا العصر تزايد الوجود التركي، وازداد نفوذ الأتراك، وعلا شأنهم، وعظم سلطانهم، وأصبح لهم أثر بالغ في تسيير الحياة السياسية في البلاد.

ولما كان أول نفوذ فعلي للأتراك مع نهاية العصر العباسي الأول، رأيت أن أتتبع جذور الأتراك وتطور نفوذهم في الدوله الإسلامية فجاءت فكرة عنوان البحث وهو:

(الأتراك والخلافة في العصر العباسي الأول)

ومن هنا نبدأ بالتعريف بعنوان البحث:

الأتراك: وأعني بهم كل العناصر الأجنبية التي جاءت من بلاد ما وراء النهر (نهر جيحون)، والتحقت بالدولة الإسلامية، باعتبار أن بلاد ما وراء النهر كانت موطن الأتراك.

والخلافة: وأعني بها السلطة، وكل ما يتعلق بها من شئون الدولة المختلفة.

= ٥- شبهات حول العصر العباسي الأول:
مقدمة رسالة دكتوراة من: مؤيد فاضل (١٩٧٨م) - الأزهر، وقد طبعت في كتاب نشر دار الوفاء - المنصورة.

٦- العباسيون الأوائل - دراسة حتى بداية عهد الرشيد.
للدكتور فاروق عمر - ط: دار الارشاد - بيروت.

٧- العصر العباسي الأول:
للدكتور عبد العزيز الدوري.

٨- معاهدا لتعليم في العصر العباسي الأول:
رسالة دكتوراة من: أبي العينين محمد أبي العينين نجم (١٩٢٧م) الأزهر.

٩- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - الجزء الثالث - الخاص بالعصر العباسي الأول.
للأستاذ الدكتور أحمد شلبي ط: دار النهضة المصرية.

في العصر العباسي الأول: وأعني به منذ سنة ١٣٢هـ حتى ٢٣٢هـ.

أهمية موضوع البحث:

مما لاشك فيه أن أي موضوع تكمن أهميته من وجهة نظري في جانبين:

الجانب الأول: مدى جدّة هذا الموضوع بين الدراسات المتخصصة.

الجانب الثاني: مدى الفائدة المرجوة من عرض مثل هذا الموضوع.

وأحسب أن موضوع (الأتراك والخلافة في العصر العباسي الأول) قد وفى الجانبين معاً.

فأما من حيث جدّة الموضوع فهو جديد من حيث التناول والعرض، فإنه كما سبق أن أوضحت كانت هناك دراسات في العصر العباسي الأول، ولكن هذه الدراسات قد تعمقت في جوانب أخرى غير الجانب الذي يُعرض في بحثنا هذا، وهو علاقة الأتراك بالخلافة العباسية.

وهذا ليس قدحاً في الدراسات الأخرى، وإنما حسبي أن أكون قد أضفت إلى المكتبة التاريخية، وبخاصة في العصر العباسي الأول شيئاً جديداً، ووضعت نفسي على ثغرة من ثغرات البحث التاريخي.

وأما من حيث مدى فائدة هذا الموضوع، فلعل النتائج التي سأتعرض لها إن شاء الله في الخاتمة توضح شيئاً من ذلك.

ورغم هذا يمكنني التعرض لبعض الفوائد التي أرجو أن أوفق في إبرازها من خلال عرض هذا البحث.

أولاً: إن جذور العلاقة بين الأتراك وبين الدولة الإسلامية لم تكن واضحة إلى حد بعيد، وأحسب أن هذا البحث قد ألقى الضوء عليها.

ثانياً: إن سحب الحكم الخاص بفرد من الأتراك على جنس الأتراك من الخطأ الذي لاجدال فيه، كما أن تبرئتهم تماماً من الخطأ أمر غير مقبول.

ثالثاً: إن جمع كل ما يتعلق بعلاقة الأتراك بالخلافة – ولو مختصراً – حتى نهاية العصر العباسي الأول، أمر من الأهمية بمكان، لأنه يرفع عن الباحثين كثيراً من العناء.

رابعاً: إن معرفة حقيقة التاريخ الإسلامي في العصر العباسي الأول والثاني لاتكتمل إلابمعرفة الدور الحقيقي للإسلام في تحويل الأمم التي كان لها تأثيرها في هذا التاريخ.

وإن دراسة أحوال الأمم التي دخلت الإسلام قبل دخولها فيه لمن الأمور المهمة، لأن ذلك يفسر لنا كثيراً من المسائل والأحداث الغامضة التي تحدث في وقت ما.

وقد كانت دراسة أحوال الترك قبل اتصالهم بالإسلام، وكيف كانوا من الأمور المهمة لتفسير الكثير من أحداث التاريخ الإسلامي. ولذلك تعرضنا لعادات ومعتقدات الترك قبل الإسلام في هذا البحث.

كلمة عن المصادر والمراجع:

تنقسم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها إلى نوعين:

النوع الأول: مصادر ومراجع أساسية وبلغة الفقهاء: أصل في بابها.

النوع الثاني: مصادر ومراجع مساعدة، وهي التي كانت الاستفادة منها أقل بكثير من سابقتها.

أولاً: المصادر والمراجع الأساسية:

إن من مصادر البحث الأساسية ما دار حول واحد من موضوعات البحث بشكل مباشر وفيما يلي نبذة سريعة عن بعض ذلك:

١- رسائل الجاحظ (رسالة مناقب الترك أو فضائل الترك):

لقد ظل موضوع الأتراك: من أين جاءوا؟ ولم سموا تركاً يشغل تفكيري مدة من الزمن حتى عثرت على كتاب رسائل الجاحظ الذي حققه الأستاذ عبد السلام هارون، وكانت أول رسالة في هذا الكتاب هي رسالة (فضائل الترك) أو (مناقب الترك).

ولا شك أن الجاحظ الذي كان ذا شهرة واسعة في المجالين الفكري والتربوي استطاع أن يعرض صورة حية عن صفات وعادات الأتراك الذين أصبحت لهم مكانة سامقة في الحياة السياسية في ذلك الوقت.

2- تاريخ الترك في آسيا الوسطى لبارتولد:

غير أن موضوع الأتراك ظل بحاجة إلى المزيد من الوضوح، فكان توفيق الله لي بالعثور على كتاب تاريخ الترك في آسيا الوسطى للمستشرق بارتولد، والذي قام بترجمته إلى العربية الدكتور أحمد السعيد سليمان، وقد أمدني هذا الكتاب بمعلومات جيدة، ولم يكن سهل العرض، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن الكتاب كان مجموعة من المحاضرات قد ألقيت في تركيا بين طلاب الجامعة، فكان يعوز الكتاب التركيز على الفكرة وإبراز جوانبها، فضلاً عن صعوبة الترجمة أحياناً.

3- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي لبارتولد:

ثم حصلت على كتاب تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي لنفس المستشرق بارتولد، وكان هذا الكتاب بحثاً لنيل درجة الدكتوراة، وقد أمدني بكثير من المعلومات التي جمعها المؤلف فيه، غير أن هذا الكتاب يكاد يكون كتاباً جغرافياً بالدرجة الأولى.

4- مجلة عالم الفكر:

ومع كل هذا ظل الموضوع في حاجة إلى المزيد، فوقعت على مقالات جيدة في مجلة عالم الفكر، لكل من الأستاذين سعد زغلول، وإبراهيم الداقوقي، وكانت مفيدة في مجال بحثي غير أني لم آخذ منها إلا النزر اليسير.

5- تركستان .. قلب آسيا لعبد العزيز جنكيز خان:

وأثناء عملي كمحاضر في الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد، أمدني بعض الطلاب بكتب عن تركستان الغربية والشرقية، كان من بينها كتاب تركستان قلب آسيا – لعبد العزيز جنكيز خان، وقد أفدت من هذا الكتاب إفادة جمة، لأن مؤلفه قد عرض لمعلومات استمدها من مصادر صينية.

6- العلاقات بين العرب والصين لبدر الدين حي الصيني:

وأمدني هذا الكتاب بمعلومات طيبة، وبخاصة ما كان حول علاقة المسلمين بالصين، وصلة الصين بالترك.

7- تاريخ الطبري، ومروج المسعودي وتاريخ ابن الوردي:

وقد اطلعت على الروايات التي ساقها الطبري والمسعودي وابن الوردي عن أصل الترك، ولكني اختصرت هذا كله، وأشرت فقط إلى المواضع التي يمكن الرجوع إليها لمعرفة المزيد من التفصيلات حول جذور الأتراك، وذلك لأن معظم الروايات التي ذكرها هؤلاء المؤرخون وبخاصة ما يرجع منها إلى أن نسبة الترك ليافث بن نوح - روايات تفتقر إلى الدليل.

8- كتب التفسير والحديث:

ولم أترك كتب التفسير والحديث، حيث ورد اسم الترك في كثيرمن هذه الكتب، ولكني وجدت آراء متناقضة وروايات متعارضة في كتب التفسير أضربت عنها صفحاً منعاً للإطالة.

أما كتب الحديث، فلم أرد أن أتعرض للأحاديث التي ذكرت اسم (الترك) بتفصيلاتها، لأن ذلك كان يتطلب الدخول في مجال من البحث يبعد بي عن جوهر الموضوع الذي أعيش معه.

9- كتب الفتوح:

أما بخصوص الفتوحات الإسلامية في الجناح الشرقي من أرض الخلافة عموماً، وفي بلاد ما وراء النهر بصفة خاصة، فإن كتاب فتوح البلدان للبلاذري (٢٧٩هـ) وتاريخ اليعقوبي (٢٨٧هـ) قد أمداني بمعلومات ضافية في هذا الجانب.

وساعدني في ذلك من الكتب الحديثة أيضاً كتاب الفتوحات الإسلامية للشيخ دحلان، وكتاب الدكتور شكري فيصل عن حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري وكتاب قتيبة بن مسلم لبسام العسلي.

10- الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري:

وكان لكتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (٢٨٢هـ) أهمية خاصة لما كان يضيفه من معلومات لاتوجد عند غيره من المؤرخين.

11- الكتب الجغرافية:

وأما الكتب الجغرافية، فقد أفدت كثيراً من كتاب البلدان لابن الفقيه الهمداني، والبلدان لليعقوبي، ومعجم البلدان لياقوت، ومسالك الممالك للأصطخري، وأحسن التقاسيم في معرفة

الأقاليم للمقدسى، وغير ذلك من الكتب الجغرافية التي قدمت مادة جغرافية، بل وتاريخية في أغلب الأحيان عن الجناح الشرقي عموماً من أرض الخلافة.

والجدير بالذكر أني قد أخذت من كتاب بلدان الخلافة الشرقية للمستشرق كي لسترنج، الذي قدم مادة جغرافية تاريخية مفصلة عن أراضي الخلافة الإسلامية وبخاصة عن بلاد ما وراء النهر.

12- مصادر تحدثت عن علاقة الأتراك بالخلافة:

ولاشك أن من أهم المصادر التي تعرضت لموضوع علاقة الأتراك بالخلافة كتاب: تاريخ اليعقوبي، وتاريخ الطبري، ومروج الذهب والتنبيه والإشراف للمسعودي، والأخبار الطوال لأبي حنيفه الدينوري – وتاريخ ابن الوردي، وتاريخ ابن العمراني، والكامل في التاريخ لابن الأثير، وتاريخ ابن الكازروني، وتاريخ ابن خلدون، والولاة والقضاة لأبي عمر الكندي، والبداية والنهاية لابن كثير، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، وغير ذلك من المصادر التي كانت تضيف دائماً معلومات جديدة تثري البحث.

مع ملاحظة أن المصادر السالفة الذكر لم تعالج علاقة الأتراك بالخلافة كموضوع مستقل، مما كان يجعل مهمة الباحث شاقة.

13- كتب عن سامراء:

وقد أمدني بمعلومات إضافية عن سامراء كتب: سامراء في أدب القرن الثالث الهجري ليونس السامرائي. ومآثر الكبراء في تاريخ سامراء للشيخ ذبيح الله، والعوامل التاريخية لنشأة المدن العراقية لمصطفى الموسوي.

14- مراجع حديثة تحدثت عن علاقة الأتراك بالخلافة

ومن هذه المراجع الحديثة: كتاب الشيخ محمد الخضري عن الدولتين الأموية والعباسية وكتب أستاذنا الدكتور أحمد شلبي، وبخاصة موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، وكتب الحضارة الإسلامية ومقارنة الأديان، وبخاصة الجزء الثاني الذي يتحدث عن المسيحية، وغير ذلك من المؤلفات الكثيرة التي تتسم بطابع منهجية العرض والتحليل.

ثانيا: المصادر والمراجع المساعدة:

وهذه المصادر والمراجع كثيرة ومتنوعة، فمن ذلك كتب اللغة، مثل تاج العروس للزبيدي، والقاموس المحيط للفيروزابادي، ولسان العرب لابن منظور، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، وغير ذلك، وكتب الأدب، مثل كتاب الأغاني للأصفهاني، وكتاب عيون الأخبار لابن قتيبة، وزهر الآداب وثمرة الألباب للحصري. وكتب ودواوين الشعر، مثل ديوان البحتري، وديوان دعبل الخزاعي، وديوان أبي تمام، وغيرها.

كذلك الكتابات الحديثة التي كانت تشير من طرف بعيد إلى موضوعات البحث مثل تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ أبي زهرة، وغيره.

من المشكلات التي واجهتني:

ولقد واجهتني مشكلة أثناء بحثي كانت هذه المشكلة متمثلة في اختلاف الطبعات التي رجعت إليها في المكتبات المصرية والمكتبات الباكستانية، وكم أرقتني هذه المشكلة حتى وفقني الله للتغلب عليها في معظم أنحاء الرسالة، ولم يبق إلا القليل من المصادر التي اعتمدت فيها على طبعتين مختلفتين، واضطررت لتسجيل ذلك في الهامش عند كل موضع.

المصطلحات:

ولعل من بين ماواجهني أثناء بحثي وجود بعض المصطلحات التي اختلفت مدلولاتها قديماً عنها حديثاً.

على سبيل المثال كلمة (عامل)، فإنها كانت تحمل قديماً معنى مسئول أو أمير منطقة من المناطق، وهو يشبه إلى حد ما (المحافظ) في عصرنا الحاضر، وأما كلمة (عامل) في العصر الحديث فهي تحمل معنى الذي يقوم بعمل ما في مصنع أو معمل أو غير ذلك، وربما قصد بها الرجل الذي يعمل في أعمال النظافة.

وكلمة (الحاجب) وكان الحاجب هو رئيس الحرس الخاص، والذي بيده أمر دخول وخروج الناس للخليفة، وكانت للحاجب مكانة رفيعة في الماضي، لأن مهنته كانت عظيمة فهو بمثابة نائب

الخليفة، أما في العصر الحاضر، فالحاجب هو ذلك الرجل الذي يقف في المحكمة لينادي على القضايا وأصحابها.

وكذلك كلمة (الخادم)، فقد كان (الخادم) منصباً شرعياً ذا قيمة عالية أما الآن فكلمة الخادم تحمل معنى وضيعاً.

أما (المرتزقة) فكانوا جنوداً رسميين في الجيش، ولكن هذا المصطلح قد اكتسب معنى آخر، وهو الأجراء.

(رئيس الستر)، وهذا المصطلح قصد به قديماً رئيس الحرس الخاص، إلا أن هذا المصطلح قد اختفى في عصرنا، وإن كانت الوظيفة ما زالت باقية باسم كبير الياوران.

وغير ذلك من المصطلحات الكثيرة.

* * *

الباب الأول
الأتراك والخلافة
قبل العصر العباسي الأول

الفصل الأول: الأتراك في مواطنهم الأولى
الفصل الثاني: تطور علاقة الأتراك بخلافة الراشدين والأمويين

الفصل الأول
الأتراك في مواطنهم الأولى

موضوعات الفصل

١ - جذور الأتراك.
٢- سبب التسمية.
٣- المواطن الأولى للأتراك.
٤- ما وراء النهر جزء من أرض الترك
٥- نهرا جيحون وسيحون.
٦- علاقة الأتراك بالفرس قبل الإسلام
٧- صفات وعادات الترك.
٨- من معتقدات الترك قبل الإسلام

الفصل الأول

الأتراك في مواطنهم الأولى

* * *

جذور الأتراك:

ظهر الأتراك في الدولة الإسلاميةبشكل واضح قبيل نهاية العصر العباسي الأول، ويوماً بعد يوم أصبح لهم النفوذ في عاصمة الخلافة، ولعله منذ ذلك التاريخ اتجه بعض المؤرخين إلى الحديث عن جذور الأتراك، وأخذوا في هذا المجال اتجاهات متعددة[1] يصل بعضها إلى حد التخمين. ولكن لا مانع من ذكر بعضها مختصراً، لعلها تلقى الضوء على هذا الموضوع:

كانت (القبيلة) تحتل مكانة مهمة في حياة العرب، ولذلك مال بعض الباحثين إلى نسبة الأتراك إلى قبيلة عربية، فنسبوهم إلى قبيلة مذحج[2] . فقد ذكر الجاحظ أنه (قد كان سقط إلى بلاد الترك رجل من مذحج، فانسل نسلاً كثيراً)[3] .

فهل لكلام الجاحظ هذا أساس تاريخي؟

لانستطيع أن نجزم بذلك، ولعله قصد به إضفاء صفة الشرعية على الوجود التركي بنسبة

---

(١) لاحظ الجاحظ ذلك التغيير الذي طرأ على بنية الدولة الإسلامية، وبخاصة في عهد المعتصم، الذي أكثر من الأتراك، وجعلهم أهم عناصر جيش الخلافة، فكتب الجاحظ رسالة تحدث فيها عن عناصر جيش الخلافة من عرب وفرس وأبناء وأتراك، غير أنه ركز حديثه على العنصر الأخير وهو الترك، حتى إنه سمى رسالته هذه (مناقب الترك) أو (فضائل الترك).

انظر رسائل الجاحظ ج١ (رسالة مناقب الترك) ص ٥ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط: الخانجي- بالقاهرة.

(٢) مذحج: قبيلة يمنية، واسم مذحج: مالك بن أدد، وقيل: سمى مذحجاً باسم أكمة حمراء أو أكمة جبل ولد عليها.

انظر القرب في محبة العرب - لزين الدين عبد الرحيم العراقي (٨٠٦ هـ - ١٤٠٣م) تحقيق الأستاذ أحمد حلمي القادري - سلسلة الكتب القديمة(١) نشر عادل محمد البهي (١٣٨١هـ - ١٩٦١م) - القاهرة - ص ١٦٢. ومعجم البلدان - لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) ج٥ ص ٨٩ ط: دار صادر.

وعجالة المبتدى وفضالة المنتهى للحازمي الهمداني ط: (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) الثانية - مجمع اللغة العربية - ص ١١٣.

وجمهرة أنساب العرب - لابن حزم الأندلسي - ط: الثانية - دار المعارف - مصر ص ٣٨١ - ٣٩٢.

(٣) انظر رسائل الجاحظ ج١ ص ٧٥.

الأتراك لهذه القبيلة.

ولعل اختيار مذحج بالذات كان اختياراً مقصوداً، فإن الروايات تنسب لهذه القبيلة صلة نسب برسول الله ﷺ [(١)] ..

كما أنه جاء في بعض ما ينسب إلى رسول الله ﷺ من أحاديث قوله: (... وأكثر القبائل في الجنةمذحج)[(٢)] .

على أن الجاحظ نفسه لم يقنع بهذا الرأي، فروى رأياً آخر معارضاً هو قول الشاعر:

متى كانــت الأتراك أبناء مذحــج ألا إن في الدنيا عجيباً لمن عجب[(٣)] .

وحكى الجاحظ أيضاً أن رجلين من الأتراك قيل لهما: إنكما من مذحج، فقال أحدهما: ومذحج هذا من هو ذاك؟ وما نعرف إلا إبراهيم خليل الله، وأمير المؤمنين[(٤)] .

وهذا يدل على أن الترك أنفسهم سخروا من هذه النسبة.

ولعل ذكر الترك هنا لإبراهيم عليه السلام مرتبط بما ذكره الزبيدي من أن الترك هم بنو قنطوراء[(٥)] ، وقنطوراء: اسم جارية كانت لإبراهيم عليه السلام وقد ولدت لإبراهيم عليه السلام أولاداً جاء من نسلهم الترك[(٦)] .

---

(١) انظر القرب في محبة العرب – لزين الدين العراقي – ص ١٦٢.

(٢) انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني – ج٤ ص ٣٨٧ ط: دار صادر، والمكتب الإسلامي بيروت.

وراجع السنن الكبرى للإمام النسائي – المناقب (٦٩) نقلاً عن تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف – للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي (٧٤٢هـ) تحقيق: عبد الصمد شرف الدين – إشراف: زهير الشاويش ط: المكتب الإسلامي ج٨ ص ١٦٢.

(٣) انظر رسائل الجاحظ ج١ ص ٧٥.

(٤) انظر المصدر السابق – نفس الجزء والصفحة.

(٥) انظر شرح القاموس› المسمى: تاج العروس من جواهر القاموس – لمحب ادين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدي – ط: (١٣٠٦هـ) الأولى المطبعة الخيرية – الجمالية – مصر ج٢ ص ٣٧٩ – ٣٩٩.

ورسائل الجاحظ ج١ ص ٧٤ هـ ٢.

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن – لأبي عبد الله القرطبي (٦٧١هـ) دار الشعب – بمصر جـ٥ ص ٤٠٩٧.

وفي وضع الرأيين - الرأي القائل بانتساب الترك لقبيلة مذحج، والرأي المعارض لذلك - في وضعهما في الميزان، أرى أن إطلاق نسبة الترك لمذحج لايسنده دليل، فضلاً عن سخرية العرب والترك على السواء منه، ولعل من أطلق هذه النسبة لمذحج علم بنسب هذه القبيلة المتصل برسول الله ﷺ ، وعلم كذلك بالحديث الذي رواه الإمامان النسائي وأحمد وسبق ذكره، ولذلك كان إطلاق هذه النسبة يقصد به إضفاء صفة الشرعية على الوجود التركي، حيث ظهرت هذه الأقوال بعد أن أصبح هناك نفوذ فعلي واضح للأتراك داخل الدولة الإسلامية.

وإذا كنا نستبعد النسبة إلى قبيلة مذحج، فإن هناك ما هو أبعد من ذلك، فقد نسب بعض المؤرخين الأتراك إلى يافث بن نوح[1] ، وهذا الاتجاه مما لانملك أي دليل على صحته.

وهناك رأي آخر في هذه المسألة، مفاده أن الأتراك نسبوا إلى قبيلة سميت بنفس الإسم (الترك) واستطاعت هذه القبيلة السيطرة على جميع القبائل الناطقة بالتركية، لتجعل اسم الترك الخاص بها اسماً عاماً لكل الناطقين بالتركية[2] .

ويبدو أن هذا الرأي الأخير هو الأرجح، ذلك لأن نقوش أورخون[3] التي سيرد بعد قليل توضيحها قد أشارت إلى شيء من ذلك!!

* * * * *

---

(١) انظر على سبيل المثال:

تاريخ الرسل والملوك - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، المسمى تاريخ الطبري ج١ ص ٢٠١ - ٢٠٥ - تحقيق: الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم - ط: دار المعارف - القاهرة.

ومروج الذهب ومعادن الجوهر - لأبي الحسن على بن الحسين بن علي المسعودي (٣٤٦هـ) ط: دار صادر - ج١ ص ١٣١ وما بعدها.

وتتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) لزين الدين عمر بن الوردي (٧٤٩هـ) تحقيق: الأستاذ أحمد رفعت البدراوي ج١ ص ٢٠ ط: (١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م) الأولى دار المعرفة - بيروت.

وتاريخ ابن خلدون - المسمى: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن بن خلدون (٨٠٨هـ) تعليق الأمير شكيب أرسلان - نشر المكتبة التجارية الكبرى بفاس وتطوان - المغرب - ط (د: ١٣هـ - ١٩٣٦م) ج١ ص ٢٦ - ٢٧ وملحق الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون السابق - ص ٨٨ وما بعدها.

(٢) انظر تاريخ الترك في آسيا الوسطى - وبارتولد - ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان - ص ٢٨ - ٢٩ ط: الأنجلو المصرية (١٩٥٨م).

وبحثاً بعنوان (الأدب التركي المعاصر) للأستاذ إبراهيم الداقوقي - مجلة عالم الفكر - عدد(١) سنة ١٩٨٢ ص ٦٠.

(٣) انظر موضوع (سبب التسمية) في نفس الفصل.

سبب التسمية:

اتفقت أغلب المصادر الأوربية الحديثة على أن اسم (ترك) تحريف للكلمة الصينية (تو - كيو)[١] .

غير أن بارتولد[٢] يسوق بعض الفروض معتقداً أنه لايوجد رأي قاطع في سبب تسمية الترك بهذا الاسم، وإنما يمكن تصور بعض الاحتمالات أو الآراء أو الاتجاهات التي توضح سبب التسمية، وبخاصة بعد ظهور نقوش أورخون في بلاد ما وراء النهر.

ونقوش أورخون هي تلك الآثار التي تخلد أقدم ذكرى للسان التركي وقد إكتشفت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وهي أقدم آثار وصلتنا وأنشأها الترك أنفسهم عن تاريخهم، فأصحاب هذه الآثار قد سموا أنفسهم لأول مرة في التاريخ بالترك[٣] .

وفيما يلي نذكر بعض الاحتمالات أو الاتجاهات التي يراها بارتولد:

يذكر بارتولد نقلاً عن طومسن[٤] أن كلمة (ترك) ربما كانت اسماً لقبيلة مستقلة، أو على الأرجح اسماً لأسرة حاكمة[٥] .

ويحتمل أيضاً وجود علاقة بين كلمة (ترك) وكلمة (تورو) التي كثر استعمالها في نقوش أورخون. وكلمة (تورو) تعني: الجماعة المتحدة بالقانون والتقاليد[٦] .

---

(١) انظر بحثاً بعنوان (الإسلام والترك في العصور الوسطى) للأستاذ سعد زغلول نصار - مجلة عالم الفكر - المجلد ١٠ ج١ ص ١٨٦ وما بعدها.

(٢) المستشرق الروسي و. بارتولد (١٨٦٩م - ١٩٣٠م) تخصص في دراسة المنطقة الممتدة من بحر قزوين غرباً إلى منغوليا شرقاً، وعن هذه المنطقة كتب معظم مؤلفاته.

انظر تاريخ الترك في آسيا الوسطى - لبارتولد - ص (ح) من المقدمة.

(٣) انظر المرجع السابق - ص٣.

(٤) طومسن: عالم دانمركي، قام بترجمة نقوش أورخون حوالي سنة ١٨٩٨م.

انظر تاريخ الترك في أسيا الوسطى - لبارتولد - ص ٤.

(٥) انظر المرجع. السابق - ص ٢٨.

(٦) انظر نفس المرجع - ص ٢٩.

وبعد أن عرض بارتولد العديد من الاحتمالات والفروض في هذا المجال قال: (إذا كان المسلمون قد أطلقوا على كل من تكلم باللغة التركية تركاً، ثم بدأت هذه الأقوام التي دخلت في الإسلام تسمى نفسها تركا، فإن الروس والأوربيين الغربيين لايطلقون اسم الترك إلا على السلاجقة ثم العثمانيين[1] .

* * * * *

(١) انظر نفس المرجع - ص ٢٠.

المواطن الأولى للأتراك:

كانت الشكوك تحيط بالتعرف على الموطن الأصلي للأتراك، ولكن بفضل نقوش أورخون - التي سبق التعريف بها قد زال كثير من الغموض، رغم كون الحقبة الزمنية التي تحدثت عنها هذه النقوش حوالي نصف قرن من الزمان[١] .

ولقد أكدت نقوش أورخون أن الأتراك كانوا مجموعة من القبائل البدوية التي تشبه إلى حد كبير في نظامها السياسي والاجتماعي قبائل البدو العرب[٢] .

وباستنادنا إلى هذه الحقيقة التاريخية، يمكن القول: إن الموطن الأصلي للأتراك كانت تحدده عوامل البيئة، فحيثما وجد الكلأ والماء وجد الأتراك ومن هنا فإن قبائل الأتراك قد انساحت في منطقة وسط آسيا بحثاً عن الماء والمرعى.

ثم اكتشفت بعد ذلك آثار صينية يرجع عهدها إلى ثلاثة عشر قرناً قبل الميلاد، ودلت هذه الآثار أو المصادر على وجود دولة تركية قديمة كانت تعرف في المصادر الصينية هذه باسم (هيونج نو) وهي تعني: الدولة الهونية[٣] .

وتشير المصادر الصينية إلى أن الدولة الهونية كانت تخيف الصينيين، مما أرغمهم على بناء سد كبير، ليدفع عنهم إغارات هذه الدولة[٤] .

ويجدر بنا أن نتأمل هذه الحقيقة التي ساقتها المصادر الصينية، لأنها قد أزالت جانباً آخر من الغموض الذي كان يحوم حول المواطن الأولى للأتراك.

---

(١) مدة نقوش أورخون من سنة ٦٣٠ - ٦٨٠م.

انظر تاريخ الترك في آسيا الوسطى - لبارتولد - ص ١٤.

(٢) انظر المرجع السابق ص ٦، ٩، ٣٦، ٤٥، ٤٦.

ومعجم البلدان لياقوت - ج٢ ص ٥٤.

(٣) انظر تركستان - قلب آسيا - لعبد العزيز جنكيز خان - ص ١٨ ص: الجمعية الخيرية التركستانية - سنة ١٩٤٥م.

(٤) انظر المرجع السابق - نفس الصفحة.

إن وجود دولة تركية ضاربة في القدم قريبة من حدود الصين، كانت تنازع مملكة الصين، لدرجة أنهم لم يقدروا عليها إلا ببناء سد عظيم، إن وجود هذه الدولة التركية ربما دل على أن المواطن الأولى لهؤلاء الأتراك كانت عند تخوم الصين.

ومما يؤكد ذلك أنه لم ترد مصادر أقدم من المصادر الصينية أو معاصرة لها تحدثت عن وجود علاقة بين الترك وبين أقوام آخرين غير الصينيين في هذه الفترة - أي قبل ثلاثة عشر قرناً قبل الميلاد - كالفرس أو البيزنطيين مثلاً.

وبالجمع بين ما ذكرته نقوش أورخون (بين كون الترك كانوا مجموعة من القبائل البدوية) وبين ما ذكرته المصادر الصينية (التي أكدت وجود دولة تركية قديمة) يمكننا القول: إن الترك ظهروا أول ما ظهروا عند تخوم الصين وإنه بعد بناء السد الصيني لم يجد الترك بدا من الانسياح في صحراء آسيا بحثاً عن الماء والمرعى.

ولقد قام الأستاذ عبد العزيز جنكيز خان بعرض مفصل - بناء على ما أتيح لديه من مصادر صينية، وبخاصة أنه يتكلم اللغة الصينية - وذلك حول العلاقات الدولية السلمية أو العدائية بين كل من الدولة الهونية والصين[1] ثم تحدث عن انقسام الدولة الهونية بعد ذلك، والدول التي ظهرت على أنقاض هذه الدولة، مثل دولة الهياطلة[2] ، التي كانت تسمى في المصادر البيزنطية بدولة الهون البيض[3] ، ودولة (تو - كيو)[4] وهي التي جابهها المسلمون فيما وراء النهر فيما بعد، كما أفاض في الحديث عن احتكاكات دولة (تو - كيو) بالدول المجاورة لها مثل دولة الفرس، والدولة البيزنطية، ومملكة الصين[5] .

---

(١) انظر المرجع السابق - ص ١٩ - ٢٣.

(٢) انظر المرجع السابق - ص ٢٣ ، ٢٤.

(٣) انظر بلدان الخلافة الشرقية - كي لسترنج - ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد - مطبوعات المجمع العلمي العراقي - ط: (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م) مطبعة الرابطة بغداد - ص ٤٧٦ في النص المترجم.

(٤) انظر تركستان قلب آسيا لعبد العزيز جنكيز خان - ص ٢٤ وما بعدها.

(٥) انظر المرجع السابق - ص ٢٥ - ٣٠.

وجملة القول: إن الأتراك كانوا مجموعة من القبائل البدوية، وأنها وجدت منذ زمن بعيد في منطقة وسط آسيا، وانتشرت في ربوع الصحراء، وكانت هذه القبائل بين الحين والحين تتآلف في عقد واحد تحت حكم قبيلة من بينهم - هي أقواهم - ثم ما تلبث هذه القبائل أن تتناحر، وتنقسم إلى قسمين وربما خرجت قبائل من هذين القسمين، واستمر حالها بين التجمع والتفرق إلى أن جابهها المسلمون من ناحيتهم، وكان يجابهها قبل ذلك الصينيون من الشرق، والساسانيون من الغرب، والبيزنطيون من الشمال الغربي، فكانت تضعف أمامهم حيناً، وتقوى عليهم حيناً، فتغير على بلادهم، وتترك أسراً منهم في هذه الدولة أو تلك[1] .

* * * * *

---

(١) انظر بحث الإسلام والترك في العصور الوسطى د. سعد زغلول نصار - مجلة عالم الفكر م١٠ ص ١٩٠.

ما وراء النهر جزء من أرض الترك:

إذا كنا بصدد الحديث عن المواطن الأولى للأتراك، فإنه يجدر بنا أن نتحدث عن بلاد ما وراء النهر، تلك البلاد التي كان يقطنها في أول الأمر شعوب آرية، ثم لم تلبث أن تسربت إليها أعداد غفيرة من العنصر التركي من تخوم الصين بصورة أصبح معها عدد المتكلمين باللهجات التركية من أهل البلاد - بعد فترة من الزمن - لايقف عند حد الجماعات البدوية وحدها بل شمل كذلك الشطر الأكبر من سكان المدن، ثم خضعت ما وراء النهر نهائياً لسلطان الترك[١] .

فما هي بلاد ما وراء النهر؟

يقول بارتولد: «ما وراء النهر هو الاسم الذي أطلقه العرب على المنطقة المنحصرة الواقعة في حوض نهري جيحون (آموداريا) ، وسيحون[٢] (سيرداريا)» ويقع نهر جيحون في الشمال، ونهر سيحون في الجنوب من هذه المنطقة، وأما الشرق فيحدها تخوم الهند، ومن الغرب بحيرة جوارزم[٣] .

ولقد احتلت منطقة ما وراء النهر منزلة خاصة في كتب الجغرافيين والمؤرخين المسلمين، ولذلك وصلتنا عنها مادة تاريخيه وتاريخيه جغرافية مفصلة[٤] .

ولعل من أسباب إعتناء الباحثين بتلك المنطقة أنها ذات موقع جغرافي متميز في وسط آسيا، وفيها كثافة سكانية، وبخاصة بعد أن تسربت إليها أعداد غفيرة من الترك- كما سبق

---

(١) انظر تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي - فاسيلي فلادمرونتش بارتولد - نقلة عن الروسية / صلاح الدين عثمان هاشم ط: (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) الكويت - ص ١٤٥.

(٢) انظر المرجع السابق - نفس الصفحة.

(٣) انظر مسالك الممالك - لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري المعروف بالكرخي - ص ١٦١ - ط: (١٩٤٧م) بريل - ليدن.

وتقويم البلدان لعماد الدين أبي الفداء - صاحب حماة (٧٣٢هـ) عني بتصحيحه وطبعه ريفود والبارون ماك كوكين ديسلان - ط: (١٨٤٠م) دار الطباعة السلطانية - باريس - ص ٤٨٣.

وصورة الأرض - لأبي القاسم ابن حوقل النصيبي (٣٦٧هـ) ط: (١٩٣٨م) الثانية - ليدن، القسم الثاني ص ٤٥٩.

(٤) انظر تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي - لبارتولد - ص ١٤٥.

القول - وكثرت إليها الرحلات، فقد رحل إليها ابن فضلان، وابن بطوطة، وغيرهما[١] .

وتعتبر هذه المنطقة إحدى مناطق ثلاث كان أغلب علماء الإسلام وفقهائه وفلاسفته ومحدثيه وأطبائه منها[٢] .

وترجع أهمية ما وراء النهر بالنسبة للباحث إلى شهودها لأكبر حركة استقدام للأتراك إلى دار الخلافة العباسية، وبخاصة في عهد المعتصم، وهذا ما يهم الباحث في دراسته.

ونحاول هنا أن نعرض باختصار لهذه المنطقة، ولأشهر المدن التابعة لها، والتي سيصبح لها دور بارز في إستقدام الأتراك منها إلى أرض الخلافة الإسلامية.

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أمرين: أولهما: أن ما وراد النهر تدخل في إطار ما يسمى بـ (تركستان)، حيث أن مفهوم تركستان هو: (اسم جامع لجميع بلاد الترك)[٣] ، وثانيهما: أن بعض الجغرافيين المسلمين كان يعتبر منطقة ما وراء النهر جزءاً من إقليم خراسان[٤] ، ويبدو أن ذلك الاعتبار كان له ما يبرره، حيث كانت منطقة ما وراء النهر تتبع إدارياً إقليم خراسان بعد أن فتح الله خراسان وما وراء النهر على المسلمين[٥] .

وقد قسم الجغرافيون المسلمون بلاد ما وراء النهر إلى عدة أقاليم:

أولاً: الصغد[٦] : أجل أقاليم ما وراء النهر شأنا، وهو صغديانا القديمة مع قصبتيه بخاري وسمر قند.

---

(١) انظر المرجع السابق - نفس الصفحة.

وتاريخ الترك في آسيا الوسطى - لبارتولد أيضاً - المقدمة.

(٢) المنطقتان الأخريان هما: فارس (وتقع في إيران اليوم) وخراسان (وتنقسم اليوم بين إيران وأفغانستان وروسيا).

انظر المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ - للدكتور: محمدعلى البار ط: الأولى - دار الشروق بالقاهرة ج١ ص ٢٢٨ ، ج٢ ص ٤٠٩.

(٣) انظر معجم البلدان - لياقوت - ج٢ ص ٢٣.

(٤) انظر أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - لشمس الدين أبي عبد الله المقدسي المعروف بالبشاري (نبغ سنة ٣٧٥هـ) (١٩٠٦م) بريل ليدن. ص ٢٦٠، ٢٦١، وبخاصة ما جاء تحت عنوان (إقليم المشرق).

(٥) انظر المصدر السابق - ص ٢٦.

(٦) الصغد والصغد لغتان، وهي بالصاد أشهر. انظر تاج العروس - للزبيدي ج٢ ص ٣٧٩ - ٣٩٩.

ثانياً: خوارزم: وهو في غرب الصغد، ويعرف اليوم بـ (خيوة) ويشتمل على دلتا نهر جيحون.

ثالثاً: الصغانيان ومعه الختل: وغيرهما من الكور الكبيرة التي في أعالي نهر جيحون، كل هذه في الجنوب الشرقي.

رابعاً أهم أقاليم نهر سيحون: فرغانة – في أعلى النهر – والشاش – من النواحي التي في الشمال الغربي الممتدة حتى مصب سيحون في مناقع بحر آرال، والشاش هي طشقند اليوم[1] .

وتقع بلاد ما وراء النهر جميعاً اليوم ضمن أراضي الاتحاد السوفيتي، فيما يسمى بـ (تركستان الغربية) وهي ست جمهوريات: جمهورية أوزبكستان، وجمهورية طادجكستان (تاجيكستان)، وجمهورية قازاقستان، وجمهورية تركمانستان، وجمهورية قيرغيزيا[2] ، وجمهورية قارا قالباغستان[3] .

* * * * *

---

(١) انظر بلدان الخلافة الشرقية – كي لسترنج – ص ٤٧٦، ٤٧٧.

وفتوح البلدان – لاحمد بن يحيى بن جابر البلاذري – ط: دار الكتب العلمية بيروت – ص ٤٠٩، ٤١٠.

وممالك ما وراء النهر – للدكتور محمد عبد الهادي شعيرة – ص ٦، وما بعدها – نقلاً عن موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لاستاذنا الدكتور أحمد شلبي – ج٢ ص ١٣٤، ١٣٥– ط: السابعة – مكتبة النهضة المصرية.

(٢) انظر المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ – د. محمد على البار. ج١ ص ٢٢٥، ٢٢٦. فقد أشار إلى أن تركستان الغربية خمس جمهوريات فقط.

(٣) انظر تركستان – قلب أسيا – لعبد العزيز جنكيز خان – ص ١٢.

نهرا جيحون وسيحون:

إن المدخل الطبيعي للحديث عن مدن ما وراء النهر هو الحديث عن نهري جيحون وسيحون، حيث ترتبط أكثر المدن بهذين النهرين، وإذا كان نهر سيحون يحمل على ضفافه المدن الكثيرة للأتراك، وهذا يعطيه أهمية ما، فإن لنهر جيحون أهمية خاصة ترجع إلى أنه الحد الفاصل بين الأقوام الناطقين بالفارسية والتركية أي بين إيران وتوران[١] .

ويقول كي لسترنج: (أطلق العرب في القرون الوسطى على نهر أوكسس (OXUS) ونهر جكزرتس (JAKZARTIES) اسمي جيحون وسيحون، ويعتور الغموض هذين الاسمين)[٢] .

ونعود لوصف النهرين: أما جيحون فقد وصفه الأصطخري وابن حوقل وياقوت وغيرهم، وأهم أوصاف هذاالنهر أنه يجمد في الشتاء لدرجة تصبح الملاحة فيه خطرة أو مستحيلة، بل إن الناس يحفرون الآبار في الثلج الذي يغطي النهر ليصلوا إلى الماء[٣] .

ولايزيد وصف سيحون عن ذلك كثيراً، فهذا ياقوت يقول عنه: إنه (يجمد في الشتاء حتى تجوز على جمده القوافل)[٤] .

إقليم الصغد:

ويعتبر أهم إقليم يتصل بنهر جيحون هو إقليم الصغد (صغديانا القديمة)، وهذا الإقليم من أهم أقاليم ما وراء النهر عموماً، لأنه يشمل أراضي خصبة شاسعة شرقي نهر جيحون[٥] ،

---

(١) انظر بلدان الخلافة الشرقية - كي لسترنج - ص ٤٧٦.

وتركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي - لبارتولد - ص ١٤٦.

(٢) انظر بلدان الخلافة الشرقية - كي لسترنج - ص ٤٧٦.

(٣) انظر المرجع السابق - ص ٤٨٧، ٤٨٨.

وصورة الأرض - لابن حوقل - ص ٣٥٣، ٣٥٤.

ومسالك الممالك - للأصطخري - ص ٣٠٢، ٣٠٤.

ومعجم البلدان - لياقوت ج٢ ص ١٩٦.

(٤) انظر المصدر السابق ج٣ ص ٢٩٤.

(٥) يرى - كي لسترنج - أنه من الأوجه أن يعد الصغد اسماً للرساتيق المحيطة بسمر قند، فإن بخارى وكِس ونسف كانت كل واحدة منها تعد كورة بذاتها. انظر بلدان الخلافة الشرقية - كي لسترنج - ص ٥٠٢.

تسقيها مياه نهرين هما: زرفشان (أي نهر الصغد) وعليه كانت تقوم أجل مدن الصغد: بخارى[١] وسمر قند[٢] ، والنهر الثاني هو النهر المنساب حيال مدينتي كسّ[٣] ونسف[٤] ، والنهران ينتهيان إلى مناقع أو بحيرات ضحلة في المفازة الغربية من جهة خوارزم[٥] .

وقد كانت مدينة بخارى تعد عاصمة الإقليم الدينية، على حين تعد سمرقند عاصمته السياسية[٦] ، بعد الفتح الإسلامي لهذه البلاد.

---

(١) بخارى مدينة قديمة كثيرة البساتين، مليئة بالخيرات فتحت لأول مرة في عهد معاوية بن أبي سفيان، وبقيت في حالة اضطراب مستمر إلى أن أخضعها نهائياً قتيبة بن مسلم، ثم أصبحت عاصمة ملك السامانيين في أواخر العصر العباسي الأول، وينتسب إليها كثير من العلماء، وهي الآن تحت الاحتلال الروسي.

انظر البداية والنهاية في التاريخ – للحافظ عماد الدين ابن كثير (٧٧٤هـ) ط: السعادة بمصر – ج ١٢ ص ٤٢، ٤٣.

وشذرات الذهب في أخبار من ذهب – لابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ) ط: دار الآفاق الجديدة بيروت ج٣ ص٢٣٤، ٢٣٧.

وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم – للمقدسي – ص ٢٦٦ – ٢٧٢.

ومعجم البلدان لياقوت – ج١ ص ٣٥٣، ٣٥٥.

وبلدان الخلافة الشرقية – كي لسترنج – ص ٥٠٣ – ٥٠٦.

والمسلمون في الاتحاد السوفيتي – د. محمد على البار ج١ ص ٤١٨ – ٤٢٥.

(٢) سمر قند: عاصمة إقليم الصغد، وهي مدينة تجارية عظيمة، اشتهرت بصناعة الورق، فتحها سعيد بن عثمان بن عفان أولاً، واستشهد فيها قثم بن العباس ابن عم النبي ي ، وأعيد فتحها على يد قتيبة بن مسلم سنة ٨٧هـ، وينتسب إليها جم غفير من العلماء وهي تمثل الآن جمهورية أوزبكستان، وتقع تحت الإحتلال الروسي.

انظر: أحسن التقاسيم – للمقدسي – ص ٢٦٦.

ومعجم البلدان – لياقوت – ج٣ ص ٢٤٧، ٢٤٨.

وبلدان الخلافة الشرقية – كي لسترنج – ص ٥٠٨.

وسير أعلام النبلاء – للحافظ شمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط ومجموعة ط: (١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م) الثانية مؤسسة الرسالة – بيروت ج١٩ ص ٢٠٥، ٢٠٦.

(٣) كِسّ: بكسر أوله وتشديد ثانيه، هكذا ضبطها ياقوت، وقيل: كش، وقد زارها ياقوت ووصفها بقوله: هي مدينة كثيرة البساتين، خصيبة، تدرك فيها الفواكه أسرع ما تدرك بسائر ما وراء النهر.

انظر معجم البلدان – لياقوت – ج٤ ص ٤٦١.

(٤) نسف: مدينة كبيرة كثيرة الأهل والحصون، بين جيحون وسمر قند، خرج منها جماعة كثيرة من أهل العلم من كل فن.

انظر المصدر السابق – ج٥ ص ٢٨٥.

(٥) انظر بلدان الخلافة الشرقية – كي لسترنج – ص٥٠٢.

(٦) انظر المرجع السابق – ص ٥٠٣، ٥٠٤.

من أقاليم نهر سيحون:

وإذا كنا قد تكلمنا عن الصغد كأهم إقليم يتصل بنهر جيحون، فإن هناك ثلاثة أقاليم هامة تتصل بنهر سيحون:

الأول: أشروسنة:

وهي بلدة كبيرة يغلب عليها الجبال الثلجية وقصبتها (عاصمتها) بونجكث ومن بين مدنها زامين، وقد انتسب إليها من العلماء الكثير، وكانت أشروسنة من بين البلاد التي اختارها المعتصم ليستقدم منها الأتراك[١] وكان منها الأفشين – القائد المشهور في عهد المعتصم.

والثاني: فرغانة:

وهو إقليم واسع كثير المدن، اشتهر بالفاكهة وأنواع الرياحين، وكانت فرغانة تعرف إلى وقت قريب بخانية خوقند، وقد أعادت إليها الحكومة الروسية رسمياً اسمها القديم، وفرغانة الآن هي جمهورية قيرغيزيا الواقعة تحت سيطرة الاحتلال الروسي، وينتسب لفرغانة كثير من العلماء[٢] .

والثالث: الشاش:

وهو يقع إلى الغرب من فرغانة. ويتبع الشاش مدن كثيرة، وقد خربهما خوارزم شاه محمد بن تكش لعجزه عن ضبطها وجلا عنها أهلها، وبقيت خاوية على عروشها، وأعقب ذلك دمار أشد على يد المغول ثم أصبحت ذا شأن في عهد تيمور لنك واشتهر بها كثير من العلماء، وتقع الشاش اليوم داخل جمهورية أوزبسكتان وتعرف اليوم بـ (طشقند)[٣] .

---

(١) انظر مسالك الممالك – للأصطخري – ص ١٦٣.
ومعجم البلدان – لياقوت – ج٣ ص ١٢٨.
وبلدان الخلافة الشرقية – كي لسترنج ص ٥١٧ – ٥١٩.

(٢) انظر مسالك الممالك – للأصطخري – ص ٣٣٣.
وصورة الأرض – لابن حوقل – ص ٣٩٣، ٣٩٤.
وأحسن التقاسيم – للمقدسي – ص ٢٧١.
ومعجم البلدان – لياقوت – ج٤ ص ٢٥٣، ٢٥٤.
وبلدان الخلافة الشرقية – كي لسترنج – ص ٥٢٠.
والمسلمون في الإتحاد السوفيتي د. محمد على البار ج٢ ص ٥٣٧.

(٣) انظر معجم البلدان – لياقوت – ج٣ ص ٣٠٨، ٣٠٩.
وبلدان الخلافة الشرقية – كي لسترنج – ص ٥٢٣، ٥٢٤. والمسلمون في الإتحاد السوفيتي د. البار ج٢ ص ٤٥٩.

علاقة الأتراك بالفرس قبل الإسلام:

إن المدخل الطبيعي لبلاد الترك هو بلاد الفرس، وذلك بحكم الجوار، ومما لاشك فيه أن الجوار يؤدى إلى الاحتكاك، فكان الإحتكاك بين الترك والفرس تارة يأخذ طابع المسالمة والمودة التي تصل إلى درجة المصاهرة، وتارة أخرى يتحول إلى تخاصم وتناحر يصل إلى حد السيف والحرب.

والحديث عن علاقة الأتراك بالفرس الساسانيين قبل الإسلام مهم جداً، فهو يلقى الضوء على جانب مهم من أسباب مساندة الترك للساسانيين في حروبهم ضد المسلمين. وذلك أثناء الفتوحات الإسلامية لبلاد فارس.

وفيما يلي نعرض جوانب من هذه العلاقة:

عرض لنا المسعودي صورة من صور الصراع والحرب التي كانت بين الترك والساسانيين، فذكر أنه خرج خاقان الترك نحو بلاد فارس، وشن عدة غارات حتى وصل إلى بلاد الري[١] ، إلا أن بهرام جور – ملك الفرس وقتئذ – قد جند الجنود، وتصدى لخاقان، حتى أتى عليه في جنوده وسار بهرام برأس خاقان إلى العراق، فهابت بهرام ملوك الأرض وهادنه قيصر[٢] .

وكان بهرام جور يعرف العربية، فقد نشأ مع العبر بالحيرة[٣] ، لدرجة أنه قال شعراً يوم ظفره بخاقان[٤] .

---

(١) الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات، بينها وبين نيسابور ١٦٠ فرسخاً، وقد زارها ياقوت سنة ٦١٧هـ.

انظر معجم البلدان لياقوت – ج٣ ص ١١٦.

(٢) انظر مروج الذهب للمسعودي – ج١ ص ٢٦١.

(٣) الحيرة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف، وكانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية، وقيل: هي محلة مشهورة بنيسابور، وقيل: هي قرية بأرض فارس.

انظر معجم البلدان – لياقوت – ج٢ ص ٣٢٨، ٣٣١.

(٤) انظر مروج الذهب – للمسعودي – ج١ ص ٢٦١، ٢٦٢.

ويعرض *ابن الوردي* جانباً آخر من العلاقة بين الترك والساسانيين فيذكر أن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور كان قد استنجد بالترك لمساعدته ضد أخيه هرمز، الذي استولى على الملك، فأنجد الترك فيروز حتى ظفر بهرمز وملك البلاد[١] .

ويقول كي لسترنج: (كان الهياطلة أعدى أعداء الدولة الساسانية)[٢] غير أنه لم يذكر لنا كي لسترنج مستنداً تاريخياً لذلك الزعم الذي أطلقه، إلا أن المسعودي ذكر أنه وقعت وحشة بين فيروز ابن يزدجرد بن بهرام جور وبين الأخشنواز - ملك الهياطلة - وانتهت هذه الوحشة بقتل فيروز سنة ٤٨٤م[٣] .

وخلف فيروز ابنه بلاس، الذي لم يزد ملكه على أربع سنين، وخلفه قباذ بن فيروز، واستمر ملكه إلى أن قتله ابنه أنوشروان، وملك البلاد[٤] .

وسار أنو شروان - حفيد فيروز - مرة إلى ما وراء النهر في حملة قوية نحو الترك، وقتل الأخشنواز - ملك الهياطلة - ثأراً لجده[٥] ، وتحالفت دولة (تو - كيو)[٦] معه، واشتركا معاً في القضاء على الهياطلة، واقتسما أراضيها فيما بينهما على أن يكون نهر جيحون حداً فاصلاً بين

---

(١) انظر تاريخ ابن الوردي ج١ ص ٦٩.

(٢) انظر بلدان الخلافة الشرقية - كي لسترنج - ص ٤٧٦.

(٣) انظر مروج الذهب - للمسعودي ج١ ص ٢٦٣.

وتاريخ ابن الوردي ج١ ص ٦٣.

وتركستان - قلب أسيا - لعبد العزيز جنكيز خان - ص ٢٤.

والطريق إلى المدائن - للاستاذ أحمد عادل كمال - ص ١٢٤.

وقد ذكر ابن الوردي أن سبب هذه الوحشة هو طلب ابن فيروز خطبة ابنة الأخشنواز فرفض، فسار فيروز للأخشنواز بجيش كثيف، غير أن الأحشنواز احتال له وأقوعه ومن معه في خندق فقتل أكثرهم. هذا..... وإن كان السبب غير مقنع، وربما كانت هناك أسباب أخرى.

(٤) انظر مروج الذهب - للمسعودي - ج١ ص ٢٦٣.

(٥) انظر المصدر السابق ج١ ص ٢٦٧.

وتاريخ ابن الوردي ج١ ص ٧١.

(٦) ظهرت دولة تو - كيو سنة ٥٦٦ م على أنقاض دولة الهياطلة، بعد أن قسمت الأولى ممتلكات الثانية بينها وبين الفرس.

الساسانيين وبين دولة (تو - كيو)[١] .

ولكن يبدو أن دولة (تو - كيو) قد أغارت على الساسانيين، واستردت ما كان بأيديهم من أرض الهياطلة - في عهد هرمز بن أنوشروان[٢] ، وذلك بحجة أنها في الأصل ممتلكات تركية، ويجب أن يعطى ما للترك للترك[٣] .

ولكن يبدو أن علاقة الساسانيين بدولة (تو - كيو) أخذت جانباً جديداً فقد تحالفت الفرس والروم، واشتبكا مع الترك، مما أثار حفيظة الأتراك فاقتحموا بلاد فارس، واضطر أنوشروان إلى بناء سور حصين من الآجر عند جرجان لحمايتها من الأتراك، كما بنى حصونا أخرى تمنع رعيته من اعتداءات الترك[٤] .

ويخبرنا المسعودي بأن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان أهدى إلى ملك الروم هدايا كثيرة نظير مساعدته له في إعادة الحكم إليه من بهرام جوبين الذي سيطر عليه. وأنه كان من بين هذه الهدايا "مائة غلام من أبناء راكانة الترك في نهاية الحسن والجمال واستقامة الصور، في آذانهم أقراط الذهب فيها الدر واللؤلؤ"[٥] .

وهذا الخبر يؤكد أن الحروب التي شنها الفرس على الترك قد جلبت لهم أسرى كثيرين من الترك، وربما أسر أنوشروان كثيراً من الترك الهياطلة أثناء حربه لهم، أو لعل خاقان دولة (تو -

---

(١) والدة هرمز بن أنوشروان هي فاقم بنت خاقان ملك الترك، وقد أساء هرمز في مملكته، فتكالبت عليه الملوك، وكان من بينهم خاقان الترك (تو - كيو).

انظر مروج الذهب - للمسعودي - ج١ ص ٢٦٥.

(٢)انظر تاريخ ابن الوردي - ج١ ص ٧٢.

وتركستان - قلب أسيا - لعبد العزيز جنكيز خان - ص ٢٦.

(٣) انظر مروج الذهب - للمسعودي - ج١ ص ٢٦٥، وفتوح البلدان - للبلاذري ص ١٩٥.

(٤) انظر مروج الذهب - للمسعودي ج١ ص ٢٦٧.

وتاريخ ابن الوردي ج١ ص ٧١.

ويذكرنا بناء أنوشروان للسور خوفاً من اعتداءات الترك، بموقف ملك الصين عندما بنى سوراً لحماية بلاده من اعتداءات الترك أيضاً، وهذا يشير إلى طبيعة الأتراك وعاداتهم الحربية.

انظر صفات وعادات الترك بعد قليل في هذا الفصل.

(٥) انظر مروج الذهب ج للمسعودي ج١ ص ٢٧١.

كيو) أهداه غلماناً كثيرين أثناء علاقة الود والمصاهرة التي كانت بينهما وكل ذلك محتمل.

وجملة القول: إنه كانت هناك علاقة بين الترك والفرس، وبخاصة الدولة الساسانية، وهذه العلاقة اتسمت تارة بالعداء، وتارة أخرى بالود إلى درجة المصاهرة، وهذا ما سيفسر لنا فيما بعد سبب استنجاد يزدجرد - آخر ملوك الساسانيين الفرس - بملك الترك أثناء الفتوحات الإسلامية لبلاد فارس وخراسان، على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

* * * * *

صفات وعادات الترك:

لقد استطاع الجاحظ بما لديه من خبرة في المجالين الفكري والتربوي أن يصور لنا جانباً مهما من صفات الترك وعاداتهم في رسالته الشهيرة عن (مناقب الترك)[١] وسنحاول هنا اقتباس بعض هذه الصفات وتلك العادات مما يخدم موضوع بحثنا.

صفات خلقية ونفسية:

إن التركي متميز في شكله، فهو يعرف بسهولة ويسر، فأنت لاتغلط فيه، ولا تحتاج في معرفته إلى قيافة، ولا إلى فراسة، ولا إلى مساءلة، بل إنك لاتغلط في نسائهم فهن مثلهم، وأكثر من ذلك أنك ترى دوابهم تركية مثلهم[٢] .

وإذا كان التركي على هذا الحال، فإن له صفات نفسية وخلقية تميزه عن غيره من الأجناس الأخرى، فهو مثلاً لايعرف (الملق[٣] ولا الخلابة[٤] ، ولا النفاق ولا السعاية، ولا التصنع ولا النميمة ولاالرياء...)[٥] .

والتركي جُبِل على الحركة، وسرعة اللحظ[٦] وشدة اليقظة لدرجة أنه لولا الحاجة إلى شيء من النوم للراحة لما نام، ومع هذا فإن نومه أيضاًمشوب باليقظة، ويقظته سليمة من الوسنة[٧] .

---

(١) رسالة (مناقب الترك) أرسلهاالجاحظ إلى الفتح بن خاقان نديم المتوكل العباسي، وكان يزمع إرسالها للخليفة المعتصم إلا أنه تأخر في إرسالها لظروف لم يفصح هو عنها.

انظر رسائل الجاحظ ج١ ص ٣٦.

(٢) انظر المصدر السابق ج١ ص٦٢، ٦٣.

(٣) الملّق: اللين من الكلام، والملِق: الذي يعد ولا يفي.

انظر المعجم الوسيط – أصدره مجمع اللغة العربية – ط: المكتبة العلمية – طهران – ج٢ ص ٨٩٢.

(٤) الخلابة: الخديعة برقيق الحديث. وفي الحديث أنه ي قال لرجل: (إذا بايعت فقل: لاخلابة).

انظر المعجم الوسيط ج١ ص ٢٤٧.

(٥) انظر رسائل الجاحظ – ج١ ص ٦٢.

(٦) انظر المصدر السابق ج١ ص ٦٥.

(٧) انظر المصدر السابق ج١ ص ٦٠.

كما أن التركي يمتاز بحدة البصر، فكأن له أربعة أعين، عينان في وجهه وعينان في قفاه[(١)] ، ويمتاز كذلك بخفة البدن، فليس لبدنه على ظهر الدابة ثقل[(٢)] .

ومن صفات التركي حبه للوطن، وحنينه الشديد إلى ذلك، فقد ذكر قتيبة بن مسلم الترك فقال: (هم والله أحن من الإبل المعقلة إلى أوطانها)[(٣)] .

وقد تحدث الجاحظ عن أسباب حنين الترك لأوطانهم، ولاحظ كيف استقر الترك بعد ذلك في دار الخلافة في عهد المعتصم، فذكر أنهم كانوا قبل المعتصم (لايعرف قدرهم، وكان يغفل جانبهم، ولايستفاد بهم، حتى صادفوا ملكاً حكيماً، وبأقدار الناس عليماً، لايميل إلى سوء عادة ولايجنح إلى هوى، ولايتعصب لبلد على بلد، يدور مع التدبير حيث دار ويقيم من الحق حيثما أقام، أقاموا إقامة من قد فهم الحظ، ودان بالحق ونبذ العادة، وآثر الحقيقة، ورحل نفسه لقطيعة وطنه، وآثر الإمامة على ملك الجبرية، واختار الصواب على الإلف)[(٤)]

المهارات الحربية:

يمتاز التركي بمقدرة حربية فائقة، فهو يصيب بسهمة وهو مدبر مثلما يصيب وهو مقبل، بل إن إدباره أشد من إقباله، لأنه إذا أدبر كان السم الناقع، والحتف القاضي[(٥)]

والتركي كذلك يمتاز بسرعة الحركة، وسهولة التنقل، فكأنه ليس لبدنه على ظهر دابته ثقل، وليس لمشيه على الأرض وقع[(٦)] .

ومن الأدلة على سرعة حركة التركي، وكثرة تنقله، أنه إذا سار في غير عساكر الترك، فسار القوم عشرة أميال سار عشرين ميلاً، لأنه ينقطع من العسكر يمنة ويسرة، ويسرع في ذري

---

(١) انظر المصدر السابق ج١ ص٤٦ .
(٢) انظر المصدر السابق ج١ ص٥٨ .
(٣) انظر المصدر السابق ج١ ص٦٤ .
(٤) انظر المصدر السابق ج١ ص٦٦ .
(٥) انظر المصدر السابق ج١ ص٤٦ .
(٦) انظر المصدر السابق ج١ ص٥٨ .

الجبال، ويستبطن قعور الأودية في طلب الصيد، وهو في ذلك يرمي كل ما دب ودرج وطار ووقع[١] .

كما أن التركي عنده شدة تحمل وصبر إلى أبعد مستوى، لأنه إذا سار مع الناس، واشتد السير، واشتد التعب، وتفسخ كل شيء من شدة الحر، وخمد كل شيء من شدة البرد... ترى التركي في تلك الحال وقد سار ضعف ما ساروا، وقد أتعب منكبيه كثرة النزع[٢] ، ولو عرض له ثعلب أو أرنب ركض إليه ركض مبتدىء مستأنف، كأن الذي سار ذلك السير، ونصب ذلك النصب غيره[٣] .

وقد سبق أن بينا بعض الصفات الخلقية للترك، وهي لاشك ساعدتهم على اكتساب هذه المهارات الحربية.

وكما للتركي من شدة تحمل، فإنه صاحب حيل في الحرب، بل إنه لو رمى به في قعر بئر مكتوفاً لما أعجزته الحيلة[٤] .

والتركي يحب الشيء الصعب، ويؤثر المخاطرة، وليس عن تكلف بل عن طبع فيه، فقد ذكر الجاحظ عن الترك أنه إن بلغ الناس وادياً فازدحموا على مسلكه أو على قنطرته، بطن التركي برذونه فاقتحمه ثم طلع من الجانب الآخر كأنه كوكب، وإن انتهوا إلى عقبة صعبة ترك السَّنَنَ وذهب في الجبل صعداً، ثم تدلى من موضع يعجز عنه الوعل[٥] ، وأنت تحسبه مخاطراً بنفسه، للذي ترى من مطلعه ولو كان في كل ذلك مخاطراً لما دامت له السلامة مع تتابع ذلك منه[٦] .

---

(١) انظر المصدر السابق - ج١ ص ٤٩.

(٢) كثرة النزع بمعنى كثرة الجذب.

انظر المعجم الوسيط - ج٢ ص ٩٢١.

(٣) انظر رسائل الجاحظ - ج١ ص ٤٩، ٥٠.

(٤) انظر المصدر السابق ج ١ ص ٥٩، ٦٠.

(٥) الوعل: تيس الجبل وهو جنس من الماعز الجبلية له قرنان منحنيان كسيفين أحدبين.

انظر المعجم الوسيط ج٤ ص ١٠٥٦.

(٦) انظر رسائل الجاحظ ج١ ص ٥٠، ٥١.

ولو تتبعنا كل ما ذكره الجاحظ عن الأتراك ومهارتهم الحربية لوجدنا ذلك كثيراً.

وجملة القول: إنهم اشتهروا بالفروسية، وبمعرفة فنون الحرب، وبرعوا في ذلك جداً، ولم يكن همهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل، ومقارعة الأبطال، وطلب الغنائم، وتدويخ البلدان، وأحكموا ذلك الأمر بأسره، وصار ذلك هو صناعتهم وتجارتهم ولذتهم وفخرهم وحديثهم وسمرهم[1]، كما اشتهروا بالاحتيال في دخول المدن وعبور الأنهار في الحروب[2] حتى سموا بالحربيين.

ولعل هذه الصفات هي التي دفعت الصينيين والفرس إلى بناء أسوار لمنع اعتداءات الأتراك عليهما.

ويجدر بنا أن نعرض هنا لأسباب انتصارات الترك في الحروب بعد انضمامهم إلى الجيش الإسلامي، هل هي العادة الحربية؟ أم العقيدة مع العادة والطبع؟

يبدو أن انتصارات الترك في المجالات الحربية في الجيش الإسلامي كانت ترجع أولاً: لمعرفتهم بشئون الحرب وفنونه المختلفة، وثانياً: لروح الجهاد التي كانت تذكيها في النفوس قيادات الجيش، أو هؤلاء الذين كانوا يعظون الناس قبل الدخول إلى ساحة المعركة.

ومما يؤكد ذلك ما قاله الجاحظ من أن: «التركي في بلاده ليس يقاتل على دين ولا على تأويل، ولا على ملك، ولا على خراج، ولا على عصبية، ولا على غيرة دون الحرمة والمحرم، ولا على حمية، ولا على عداوة ولا وطن ومنع دار، ولا مال وإنما يقاتل على السلب والخيار في يده.

وليس يخاف الوعيد إن هرب، ولا يرجو الوعد إن أبلى عذراً -وكذلك هم في بلادهم وغاراتهم وحروبهم- وهو الطالب غير المطلوب، ومن كان كذلك فإنما يأخذ العفو من قوته، ولايحتاج إلى مجهوده، ثم هو مع ذلك لايقوم له شيء، ولايطمع فيه أحد، فما ظنك بمن هذه صفته أن لو اضطره إحراج أو غيرة أو غضب أو تدين، أو عرض له بعض ما يصحب المقاتل المحامي من العلل والأسباب[3]».

---

(١) انظر المصدر السابق ج١ ص ٧١، ٧٣.
(٢) انظر المصدر السابق ج١ ص ٨٤.
(٣) انظر المصدر السابق ج١ ص ٥٢.

الترك وركوب الخيل:

ومن أهم عادات الترك ارتباطهم بالخيل، فالترك لايتركون ظهور الخيل ولو حصلت عمر التركي، وحسبت أيامه لوجدت جلوسه على ظهر دابته أكثر من جلوسه على الأرض(١) .

« والتركي هو الراعي، وهو السائس، وهو الرائض وهو النخاس، وهو البيطار، وهو الفارس(٢) » .

ولاشك أن التركي كان يعتني بالخيل، لأنها من أهم عدة الحرب بالنسبة له، ولعلنا ندرك صلة التركي بالخيل من هذه الحوادث المتكررة التي حدثت بسبب ركوض الترك بخيولهم داخل بغداد واصطدامهم بالناس، مما حدا بالمعتصم إلى نقل حاضرة الخلافة، وبناء مدينة جديدة على ما سيأتي ذكره في مكانه إن شاء الله.

كما أن المعتصم جهز للأتراك فى مدينته الجديدة «سامراء» اصطبلات وأماكن للخيل ، مما يدل على أهمية الخيل بالنسبة للأتراك، فكانت أماكن معيشتها ضمن التخطيط للمدينة .

* * * * *

---

(١) انظر المصدر السابق ج١ ص٤٦.
(٢) انظر المصدر السابق ج١ ص٤٧، ٤٩.

من معتقدات الترك قبل الإسلام:

كان الترك قبل الإسلام يدينون بديانات عديدة، منها السمنية، والشامانية، والمانوية، والبوذية، والمجوسية، والزرادشتية، والمسيحية، وذلك بحكم توسطهم بين مملكتي الفرس والصين.

وكانت بعض هذه الديانات تدخل عن طريق التجارة، وبعضها عن طريق التبشير، وربما عن الطريقين معاً، وقد أكدت نقوش أورخون التي سبق التعريف بها وجود بعض هذه الديانات.

غير أن هذه الديانات لم تحظ بالاستقرار، لأن معتنقيها كثيراً ما كانوا يرتحلون في هجرات جماعية[١] ، وربما أفقدهم عدم الإستقرار ديانتهم، بل ربما أكتسبوا ديناً جديداً بحكم المكان الذي ارتحلوا إليه.

وفيما يلي عرض مختصر لبعض هذه المعتقدات:

أولاً : السمنية:

تحدثت نقوش أورخون عن عقيدة تدعى السُّمنية، وهي ديانة الترك الوطنية ويذكر الدكتور سعد زغلول نصار مفاد هذه الديانة: (أن الأرض والسماء تمتلئان بالأرواح الخيرة والأرواح الشريرة، وأنه عن طريق وساطة الكاهن المسمى سامان، يمكن السيطرة على الأرواح الشريرة واكتساب محبة الأرواح الخيرة، وذلك بفضل التأمل في قبة السماء)[٢] .

ثانياً: الشامانية:

وهي عقيدة تتعلق بمواسم الجنائز والدفن، فقد روت المصادر الصينية وجود تماثيل لقتلى

---

(١) انظر تاريخ الترك في آسيا الوسطى – لبارتولد – ص ٣٥، ٣٦.

(٢) انظر الإسلام والترك في العصور الوسطى – د. سعد زغلول نصار – بحثاً في مجلة عالم الفكر – مجلد ١٠ ج١ ص ١٩٥.

الجند بجوار قبورهم، وأكدت نقوش أورخون ذلك حيث كانت تسمى هذه التماثيل (بلبال)[١] .

ورو‌ت المصادر البيزنطية أن الرؤساء العسكريين الذين كانوا يقعون في أسر الترك كانوا يذبحون عادة أمام الخان، وهذا يرجع إلى عقيدة عندهم مفادها أن القتلى يصبحون في العالم الآخر خدماً لقاتليهم[٢] .

كما روت المصادر الصينية أيضاً أن الأتراك كانوا يحرقون جثث الموتى، أما نقوش أورخون فقد روت أن الأتراك كانوا يعتقدون أن روح الإنسان تتناسخ بعد موته فتصبح طائراً أو حشرة، وكان الترك إذا مات ميتهم يقولون: إنه طار[٣] .

ثالثاً: المانوية[٤] :

كانت هذه الديانة أول دين اعتنقه الترك بوصفهم شعباً بعد الديانة الشامانية، وكانت المانوية ذات أسس أخلاقية يعتنقها الترك، فبينما كان من مبادىء الشامانية: أن قتل الإنسان يفيد يوم القيامة، فإن ديانة ماني لاتكتفي بتحريم قتل الإنسان بل تحرم أكل لحم الحيوان[٥] .

وقد كان الأتراك يفهمون التضاد بين الديانتين، ومسطور في نقوش أورخون أن الأمة التي كانت تأكل اللحم ستأكل الأرز، والبلد الذي يكثر فيه القتل يسود فيه - فيما بعد - الأمر بالمعروف[٦] .

ولكن... كيف دخلت هذه الديانة بلاد الترك؟

---

(١) انظر المرجع السابق ص ١١٤.

(٢) انظر المرجع السابق - نفس الصفحة.

(٣) انظر المرجع السابق - ص ١٥ ، ١٦.

(٤) المانوية نسبة إلى رجل يدعى ماني، وقد ادعى النبوة في بلاد فارس في عهد سابور - ثاني ملوك الساسانيين، وتبعه خلق سموا بالمانوية.

انظر تاريخ ابن الوردي ج١ ص ٦٦.

ومجلة الدراسات الأدبية - يصدها قسم اللغة الفارسية بالجامعة اللبنانية موضوع (ماني ودينه) بقلم أ. السيد حسن تقي زادة ص ١٩٥، وما بعدها.

(٥) انظر تاريخ الترك في أسيا الوسطى - لبارتولد - ص ٤٨.

(٦) انظر المرجع السابق ص ٤٩.

يقال: إن السبب الرئيسي في إنتشار الديانة المانوية هو التجارة[1] ، ويذكر بارتولد أن الديانة المانوية دخلت في بداية القرن الثالث الميلادي بلاد الترك، وأدخلت معها الأبجدية المانوية[2] .

رابعاً: البوذية[3] :

روت المصادر الصينية أن الخان أراد إقامة معبد بوذى في عاصمة ملكه، ولكن مستشاره (تيونيو قوق) حوّله عن هذا الرأي بقوله: إن الديانة تؤثر تأثيراً سيئاً على خصائص الترك العسكرية[4] .

ومع هذا فقد انتشرت البوذية بفضل مروجيها من الهنود، وكذلك التجار الهنود الوافدين على هذه البلاد، وكانوا يستخدمون الأبجدية الهندية في ترويج الديانة[5] .

خامساً: المجوسية:

وهي ديانة فارسية قديمة، مفادها عبادة النار والشمس والقمر[6] .

وذكر ياقوت في معجمه الرحلة التي قام بها رسول عبد الملك بن مروان داخل بلاد الترك، ويذكر أن هذا الرسول مر بقرى متصلة وعمارات كثيرة لمدة عشرين يوماً، وأن أكثر أهل القرى عبدة نيران على مذهب المجوس[7] .

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٤٧.

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٢.

(٣) البوذية: مذهب وثني ينتمى أصحابه إلى بوذا الهندي المولود سنة ٥٠٠ قبل الميلاد.
انظر مجلة الدراسات الأدبية – موضوع بوذا والبوذية – بقلم على أصغر حكمت – ص ٢٨٥، وما بعدها.

(٤) انظر تاريخ الترك في أسيا الوسطى – لبارتولد – ص ١٢.

(٥) انظر المرجع السابق – ص ١٢ ، ١٤.

(٦) انظر مجلة الدراسات الأدبية ص ١٠٧.
والمعجم الوسيط ج٢ ص ٨٦١.

(٧) انظر معجم البلدان – لياقوت – ج١ ص ٢٣، ٢٤.

سادساً: الزرادشتية[١] :

وهي ديانة قامت على أنقاض المجوسية فجددتها وزادت فيها، ولذلك كان يطلق على أتباع الزرادشتية: المجوس[٢] ، ولد تأثر الترك بالمدنية الفارسية، وبالديانة القومية الفارسية، وهي الزرادشتية، وكان ذلك بسبب الاحتكاك بين الترك والفرس[٣] ، لكن هذه الديانة لم يكن لها نشاط تبشيري عالمي مثل المانوية[٤] .

سابعاً: المسيحية[٥] :

دخلت المسيحية أيضاً بلاد الترك في القرن الثالث الميلادي، وكان المبشرون يستخدمون الأبجدية السريانية[٦] .

ومن الجدير بالذكر أنه كان لدخول الترك في ديانة ماني - كما يقول بارتولد - أهمية كبيرة في تاريخهم، إذ ليس لدينا ما يثبت - مهما يكن توفيق المبشرين - أن البوذية أو المسيحية أصبحت ديناً لشعب كامل من الترك، لا في القرن الثامن الميلادي، ولا قبل ذلك، ولكن المانوية كانت أول دين دخله الأتراك بوصفهم شعباً بعد الديانة الشامانية[٧] .

* * * * *

---

(١) الزرادشتية: مذهب ينتمى إلى زرادشت، وهي مثل المانوية في الترفق بشمائل الإنسان، لدرجة أنها أضعفت الروح العسكرية عند الترك التفزغز.

انظر تاريخ الترك في أسيا الوسطي - لبارتولد - ص ٥٢.

ومجلة الدراسات الأدبية موضوع (زرادشت وأصول الديانة الزرادشتية) بقلم د. محمد محمدي - ص ١١٧. وما بعدها.

(٢) انظر مجلة الدراسات الأدبية - ص ١١٧.

(٣) انظر تاريخ الترك في أسيا الوسطى لبارتولد - ص ٤٠.

(٤) انظر المرجع السابق ص ١٢.

(٥) المسيحية: ديانة يقصد بها أتباع المسيح عليه السلام، وهي طوائف أشهرها الكاثوليكية، والأرثوزكسية، ويمكن الرجوع إلى موسوعة مقارنة الأديان - الجزء الثاني (المسيحية) لأستاذنا الدكتور: أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية.

(٦) انظر تاريخ الترك في أسيا الوسطى - لبارتولد - ص ١٢.

(٧) انظر المرجع السابق - ص ٤٨.

الفصل الثاني

تطور علاقة الأتراك بخلافة الراشدين والأمويين

موضوعات الفصل

الفصل الثاني

تطور علاقة الأتراك بخلافة الراشدين والأمويين

* * *

أولاً: الأتراك في عهد الخلفاء الراشدين:

مقدمة:

ظهرت حركة الردة في المجتمع الإسلامي بوضوح شديد بعد وفاة الرسول ي ، ولكن أبا بكر الصديق رضوان الله عليه الخليفة الراشد الأول – استطاع أن يقف ضد هذه الحركة بحزم وقوة[٢] ، وأن يعيد للمجتمع الإسلامي الاستقرار، وقد قضى على هذه الحركة المدمرة في وقت قصير، وبذلك توحدت صفوف المسلمين، وطُهرت من ضعاف الإيمان، وغدا ذلك تمهيداً طبيعياً لحركة الفتوحات الإسلامية التي بدأت تأخذ خطوات عملية جادة[٣] .

---

(١) بدأت حركة الرِّدة منذ حياة الرسول ي بظهور بعض المتنبئين، غير أن الأمر قد زاد بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فظهرت هناك ردة جزئية تمثلت في منع الزكاة، وردة كلية تمثلت في الارتداد عن الإسلام كلية، وقد وقف الصديق رضوان الله عليه وقفة حاسمة ضد هؤلاء وهؤلاء.

(٢) انظر أخبار الردة والمرتدين في:

تاريخ الطبري ج٢ ص ٤٩، وما بعدها.

ومروج الذهب – للمسعودي – ج٢ ص ٣١٠، ٣١١.

وتاريخ الخلفاء – لجلال الدين السيوطي – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط الرابعة (١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م) المكتبة التجارية الكبرى – مطبعة الفجالة الجديدة بمصر ص ٧٤، ٧٥.

وإتمام الوفاء في سيرة الخلفاء – للشيخ محمد الخضري – ط الاستقامة بمصر نشر المكتبة التجارية الكبرى ص ٢٢ وما بعدها.

وموسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لأستاذنا الدكتور / أحمد شلبي. ج١ ص ٢٨١، وما بعدها تحت عنوان: (المشكلات التي واجهها أبو بكر رضي الله عنه).

(٣) انظر إتمام الوفاء – للخضري – ص ٤٩.

وبدأت فتوحات العراق في عهد الصديق رضي الله عنه، وأصبح الطريق ممهداً لفتح بلاد فارس، ووافت أبا بكر رضي الله عنه منيته، والمسلمون في مواجهة الفرس[١] .

وترك أبو بكر لعمر رضي الله عنهما مجتمعاً إسلامياً مستقراً إلى حد بعيد، فاستطاع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أن يواصل حركة الفتوح التي بدأها الصديق رضي الله عنه، وقد أبدى عمر اهتماماً كبيراً بالفتوحات في المجالين الفارسي والبيزنطي، وأعطى بلاد فارس الاهتمام الأكبر، فأرسل الجيوش نحوها.

وتوغلت الجيوش الإسلامية في هذه البلاد فتحاً ونشراً للدين الإسلامي الحنيف، وواصلت الجيوش سيرها فدخلت بلاد خراسان، والتقت بالأتراك لأول مرة في هذه البقاع، واشتبكت معهم بعد ذلك كقوة مساندة للفرس قدمت من ما وراء النهر لهذا الغرض، وكان انتصار المسلمين عليهم إيذاناً بغزوهم - فيما بعد - في عقر دارهم.

ونسير مع المسلمين منذ دخلوا بلاد فارس، ثم خراسان، وحتى بلاد ما وراء النهر، ونختصر الحديث عن ذلك الفتح في أرض فارس مركزين في النهاية على ما يهمنا منه، وهو أول صدام مسلح بين المسلمين والترك.

عمر رضي الله عنه وفتح فارس:

لقد صدر أمر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتح بلاد فارس[٢] ، فزحفت

---

(١) فتح المسلمون الحيرة والأنبار، ودانت لهم قرى كثيرة وأصبحوا في مواجهة الفرس.

انظر حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول - دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية في القرن الأول. د. شكري فيصل - ط. الخانجي بالقاهرة (١٣٧١هـ / ١٩٥٢م) ص ١٦، ومابعدها.

وموسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب (باكستان الحالية) في عهد العرب. د. عبد الله مبشر الطرازي ط الأولى (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) عالم المعرفة - جدة - ج١ ص ١٢٠، ١٢١.

التاريخ الإسلامي والخلافة العباسية - المجلد الخامس لمحمود شاكر ط المكتب الإسلامي (١٩٨٦م ص ٢٧.

والتاريخ الإسلامي العام (الجاهلية - الدولة العربية - الدولة العباسية) د. على إبراهيم حسن ط. مكتبة النهضة المصرية ص ٢٩.

(٢) حول سبب صدرو أمر الخليفة عمر رضي الله عنه بفتح بلاد فارس.

انظر تاريخ الطبري ج٤ ص ١٣٢ - ١٤٠.

والتاريخ الإسلامي العام د. على إبراهيم حسن - ص ٢٢٩.

الجيوش الإسلامية، والتقت بالفرس، وكانت وقائع ونوازل[1]، جهد المسلمون فيها وأبلوا بلاءً حسناً حتى كتب الله لهم النصر، ولم يفتر عزم المسلمين، بل كانوا يزدادون قوة وصلابة ضد عدوهم، واستطاعوا بعد فتح المدائن[2] عاصمة ملك الساسانيين - أن يجعلوا يزدجرد - آخر ملوك الفرس - يضطر إلى الفرار مهزوماً، ويحمل ما قدر عليه، ثم يجمع شمله من جديد بغية مواجهة جديدة عند جلولاء[3].

وعند جلولاء التقى يزدجرد وفلوله بالمسلمين، وفر بعد هزيمة منكرة، وجند من جديد جنداً كثيفاً، وتجمع بهم عند نهاوند[4] وهناك كانت بداية النهاية ليزدجرد وأعوانه، فقد انتصر المسلمون، وفتحت نهاوند، وسمي هذا الفتح (فتح الفتوح)[5].

---

(١) كانت هناك مواقع عديدة بين المسلمين والفرس، بدءاً بمعركة النمارق والجسر.. والقادسية، ... وانتهاءً بنهاوند.

انظر فتوح البلدان - للبلاذري - ص ٢٥٥، وما بعدها.

وحركة الفتح الإسلامي - د. شكري فيصل ص ٤٧ - ٥٨.

والقادسية لأحمد عادل كمال - ط، دار النفائس ببيروت.

والذخائر والتحف - للقاضي الرشيد بن الزبير (ق. الخامس الهجري) تحقيق د. محمد حميد الله - مراجعة د. صلاح الدين المنجد - سلسلة التراث العربي (١) الكويت (١٩٥٩م) ص ١٥٧، ١٥٨.

(٢) المدائن: مدينة عظيمة قديمة، كان بها إيوان كسرى المعروف.

انظر صورة الأرض - لابن حوقل - ص ٢٤٤.

ومعجم البلدان - لياقوت ج٥ ص ٧٤، ٧٥.

(٣) جلولاء: هناك مدينتان بهذا الاسم: الأولى في الطريق إلى خراسان، وهي المقصودة هنا. والثانية مدينة مشهورة في أفريقية قريبة من القيروان.

انظر تاريخ ابن الوردي - ج١ ص ٢٢٢.

ومعجم البلدان - لياقوت - ج٢ ص ١٥٦.

(٤) نهاوند: مدينة عظيمة قديمة، بينها وبين همدان ثلاثة أيام.

انظر البلدان - لأحمد بن واضح اليعقوبي (٢٨٤هـ) ط(١٣٥٧هـ - ١٩٥٧م) الثالثة - الحيدرية - النجف ص ٢٧.

ومعجم البلدان - لياقوت ج٥ ص ٣١٣، ٣١٤.

(٥) انظر تاريخ الطبري ج٤ ص ١٦٧، ٢١٦، ٢٨٧.

والكامل في التاريخ - لعز الدين ابن الأثير - ط (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) دار صادر بيروت ج٢ ص ١٦.

وتاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٢٦.

ورغم ذلك فر يزدجرد صوب خراسان، وأخذ يثير الناس ضد المسلمين أينما حل[١] .

وأدرك المسلمون أن المقاومة الفارسية تتركز في شخص هذا الرجل ملك الفرس[٢] ، فصدر أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالانسياح في بلاد العجم، وتتبع ملك الفرس، وتأديب ناقضي العهود من البلاد المفتوحة الذين كان يهيجهم يزدجرد[٣] .

يزدجرد في خراسان:

فر يزدجرد إلى خراسان[٤] ، وأخذ يتنقل بين مدنها، والأحنف بن قيس - قائد جيش المسلمين[٥] يلاحقه، ويفتح المدن والبلاد[٦] وهو في طريقة يطارد يزدجرد وتضيق خراسان على

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج٤ ص ١٦٧.
والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص ١٦.

(٢) أرسل الأحنف بن قيس لعمر بن الخطاب رضي الله عنه رسالة تحمل هذا المعنى، أكد فيها أن أهل فارس لايزالون يساجلون المسلمين مادام ملكهم فيهم، وطلب الأحنف الإذن له بالانسياح في أرض الفرس، لإزالة يزدجرد عن فارس كلها، وقيل: إن هناك سبباً آخر مع ذلك السبب، هو نقض بعض البلاد المفتوحة عهدهم مع المسلمين.
انظر تاريخ الطبري ج٤ ص ١٦٠.
وإتمام الوفاء - للخضري - ص ٨٢.

(٣) انظر الكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٣ ص ١٦.

(٤) كانت خراسان محل تنازع - قديماً - بين دولة الهياطلة الترك وبين الساسانيين، وكانت تدور رحا الحرب على هذه البلاد، فتخضع خراسان تارة للساسانيين وتارة أخرى للهياطلة، غير أن دولة (تو - كيو أو الترك) كانت قد تعاهدت مع الساسانيين على أن يقضوا على الهياطلة، ويجعلوا الحدود بينهم نهر جيحون، فأصبحت خراسان من نصيب الفرس بعد ذلك.
انظر تركستان - قلب أسيا - لعبد العزيز جنكيز خان - ص ٢٣، ٢٤.

(٥) انظر ترجمته في الأعلام - لخير الدين الزركلي - الطبعة الخامسة (١٩٨٠م) دار العلم للملايين بيروت ج١ ص ٢٧٦، ٢٧٧.

(٦) توجه الأحنف نحو خراسان، فدخل من الطبسين، وافتتح هراة، وتوجه نحو مروالشاهجان، وكان بها يزدجرد، فلما علم قدومه فر إلى مرو الروذ.
انظر فتوح البلدان - للبلاذري - ص ٤٠٣.
وتاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٢٦.
والكامل في التاريخ لابن الأثير - ج٣ ص ١٨.
وكتاب كنتم خير أمة - لخير الله طلفاح ط. بغداد ج٥ ص ١٤٠، ١٤١.

يزدجرد، وتضعف قوته وتقل حيلته، ويرسل من مرو الروذ[١] إلى الملوك من حوله[٢] ، فيرسل إلى ملك الترك (خاقان) وإلى ملك الصغد وإلى ملك الصين، يستمدهم ويستنجدهم[٣] .

يزدجرد وخاقان الترك:

فر يزدجرد إلى ما وراء النهر، والتقى بملك الترك، ورجع ملك الفرس بجيش كثيف على رأسهم خاقان نفسه، وقد حشد معه أهل فرغانة والصغد وعبروا جميعاً جيحون إلى بلخ[٤] .

ونقف هنا لنتساءل عن سبب تلبية خاقان الترك لملك الفرس، وعبوره معه نهر جيحون لمحاربة المسلمين في الجانب الغربي من النهر؟

ذكر الطبري أن خاقان لم ينجد يزدجرد إلا بعد أن عبر مهزوماً إليه. ثم علق الطبري على سبب هذه النجدة بقوله: (والملوك ترى على أنفسها إنجاد الملوك) ثم ذكر أن خاقان: (أقبل في الترك مع يزدجرد)[٥] .

---

(١) هناك بلدان يحملان اسم (مرو) الأولى في الشمال عند منتصف المسافة ما بين نيسابور وبخارى، وتعرف بمرو الشاهجان، والثانية تسمى مرو الروذ لتمييزها وتقع إلى الجنوب من الأولى، والروذ معناه بلغة خراسان: النهر، ومرو تعني: الحجارة البيضاء فيصبح معنى مرو الروذ: نهر الحجارة البيضاء ، أما مرو الشاهجان، فمعنى الشاه: الملك، وجان: الروح أو النفس فيصبح الاسم: روح الملك ومرو الشاهجان: تقع اليوم ضمن جمهورية تركمانستان.

انظر معجم البلدان - لياقوت ج٥ ص ١١٢.

ومسالك الممالك - للأصطخري - ص ١٤٧، ١٥٢.

وقتيبة بن مسلم الباهلي (سلسلة مشاهير قادة الإسلام (٣ لبسام العسلي ط السادسة (١٩٨٥م) دار النفائس بيروت ص ٢٠.

(٢) لم يمهل المسلمون يزدجرد حتى يستقر في مرو الروذ، وإنما سارعوا خلفه فخرج عنها إلى بلخ، ولحق جيش الكوفة بقيادة عبد الله بن بديل إلى بلخ، ففر يزدجرد عابراً نهر جيحون ليتصل ببلاد ما وراء النهر، وحضر الأحنف بجيش البصرة ليجد ابن بديل قد كفاه المهمة.

انظر فتوح البلدان - للبلاذري - ص ٤٠٣.

وحركة الفتح الإسلامي - شكري فيصل - ص ١٤٨.

(٣) انظر تاريخ الطبري - ج٤ ص ١٦٧.

وتاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٢٦.

(٤)انظر المصدرين السابقين نفس الجزء والصفحة.

والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص ١٨.

(٥) انظر تاريخ الطبري ج٤ ص ١٦٨ ، ١٦٩.

وكلام الطبري يشير إلى أن خاقان لم يكن يعلم حقيقة الصراع مع ملك الفرس، فلما تأكدت هزيمته، وعبر النهر لخاقان، رأى أنه من حقه عليه أن ينجده، فأقبل معه بجنوده.

وليس ما قاله الطبري هو وحده سبب نجدة خاقان الترك لملك الفرس فحسب بل يبدو لي أن هناك أسباباً أخرى، منها: وجود علاقات وثيقة قديمة بين الترك والفرس، وبخاصة الساسانيين(١) ، وربما إظهار خاقان لمهارته الحربية، أو لتكون له يد عند ملك الفرس، أو لمحاربة المسلمين، لأنهم يمثلون خطراً شديداً على مملكته هو، إن سقط الخط الدفاعي الأول - وهو أرض فارس وخراسان - في يد المسلمين، وأخيراً ربما كان وعد يزدجرد لخاقان بإعطائه أموال كسرى، أو على الأقل بنقلها إليه من أهم الأسباب التي دعت خاقان إلى نجدة ملك الفرس(٢) .

أول لقاء حربي بين المسلمين والترك في عهد عمر رضي الله عنه:

وصل يزدجرد وخاقان بجيشه إلى بلخ، ورجع الجيش الذي كان في بلخ إلى مرو الروذ، بعد علمهم بقدوم يزدجرد والترك، وتوجُّهه نحو بلخ واستعد الأحنف بن قيس بجيش كثيف من أهل الكوفة وأهل البصرة وذلك لمحاربة هذا الزحف القادم من ما وراء النهر، لاستعادة ملك كسرى وإرهاب المسلمين(٣) .

وكان هذا هو أول لقاء حربي بين جنود الإسلام وبين الترك، ولهذا خطط الأحنف له بدقة وحكمة وحذر، وأقبلت الترك يغادون المسلمين فإذا أقبل الليل تنحوا عنهم(٤) .

وخرج الأحنف ليلة طليعة لأصحابه، حتى إذا كان قريباً من عسكر خاقان الترك وقف، فلما كان وجه الصبح خرج فارس من الترك بطوقه فضرب بطبله ثم وقف من العسكر موقفاً يقفه مثله، فحمل الأحنف عليه فتقاتلا، فطعنه الأحنف فقتله، وأخذ طوق التركي ووقف، فخرج آخر

---

(١) سبقت الإشارة إلى ما كان بين خاقان ملك الترك وبين آل ساسان من علاقة مصاهرة في الفصل الأول.

(٢) ترك يزدجرد خاقان في مواجهة المسلمين وذهب ليجمع أمواله، وصرح لأهل فارس بأنه يريد اللحاق بخاقان الترك انظر المصدر السابق ج٤ ص ١٧٠.
والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٣ ص ٣٦.

(٣) انظر تاريخ الطبري - ج٤ ص ١٦٩.

(٤) انظر الكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٣ ص ٣٤.

ففعل فعل صاحبه، ففعل معه الأحنف مثل الأول، ثم خرج ثالث ، ففعل مثل فعل صاحبيه، فحمل عليه الأحنف فقتله ثم انصرف إلى عسكره[1] .

وكانت عادة الترك أنهم لايخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم أكفاء، كلهم يضرب بطبله، ثم يخرجون بعد خروج الثالث، فلما خرجوا تلك الليلة بعد الفارس الثالث، ووجدوا فرسانهم مقتلين، تشاءم خاقان وتطيّر وقال: قد طال مقامنا، وقد أصيب فرسانا، ما لنا في قتال هؤلاء القوم خير) فرجعوا، وارتفع النهار للمسلمين، ولم يروا منهم أحداً، وأتاهم الخبر بانصراف خاقان والترك إلى بلخ[2] .

ويجدر بنا أن ينقف عند كلام خاقان موقف تأمل وتحليل:

يقول خاقان: (قد طال مقامنا) فكأنه كان ينتظر شيئاً فتأخر عليه، وربما قصد أنه طال المقام دون نتيجة حاسمة في الحرب، (وأصيب فرسانا) فقد أدرك قوة المسلمين عين اليقين) ما لنا في قتال هؤلاء القوم خير) ويستشف من ذلك أن خاقان كان يؤمل أو ينتظر خيراً ما من وراء محاربة المسلمين، فما هذا الخير الذي كان ينتظره؟ أهو أموال كسرى؟ أم إرعاب وتخويف المسلمين حتى لايجرؤوا على غزوه؟ أم مجرد الدفاع عن كسرى، ومساندته في محنته التي هو فيها؟ أم أن قول خاقان هذا مجرد قول يخفي حالة خيبة الأمل التي أصيب بها بعد أن رأى فرسانه مقتلين.

ربما لايستطيع المرء - في ضوء المصادر المتاحة - أن يجزم برأي قاطع في ذلك، غير أنه يمكن ترجيح بعض الأمور من خلال متابعة عرض الأحداث فيما يلي:

لقد ترك يزدجرد خاقان في مواجهة المسلمين بمرو الروذ، وانصرف خفية إلى مرو الشاهجان، واستخرج خزائنه التي تركها هناك أثناء فراره أمام المسلمين[3] ، لكنه لما أراد الخروج بها - وكانت كثيرة - اعترض عليه بعض الفرس ودار بينه وبينهم الحوار التالي:

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج٤ ص ١٦٩، ١٧٠.
والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص ٣٦.

(٢) انظر المصدرين السابقين - نفس الجزء والصفحة.

(٣) تحدث الطبري عن خط سير يزدجرد بخزائنه حتى وصل مرو الشاهجان.
انظر تاريخ الطبري ج٤ ص ١٦٦، ١٦٧.

أهل فارس: أي شيء تريد أن تصنع؟

يزدجرد: أريد اللحاق بخاقان، فأكون معه، أو بالصين.

أهل فارس: إن هذا رأي سوء، ارجع بنا إلى هؤلاء القوم - يعني المسلمين - فصالحهم فإنهم أوفياء، وهم أهل دين، وإن عدواً يلينا في بلادنا أحب إلينا من مملكة عدو يلينا في بلاده ولا دين له، ولا ندري ما وفاؤهم؟[1] ، لكن يزدجرد أبى عليهم.

فقالوا له: دع خزائننا نردها إلى بلادنا ومن يلينا، لانخرجها من بلادنا.

فأبى، فاعتزلوه، وقاتلوه، وأخذوا الخزائن، واستولوا عليها، وانهزم منهم، ولحق بخاقان[2] .

علم الأحنف بذهاب يزدجرد إلى مرو الشاهجان، وبلغه خبر انهزامه وتوجهه نحو بلخ إلى خاقان، فأسرع الأحنف نحوهما، غير أنهما تركا بلخ وعبرا النهر، ونزل الأحنف بلخ، وكتب إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بالفتح[3] .

وإذا تأملنا الأحداث السابقة، وجدنا ما يلي:

ترك يزدجرد أرض المعركة التي تخصه، ورضي عن ذلك خاقان، فلماذا؟

والإجابة واضحة حددها يزدجرد وهو يحمل كنوزه ويقول: أريد اللحاق بخاقان، فأكون معه) ويمكن أن نستنتج من ذلك أن وعداً ما قد أبرمه يزدجرد مع خاقان، ولعله مما يؤكد هذا الاستنتاج ما صرح به خاقان وهو في مواجهة المسلمين بعد أن رأى فرسانه مقتلين من قوله: (قد طال مقامنا.. وليس لنا في قتال هؤلاء القوم خير). فكأنه أدرك أنه يمكن أن يصاب يزدجرد بسوء، أو يصاب جيش الأتراك، دون أن يدرك شيئاً من أموال كسرى، ويؤكد ذلك أيضاً ما ذكره الطبري من أن خاقان كان مقيماً ببلخ ينتظر يزدجرد، ولم يرحل عنها حتى أتاه فعبرا النهر[4] .

---

(١) انظر المصدر السابق ج٤ بص ١٧٠.
والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٣ ص ٣٦.
(٢) انظر المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.
(٣) انظر تاريخ الطبري ج٤ ص ١٧٠.
(٤) انظر المصدر السابق - نفس الجزء والصفحة.

ويأتي دور يزدجرد من جديد، فيلحق بخاقان، وقد خاب مسعاه، ويعبرا معاً النهر نحو بلاد الترك.

ولكن من العجيب أن نرى خاقان قد ترك الميدان هكذا بسرعة لمجرد قتل ثلاثة من جنوده الأكفاء، فهل كان يظن أن حربه مع المسلمين فيها الكسب دون الخسارة؟ يبدو أن هذا لم يكن في تصوره، وإنما الذي يستشف من موقفه هذا هو أن هدفه لم يكن الحرب، وإنما كان أموال كسرى التي وعده بها يزدجرد، ومن يدري.. ربما أرسل خاقان عيونه خلف كسرى، فلما علم أنه قد غلبه قومه على خزائنه آثر السلامة، وعدم الخوض في حرب لاطائل من ورائها.

ولعل هذا يفسر لنا سر استخدام خاقان لأسلوب المناجزة مع المسلمين دون الهجوم السريع، فالهدف إذن هو العودة بمال كسرى وبالجيش سالمين.

على كل حال.. رجع خاقان ومعه يزدجرد ببعض أهله، وأعطاه خاقان عهداً، وأقامه بفرغانة، بعيداً عن مقر ملكه، وهذا يوضح جانباً من أسباب محاربة الترك مع الفرس ضد المسلمين، حيث لم يعد هناك من دا ع لتكريم يزدجرد واستقباله استقبال الملوك، وإنما يوضع في مكان ليس له فيه إلا مجرد الحماية.

ومع هذا فقد كان يزدجرد يكاتب أهل خراسان وهو مقيم بفرغانة طوال عهد عمر، رضي الله عنه، وكان الخراسانيون يكاتبونه[1] وقد انتقضوا فيما بعد في عهد عثمان رضي الله عنه على المسلمين[2] ، ويبدو أن هذا الانتقاض كان نتيجة مكاتبات ملك لفرس لهم، ومكاتباتهم له.

وفي حين كان يزدجرد في فرغانة طريداً كان أهل الفارس قد أقبلوا على الأحنف، وصالحوه، ودفعوا له خزائن وأموال كسرى.

وأرسل عمر إلى الأحنف يأمره أن لايجاوز بالمسلمين جيحون.

---

(١) انظر المصدر السابق ج٤ ص ١٧٣.

وتاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٢٦.

(٢) انظر المصدرين السابقين - نفس الجزء والصفحة.

وتجدر الإشارة إلى أن موقف عمر رضوان الله عليه هذا كان مقصده استتباب الأمن في البلاد المفتوحة، وعدم التوغل في الغزو إلا بعد استقرار الأوضاع في تلك المناطق، وبخاصة بعد أن انهار ملك يزدجرد وطُرد من بلاده، ودخل كثيرون تحت راية الإسلام غير أنهم كانوا في حاجة إلى معرفة هذا الدين الجديد الذي استظلوا بظله، فكانت هذه الوقعة .

وهذا الموقف من سيدنا عمر يرد على القائلين بأن الفتوحات الإسلامية كانت تهدف إلى السلب والنهب، وأن مقصد الفتوحات كان مادياً بحتاً.

أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بغزو الترك:

بعث عمر رضي الله عنه سراقة بن عمرو[١] إلى (الباب)[٢] لفتحه وكان مع سراقة عبد الرحمن بن ربيعة[٣] ، ولما تم فتح اباب توفى سراقة، بعد أن استخلف عبد الرحمن، فلما بلغ عمر رضي الله عنه الخبر أمّر ابن ربيعة على ما استخلفه عليه سراقة، وأمره بغزو الترك[٤] .

وحاول عبد الرحمن غزو الترك لكنه لم يتمكن من ذلك في عهدعمر رضي الله عنه[٥] ، ثم اشتبك مع الترك بعد ذلك في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهُزِم في هذا الاشتباك[٦] .

* * * * *

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام – للزركلي – ج٣ ص ٨٠.

(٢) الباب : مدينة عظيمة على بحر طبرستان (بحر الخزر).

انظر معجم البلدان – لياقوت – ج١ ص ٣٠٣.

(٣) انظر ترجمته في الأعلام – للزركلي ج٣ ص ٣٠٦.

(٤) انظر تاريخ الطبري ج٤ ص ٢٥٦.

والكامل في التاريخ – لابن الأثير – ج٣ ص ٢٨.

وموسوعة تاريخ السند والبنجاب د. الطرازي ج١ ص ١٢٢.

ويقال: إن عمر رضي الله عنه كان يرفض غزو الترك أولاً، ويقول عنهم هم (عدو شديد طلبه، قليل سلبه).

انظر رسائل الجاحظ ج١ ص ٥٧، ٧٦.

(٥) انظر الكامل في التاريخ – لابن الأثير ج٣ ص ١٢٩، ١٣١.

(٦) انظر المصدر السابق – نفس الجزء والصفحة.

وكنتم خير أمة – لخير الله طلفاح ج٥ ص ١٥٨.

الترك في عهد عثمان رضي الله عنه:

وفي خلافة عثمان رضي الله عنه انتقض كثير من البلاد التي فتحت في عهد الخليفة السابق، مماجعل عثمان يرسل واليه على البصرة عبد الله بن عامر[١] ليعيد فتح ما انتقض من بلاد فارس وخراسان[٢] .

لكن: ما الدافع لتذمر هذه البلاد؟ يبدو للباحث أن مكاتبة يزدجرد من فرغانة لأهل فارس كانت وراء هذا التذمر، ولعله فوق ذلك كان لزيادة البلاد المفتوحة فوق طاقة الفاتحين أثر في هذا التذمر[٣] ، وربما علم أهل فارس بمقتل خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه على يد أبي لؤلؤة الفارسي[٤] .

على كل حال: توجه عبد الله بن عامر نحو خراسان، وأخذ يرسل قواده في كل اتجاه، لاستتباب الأمن في البلاد، واستطاع بفضل الله أن يجعل فارس وخراسان تدين من جديد لحكم الإسلام[٥] .

ثم إن عبد الله توغل في بلاد خراسان، حتى وصل ما دون النهر (يعني نهر جيحون) فلما علم أهل ما وراء النهر بأمره، طلبوا إليه أن يصالحهم فعبر النهر وصالحهم، فأتته الدواب والوصفاء والوصائف والحرير والثياب وقفل معتمراً شكراً لله على هذه النعمة[٦] .

ومن الجدير بالذكر أن يزدجرد قتل في عهد عثمان رضي الله عنه وقد إختلفت الروايات حول سبب قتله، ولم نرد بسط ذلك لعدم دخوله في صلب موضوعنا، غير أنه بقتل يزدجرد انقضت دولة الفرس الساسانيين[٧] .

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام – للزركلي ج٤ ص ٩٤، ٩٥.

(٢) انظر تاريخ الطبري ج٤ ص ١٧٣ .

(٣) انظر تاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٢٦.

(٤) كان أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، وكان مجوسياً من نهاوند فأسرته الروم أثناء حربها مع الفرس، ثم أسره المسلمون من الروم، وقيل إنه لما قدم سبى نهاوند المدينة جعل أبو لؤلؤة لايلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه وقال: أكل عمر كبدي.
انظر الكامل في التاريخ – لابن الأثير – ج٢ ص ١٦.

(٥) انظر فتوح البلدان – للبلاذري – ص ٤٠٢.

(٦) انظر المصدر السابق – نفس الصفحة.

(٧) انظر كنتم خير أمة – لخير الله طلفاح ج٥ ص ١٥٨.

الأتراك في نهاية عهد الراشدين:

قتل عثمان رضي الله عنه، وبمقتله بدأت القبضة الحكومية على البلاد المفتوحة تقل شيئاً فشيئاً، وبدأت البلاد تنتقض من جديد على المسلمين، واستمر هذا الأمر يزداد طيلة عهد علي رضوان الله عليه.

ولقد تسببت الحرب الأهلية التي حدثت في عهد الخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في استقطاب الجيوش الإسلامية إلى المدينة[١] وساعد ذلك على زيادة انتقاض البلاد المفتوحة، وتحلل الكثير من ربقة الاتزام بحكم المسلمين، غير أنه من المؤكد أن الإسلام قد أخذ يسري في نفوس الكثيرين من أهل هذه البلاد[٢] .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأعمال الحربية في أواخر عهد الخلافة الراشدة لم تكن مستمرة ومتدفقة مثلما كانت في أوائل هذا العهد، وبالتحديد زمن عمر رضي الله عنه، فلقد انعكست الحياة الداخلية للدولة الإسلامية على حياتها الخارجية، وتأثرت حركة الفتوح بما كان من فتن واضطرابات في المدينة أو في الشام.

ويمكن القول: إن الخلافة الراشدة تركت للأمويين دولة تمتد بمجالاتها المكانية بشكل عملي لتشمل شبه الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر، وأما ما وراء ذلك مما وصلت إليه الجيوش الإسلامية من بلاد فارس وما وراء النهر ، ومن الشمال الإفريقي، فإنه لم يكن قد تمتع بالاستقرار بعدُ في ظل نظام حكومي إسلامي متكامل[٣] .

* * * * *

---

(١) انظر تفاصيل الحروب التي دارت بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما، والتي تسببت في استقطاب الجيوش وذلك في: تاريخ الطبري ج ٥ ص ٥ وما بعدها.

(٢) وجه عليّ بعض عماله إلى خراسان لإعادتها إلى الالتزام، من ذلك ما حدث من بعثه خليد بن طريف إلى خراسان سنة ٣٦هـ، ثم بعثه جعدة بن هبيرة إليها أيضاً سنة ٣٧هـ.. إلخ.

انظر تاريخ الطبري ج ٥ ص ٦٣، ٦٤، ٥٥٨.

(٣) انظر الخلافة والدولة في العصر الأموي للمرحوم الدكتو/ محمد حلمي محمد أحمد ط (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ص ٢٨.

ثانيا: الأتراك في عهد الأمويين

* * *

مقدمة:

ورث الأمويون دولة الإسلام، وأجزاء كبيرة منها لم تكن قد تمت السيطرة الكاملة عليها، وبخاصة منطقة خراسان وما وراء النهر، وسقطت الخلافة الأموية سنة ١٣٢هـ، بعد أن امتد نفوذها إلى القارات الثلاث: آسيا، وأفريقيا وأوروبا.

ويتضح من النظرة الشاملة للفتوحات الإسلامية الأموية أنها كانت تعطى بعداً مكانياً للدولة الإسلامية في الاتجاه الشمالي عند بيزنطة، أو في المناطق الأفريقية الشمالية، حيث كانت الفتوحات تضم إليها أقاليم ومناطق جديدة.

وعلى العكس من ذلك في الناحية الشرقية حيث بلاد فارس وما وراء النهر، فقد كانت الفتوحات - في أغلبها - مجرد إخضاع من تمرد على الخلافة، فهي إذن تثبيت لأقدام الإسلام، والتمكين للحكم الإسلامي في هذه المناطق، فضلاً عن تأمين حدود الدولة الإسلامية.

ومن الملاحظ أن فتح ما وراء النهر كان يرتبط - غالباً - بما كان عليه المسلمون في خراسان من تقدم وتأخر، وبما كان يحيط حياتهم السياسية والحربية فيها من ذبول وتفتح[١].

ورغم ذلك يمكن لنا أن نتعرض للحديث عن فتح بلاد ما وراد النهر - في عهد الأمويين - مقسمين ذلك إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى : ما قبل قتيبة بن مسلم.

المرحلة الثانية : مرحلة فتوح قتيبة.

المرحلة الثالثة: ما بعد قتيبة[٢].

* * * * *

(١) انظر حركة الفتح الإسلامي - لشكري فيصل - ص ١٥٢، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣.

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٦٣.

المرحلة الأولى: ما قبل قتيبة بن مسلم

* * *

معاوية بن أبي سفيان والفتوحات الشرقية:

لما ولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة كان عليه أن يستمر في أمر الفتوحات، وقد حاول في الجانبين الشمالي والغربي من أرض الخلافة، فنجح في ذلك إلى حد بعيد أما الجانب الشرقي، فلم يعطه جانباً كبيراً من الاهتمام مثل الجانبين الآخرين[١].

ورغم هذا فقد وجدت مواجهات في الجانب الشرقي من أرض الخلافة بغرض الفتوحات، وسنحاول هنا – إن شاء الله – التعرض لطرف من هذه المواجهات، وبخاصة ما كان منها في بلاد ما وراء النهر – موضع اهتمامنا، ومجال حديثنا:

(أ)- فتح الصغانيان[٢] :

تولى زياد بن أبيه[٣] أمر البصرة، وولى هو بدوره الحكم بن عمرو الغفاري[٤] – الصحابي

---

(١) لعل من الأسباب التي جعلت المواجهة في بلاد ما وراء النهر لم تكن قوية في عهد معاوية ما يلي: أولاً: كون العراق هي مركز الحركات الحربية الشرقية، ولم تكن العراق تحت السيطرة الكاملة لمعاوية، حيث كانت مبعث فتن اضطرابات كثيرة. وثانياً: محاربة الروم، حيث كانت أقرب لحاضرة الخلافة، وكانت تهدد كيان الدولة. وثالثاً: مواجهة الخوارج، ورابعاً: قمع الفتن والثورات التي كانت تظهر بين الحين والحين. وخامساً: متابعة الفتوحات في الجانبين الشمالي والغربي، وسادساً: كثرة الفتن والإضطرابات والإنتقاضات من بلاد خراسان وما وراد النهر، ويكفى للتدليل على ذلك أن يكون عمال خراسان في عهد معاوية زهاء اثني عشر عاملاً.

انظر حركة الفتح الإسلامي لشكري فيصل – ص ١٤٤، ١٤٥، ١٦٤.

(٢) الصغانيان: إقليم يقع على ضفتي نهر جيحون الأعلى.

(٣) من الدهاة الفاتحين، أسلم في عهد الصديق، وتوفى سنة ٥٣هـ.

انظر ترجمة في الأعلام للزركلي – ج٣ ص ٥٣.

(٤) صحب النبي ي إلى أن مات، وانتقل إلى البصرة أيام معاوية، فوجهه زياد إلى خراسان، وأقام بمرو، ومات بها سنة ٥٠هـ.

انظر ترجمته في الأعلام – للزركلي – ج٢ ص ٢٦٧.

الجليل - أمر خراسان، وذلك سنة ٤٦هـ فعبر الحكم نهر جيحون، وغزا الصغانيان، وكان بذلك أو من غزا، وصلى في بلاد ما وراء النهر[١] .

وتجدر الإشارة إلى أن زياداً قد أدرك أن المنطلق الطبيعي لبلاد ما وراء النهر هو خراسان، ولذلك عمد إلى إقرار الأمور فيها بخطوتين:

أولاهما: جعل مرو مركز ولاية خراسان، والثانية: نقل زهاء خمسين ألفاً من أهل الكوفة والبصرة بعيالاتهم وإسكانهم دون نهر جيحون[٢] وهذه السياسة كان الغرض منها - فيما يبدو - استقرار هذه البلاد التي يكثر فيها الانتقاض على المسلمين، وهذا الاستقرار يساعد من جهة على نشر الدين الإسلامي، ويكون بمثابة حزام أمني للفتوحات في بلاد ما وراء النهر من جهة أخرى.

(ب) غزو بخارى:

تولى عبيد الله بن زياد[٣] أمر خراسان وما وراء النهر بعد وفاة والده، فقطع نهر جيحون قاصداً غزو ما وراء النهر، وتوجه إلى بخارى واستنجدت الخاتون - ملكة بخارى - ببعض الترك، ودارت حرب ضروس حوى فيها المسلمون معسكر الخاتون، مماجعلها تطلب الصلح[٤] .

وعاد عبيد الله بن زياد إلى البصرة بخلق من أهل بخاري، ففرض لهم[٥] .

---

(١) انظر فتوح البلدان - للبلاذري- ص ٤١٠.

وسنولي نقطة (من أول من عبر نهر جيحون) اهتماماً خاصاً بعد قليل.

(٢) انظر المصدر السابق - نفس الصفحة.

وحركة الفتح الإسلامي لشكري فيصل - ص ١٦٤.

(٣) وال، فاتح، ولد بالبصرة سنة ٢٨هـ، تولي خراسان سنة ٥٢هـ، والبصرة سنة ٥٥هـ وله أخبار كثيرة، وهو صاحب معركة كربلاء: قُتِل سنة ٦٧هـ.

انظر ترجمته في الأعلام - للزركلي - ج٤ ص ١٩٤.

(٤) انظر تاريخ اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب) (٢٨٤هـ) ط (١٣٥٨هـ) المكتبة الرضوية - النجف - ج٢ ص ٢١١.

(٥) انظر فتوح البلدان - للبلاذري ص ٤١٠.

وفرض لهم: يعني قدر لهم نصيباً من المال نظير عملهم في الجيش.

انظر المعجم الوسيط ج٢ ص ٦٨٩.

لكن الخاتون نقضت عهدها بعد خروج عبيد الله، فتوجه إليها سعيد بن عثمان بن عفان[١] - الذي تولي إمرة خراسان بعد ابن زياد، وقد استطاع سعيد أن يخضع الخاتون رغم استنجادها أيضاً بالترك، فصالحها ودخل مدينة بخارى[٢] .

(جـ) غزو سمرقند:

ثم توجه سعيد بن عثمان إلى سمرقند، وقاتل قتالاً شديداً ثلاثة أيام، وانتهت الحرب بمصالحة أهل سمرقند بعد هزيمة منكرة[٣] . ثم انصرف سعيد بعد ذلك إلى ترمذ ففتحها، ورجع إلى معاوية ثم توجه إلى المدينة ومعه أسرى من أولاد ملوك السغد - الذين أسرهم أثناء حروبه في سمر قند - فوثبوا عليه وقتلوه، وقتل بعضهم بعضاً حتى لم يبق منهم أحد[٤] .

وقبل أن نترك الحديث عن الفتوحات في عهد معاوية بن أبي سفيان، نود الإشارة إلى نقطتين:

الأولى: - أول من دخل بلاد ما وراء النهر.

والثانية: - أول من استخدم الأتراك.

وهاتان النقطتان هما مجال الحديث التالي إن شاء الله:

---

(١) وال من الفاتحين، نشأ في المدينة، ووفد على معاوية بعد مقتل أبيه وتولى خراسان سنة ٥٦هـ. وتوفى سنة ٦٢هـ.
انظر ترجمته في الأعلام - للزركلي ج٣ ص ٩٨.
وشذرات الذهب - لابن العماد - ج١ ص ٦٠.
(٢) انظر فتوح البلدان - للبلاذري ص ٤١٠.
وتاريخ اليعقوبي - ج٢ ص ٢١١.
(٣) انظر المصدرين السابقين - نفس الجزء والصفحة.
وتاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٥٦.
وقد قتل في سمرقند قثم بن العباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وله قبر بزار.
(٤) انظر تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٢١١، ٢١٢.
وتاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٥٦.

أول من عبر نهر جيحون ودخل بلاد ما وراء النهر:

لقد اختلفت الروايات واختلطت حول أول من عبر نهر جيحون، فهناك خمس روايات حول هذه النقطة، أربع منها للبلاذري، والخامسة لليعقوبي:

يحدثنا البلاذري أن عبد الله بن عامر عبر النهر، وأحرم له شكراً[1] . ثم يذكر أن الحكم بن عمرو هو أول من صلى وراء النهر[2] وتأتي رواية ثالثة للبلاذري تخبرنا أن سعيد بن عثمان أول من قطع النهر[3] أما الرواية الرابعة للبلاذري أيضاً فتخبرنا أن سلم بن زياد قطع النهر ومعه امرأته أم محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكانت أول عربية عبر بها النهر[4] .

ويخبرنا اليعقوبي أن عبيد الله بن زياد فتح بخارى، وأنه أول عربي قطع نهر بلخ يعني نهر جيحون[5] .

ولعل كثرة الروايات ترجع إلى اختلاف الرواة، وأيضاً لاختلاف العهود، فالرواية الأولى في عهد عثمان رضي الله عنه، والثانية في عهد معاوية بن أبي سفيان والأخيرة في عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ولعل إختلاف الروايات يرجع كذلك لاختلاف الولاة، وربما إلى أن المسلمين لم يعبروا النهر من جهة واحدة، ولذلك كان كل من جاز النهر من ناحية هو أول من عبر من هذه الناحية[6] .

---

(١) انظر فتوح البلدان - للبلاذري - ص ٤٠٨.
(٢) انظر المصدر السابق - ص ٤١٠.
(٣) انظر المصدر السابق ص ٤١١.
(٤) انظر المصدر السابق - ص ٤١٣.
(٥) انظر تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٢١١.
(٦) انظر حركة الفتح الإسلامي - لشكري فيصل - ص ١٥٢.

أول من استخدم الترك:

لقد سبق القول: إن عبيد الله بن زياد دخل البصرة بخلق من أهل بخارى وفرض لهم ويحدثنا الطبري بشيء من الوضوح، فيذكر أن عبيد الله قد اتخذ ألفين من خيرة رماة الترك في جيشه[1] .

ويبدو أن هذا هو أول استخدام من نوعه للترك في الجيش، ولكن كيف جاء عبيد الله بهذا العدد من الترك؟ وكيف استخدمهم؟ لم تشر المصادر المتاحة إلى شيء من ذلك، غير أنه من الممكن القول: إن هؤلاء الأتراك جاءوا عن طريق الأسر حيث انتصر عبيد الله بن زياد على الخاتون - ملكة بخارى - وأسر أعداداً كثيرة وربما استخدمهم في جيشه.

لكن: هل وثق عبيد الله في هؤلاء الأتراك حتى يدخلهم في جيشه؟ قد يكون من الصعب الإجابة عن هذا السؤال، لأن الذي يمكنه الحكم على ذلك هو عبيد الله نفسه، ولم تفصح لنا المصادر عن شيء من ذلك، غير أنه من المحتمل أن يكون عبيد الله قد استخدم هؤلاء الأتراك كحربيين، يهميهم بالدرجة الأولى التكسب من هذه المهنة.

ولكن لاندري أدخل كل هؤلاء الأتراك الذين استخدمهم ابن زياد الإسلام، أم لا؟ لانجد أية إشارة - في المصادر المتاحة - إلى ذلك، وأغلب الظن أنهم دخلوا الإسلام، أو تعرفوا عليه بعد دخولهم الجيش، فدخلوا فيه.

ورغم ذلك فإنه مما لاشك فيه أن عبيد الله بن زياد قد وفق في دخوله بخارى، واستقدامه لهذه المجموعة الحربية، ثم استخدامه لهم، لأن هذا معناه أن المسلمين أصبح لهم من القوة والنفوذ على هذه المناطق ما هو جدير بالاعتبار[2] .

على أنه يبقى أمامنا أن نؤكد أن استخدام ابن زياد للأتراك في الجيش الإسلامي كان أول استخدام من نوعه، وهذا ينافي ما اشتهر من أن أول مستخدم لهم في الجيش هو المعتصم الخليفة العباسي.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج٥ ص١٩٨.
وفتوح البلدان - البلاذري - ص ٤١٠.
(٢) انظر حركة الفتح الإسلامي - لشكري فيصل - ص ١٦٥.

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان والفتوحات فيما وراء النهر:

وتعثرت حركة الفتوح في عهد يزيد إلى حد بعيد، بل انتقضت عليه بعض البلاد المفتوحة، ولعل من أهم الأسباب لذلك تصدى يزيد للفتن والثورات الداخلية[١] واهتمامه الكبير بذلك.

ورغم ذلك لم تنعدم حركة الفتوح وبخاصة في الجانب الشرقي من أرض الخلافة، فقد توجه سلم بن زياد[٢] ، الذي تولى أمر خراسان من قبل يزيد سنة ٦١هـ إلى خوارزم ففتحها ، ثم سار عنها إلى بخارى، وكانت الخاتون قد نقضت عهدها مع المسلمين واستطاع سلم إخضاع الخاتون رغم استنجادها بطرخون ملك الصغد - الذي قتل في هذه المعركة، وانهزم أصحابه[٣] .

ما وراء النهر في عهد عبد الملك بن مروان:

ومما لاشك فيه أن ما وراء النهر كانت كغيرها من البلاد التي لم يستقر فيها الحكم الإسلامي بعد وكانت تتأثر بما يجري داخل أرض الخلافة من أحداث.

ولقد حدثت أحداث عديدة في عهد عبد الملك بن مروان، كان من أكثرها خطورة بعد ثورة عبد الله بن الزبير[٤] ثورة عبد الرحمن بن الأشعث[٥] ثم ثورات الخوارج

---

(١) من ذلك: مواجهته للحسين بن علي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم ووقعة الحرة قرب المدينة.

انظر الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية - لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي - عني بنشره محمود توفيق الكتبي - المطبعة الرحمانية بمصر - دار إحياء الكتب العربية - ص ٨٢ - ٨٤.

وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٢١٦ - ٢٢٣.

(٢) من آل زياد، كنيته أبو حرب توفي بالبصرة سنة ٧٣هـ.

انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج٣ ص ١٦٨ .

(٣) انظر تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٢٢٥.

(٤) انظر المصدر السابق ج٣ ص ١٥.

وانظر ترجمة ابن الزبير في الأعلام للزركلي ج٤ ص ٨٧.

(٥) خرج عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج أولاً ثم على الخلافة بعد ذلك وبعد مواجهات بينه وبين الحجاج لحق بخاقان الترك الذي أرسله لعبد الملك بن مروان ليقتله.

انظر التنبيه والإشراف - للمسعودي (٣٤٥هـ) تصحيح ومراجعة عبد الله إسماعيل الصاوي - طبعة (١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م) المكتبة العصرية - بغداد ص ٢٧٢. وتاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٦٨.

وتاريخ ابن خلدون ج٣ ص ٤٧ ط (١٣٩٩هـ ١٩٧٩م) مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت - لبنان.

وشذرات الذهب - لابن العماد ج١ ص٨٧ وما بعدها الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م دار المسيرة بيروت.

المتتالية[1] .

ورغم ذلك فإنه يمكننا أن نحدد مجريات الأمور في بلاد ما وراء النهر في عهد عبد الملك بن مروان في عدة نقاط.

النقطة الأولى: معركة موسى بن عبد الله بن خازم:

كان عبد الله بن خازم[2] قد أساء معاملة بني تميم بخراسان، وقتل منهم عدداً كبيراً فافترقوا عليه، فخرج من مرو إلى نيسابور، ثم إنه أمر ابنه موسى[3] باللجوء إلى بعض الملوك أو بعض الحصون خلف نهر جيحون، فقطع موسى النهر، واجتمع لديه قرابة أربعمائة رجل، ثم عرض نفسه على ملوك الترك، فأبوا خشية منه، ثم أتى سمرقند، فأذن له ملكها، طرخون في المقام، فأقام حتى بلغه خبر مقتل أبيه على يد مجموعة منهم بكير بن وساج[4] رجل من بني تميم - فشق موسى عصا الطاعة للخلافة[5]

---

(١) من ثورات الخوارج: ثورة شبيب الخارجي بالعراق سنة ٧٦هـ وقد دارت حروب كثيرة بين شبيب وبين الحجاج انتهت بهزيمة شبيب.

انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ١٩، ٢٠.

وتاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٦٨.

والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهر - لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي - الطبعة (١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م) مطبعة دار الكتب المصرية - بالقاهرة ج١ ص ١٩٦.

وانظر ترجمة شبيب في الأعلام - للزركلي - ج٣ ص ١٥٦، ١٥٧.

(٢) استخلف سلم بن زياد عبد الملك بن خازم على خراسان، وكان ذلك آخر خلافة يزيد، ثم إن ابن خازم كتب إلى عبد الله بن الزبير بطاعته، فأمّره على ولايته، واستمر هكذا حتى أرسل عبد الملك بن مروان لابن خازم يقره على ولايته إن هو أذعن بالطاعة لعبد الملك، غير أن ابن خازم رفض ذلك.

انظر تاريخ اليعقوبي ج٢، ص ٢٢٥.

وانظر ترجمته في الأعلام - للزركلي - ج٤ ص ٨٤.

وقد ورد لفظ (خازم) بالحاء (حازم) في بعض المراجع، وكلاهما صحيح.

انظر النجوم الزاهرة - بابن تغري بردي ج١ ص ٢٠٩ - هـ ١.

(٣) انظر ترجمته في الأعلام - للزركلي - ج٧ ص ٣٢٤.

(٤) انظر ترجمة في الأعلام - للزركلي ج٢ ص ١٨٢.

(٥) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ١٧.

وتاريخ ابن خلدون ج٣ ص ٥٥ - ٥٧.

وضاق طرخون بموسى فطالبه بالخروج من سمرقند، فخرج عنها إلى كِسّ، غير أن ملكها لم يطق مقام موسى، فاستجاش طرخون عليه، ووقعت بينهما مصادمات حربية انتهت إلى صلح بمقتضاه يخرج موسى عن كس[١] .

وخرج موسى عن تلك البلاد وتوجه إلى ترمذ فاستولى عليها، وأخذ يحارب بكير بن وساج - قاتل عبد الله بن خازم - وأمية بن عبد الله بن خالد - عامل عبد الملك بن مروان الجديد على خراسان. من جهة، ويقاتل طرخون والترك الذين يغيرون عليه من الجهة الأخرى، ودارت معارك ومصادمات كثيرة وعنيفة لم يتمكن فيها طرخون ولا الترك من هزيمة موسى، كما لم يتمكن أمية ابن عبد الله من ذلك[٢] .

أما النقطة الثانية: فهي غزوات المهلب و آله في ما وراء النهر:

وأما المهلب فإنه غزا غزوات في ما وراء النهر فتوجه إلى نسف، وكسّ، وبلاد الختل، ودارت حروب كثيرة، وصالح أهل كس على فدية ومكث بها عامين، وقيل له: لو تقدمت إلى الصغد وما وراء ذلك، قال: ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذا الجند حتى يرجعوا إلى مرو سالمين، وعاد المهلب إلى مرو مستخلفاً ولده يزيد على الجند، ومات المهلب بمرو[٤] .

أقر عبد الملك بن مروان يزيد بن المهلب[٥] على ولايته لخراسان وما وراء النهر، وقام يزيد بتحرير قلعة نيزك بباذغيس، واحتلها، وكان ملكها قد خرج عنها فلما جاء صالحه على أن يدفع إليه مافي القلعة من الخزائن ويرتحل عنها بعياله[٦] .

---

(١) انظر المصدر السابق ج٢ ص ٥٥، ٥٦.

(٢) انظر المصدر السابق - نفس الجزء والصفحة.

(٣) انظر ترجمته في الأعلام - للزركلي ج٧ ص ٣١٥.

(٤) انظر تاريخ اليعقوبي - ج٢ ص ٢١.

وتاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٥٢.

وشذرات اذهب - لابن العماد - ج١ ص ٨٨، ٩١.

(٥) انظر ترجمته في الأعلام - للزركلي ج٨ ص ١٨٩، ١٩٠.

(٦) انظر كنتم خير أمة - لخير الله طلفاح - ج٥ ص ١٦٦.

وفي سنة ٨٥هـ عزل الحجاج بن يوسف الثقفي[1] يزيد بن المهلب بأخيه المفضل،[2] وفي ولاية المفضل فتحت باذغيس وفتحت، وكذلك شومان[3].

ثم إن الحجاج سعى إلى تحويل ولاية خراسان وما وراء النهر عن آل المهلب إلى قتيبة بن مسلم الباهلي[4]، وذلك سنة ٨٦هـ وكان ذلك قرب نهاية عهد عبد الملك بن مروان[5].

وبولاية قتيبة بن مسلم خراسان بدأت مرحلة جديدة نتعرض للحديث عنها بعد قليل.

أما النقطة الثالثة:

فهي إرسال عبد الملك رسولاً لخاقان الترك يدعوه إلى الإسلام:

فقد حكى ياقوت قصة ذلك الرسول مع ملك الترك، وما رآه عنده، وما رآه في طريقه من أمور ولايهمنا هنا سرد الحديث بتفاصيله[6] إنما المهم هو الإشارة إلى أن عبد الملك بن مروان - رغم ما كان يواجهه من أمور داخل أرض الخلافة - لم ينس أن يدعو خاقان الترك إلى الإسلام.

ولعل عبد الملك بن مروان قد أدرك أن اعتناق الترك للإسلام سوف يكون سبباً من أهم أسباب الاستقرار في بلاد ما وراء النهر.

---

(١) الحجاج بن يوسف الثقفي، ولد سنة ٤٠هـ بالطائف، وقد تولى مكة والمدينة والطائف من قبل عبد الملك بن مروان، ثم أضيف إليه العراق وخراسان، وله أحوال كثيرة.

انظر ترجمته في الأعلام - للزركلي - ج٢ ص ١٦٨.

(٢) انظر المرجع السابق - ج٧ ص ٢٨٠.

(٣) انظر تاريخ ابن خلدون - ج٣ ص ٥٤.

والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج١ ص ١٩٧.

(٤) كان قتيبة عامل الحجاج على الريّ قبل أن يوليه خراسان.

انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٢١.

(٥) انظر المصدر السابق ج٣ ص ٣٠.

وتاريخ ابن خلدون ج٣ ص ٥٤.

وشذرات الذهب - لابن العماد - ج١ ص ٩٦.

(٦) انظر معجم البلدان - لياقوت - ج٢ ص ٢٣، ٢٤.

ومن هنا نقول : إن فكرة الدعوة إلى الله تعالى وتبليغها لم تغب عن بال الخلفاء الأمويين وإنما كانوا يولونها اهتماماً خاصاً .

وأخيراً: لقد كانت خطوات المسلمين الحربية إلى ما وراء النهر في هذه المرحلة تعتبر خطوات تمهيدية لحركة الفتوح الكبرى في المرحلة التالية، فإن أعمال زياد في خراسان ثم أعمال ابنه عبيد الله من بعده التي أهمها استخدامه لمجموعة كبيرة من رماة الترك، ثم فتوحات سعيد بن عثمان وأعمال المهلب بن أبي صفرة، وغير ذلك - كل هذه الأعمال كان لها أثرها البالغ فى نجاح حركة الفتوح في المرحلة القادمة على يد قتيبة بن مسلم.

* * * * *

المرحلة الثانية: فتوحات قتيبة بن مسلم

* * *

توجه قتيبة بن مسلم الباهلي إلى مرو سنة ٨٦هـ وجعلها منطلقه وقاعدته الحربية وجمع الناس وحضهم على الجهاد ثم أتم تنظيم جيشه(١) ، وبدأ رحلة الفتوح التي يمكننا تقسيمها إلى عدة أقسام:

القسم الأول من فتوحات قتيبة (الاستطلاع الحربي):

خرج قتيبة من قاعدة انطلاقه (مرو) إلى بلخ، وكان بعضها منتقضاً على المسلمين، فحارب أهلها فصالحوه صبيحة اليوم التالي لهذه الحرب، فرد عليهم قتيبة أسراهم(٢) ، ثم مضى إلى الطالقان(٣) بعد أن استقبل دهاقين بلخ وبعض عظمائهم الذين ساروا معه(٤) .

قطع قتيبة نهر جيحون متجهاً إلى الصغانيان(٥) فتلقاه ملكها بهدايا ومفتاح من ذهب، ودعاه إلى بلاده(٦) ثم سار قتيبة إلى أخرون وسومان - من طخارستان - فصالح ملكها على

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون - ج٣، ص ٥٩.
المصدر السابق - نفس الجزء والصفحة.
(٢) انظر تاريخ ابن خلدون - ج٣ ص ٥٩.
وقتيبة بن مسلم - لبسام العسلي - ص ٢٧.
(٣) الطالقان: بلد بخراسان بين مرو الروذ وبلخ.
انظر معجم البلدان - لياقوت - ج٦ ص ٧.
(٤) انظر قتيبة بن مسلم - لبسام العسلي - ص ٢٧.
(٥) الصغانيان: ولاية عظيمة فيما وراء النهر - متصلة الأعمال بترمذ.
انظر معجم البلدان - لياقوت - ج٥ ص ٣٦١.
(٦) انظر دول الإسلام للحافظ شمس الدين الذهبي - ط الثانية (١٣٦٤هـ.
وتاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٥٩.
والنجوم الزاهرة - لابن تغري بردي ج١ ص ٢١٢.
وشذرات الذهب - لابن العماد ج ١ ص ٩٦.

فدية أداها إليه، فقبضها قتيبة ورجع إلى مرو، وخلف الجند بقيادة أخيه صالح بن مسلم، وفتح صالح في طريقة كاشان وأورشت - من فرغانة - ثم رجع إلى مرو[١] .

أمضى قتيبة - إذن عام ٨٦هـ - ٧٠٥م في تنفيذ هده العمليات التي كانت بمثابة استطلاع ميداني للموقف أكثر منها عمليات قتالية، وعندما رجع إلى مقر عملياته ومركز إدارته في مرو انصرف إلى إدارة ولايته استعداداً للمرحلة القتالية التالية في سنته القادمة[٢] .

وهذه الخطة التي استخدمها قتيبة كانت ذات أثر فعال في نجاح الفتوح، فإنه بعد كل رحلة فتح يعود إلى مقر عملياته ليراجع نفسه ويستعد لرحلة جديدة وأيضاً ليباشر إدارة إقليم خراسان الذي يعتبر الخط الدفاعي الأول له، حتى لاينتقض عليه إذا توغل في بلاد ما وراء النهر[٣] .

أما القسم الثاني من فتوحات قتيبة فهو (فتح بخارى):

وقد استمر هذا الفتح منذ سنة ٨٧هـ حتى سنة ٩٠هـ. وذلك على النحو التالي:

علم قتيبة بوجود أسرى للمسلمين في قبضة نيزك - ملك طرخان - فكاتبه في إطلاق سراح الأسرى وتهدده في كتابه فخافه نيزك وورد عليه مذعناً[٤] .

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون - ج٣ ص ٥٩.

(٢) انظر قتيبة بن مسلم - لبسام العسلي - ص ٢٨.

(٣) هذه السياسة تشبه سياسة زياد بن أبيه الذي كان يهمه إدارة وترتيب إقليم خراسان كمرحلة ضرورية قبل الفتح في ما وراء النهر.

انظر فتوح البلدان - للبلاذري - ص ٤١٠.

وحركة الفتح الإسلامي - لشكري فيصل - ص ١٦٤.

(٤) انظر تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٣٠.

وتاريخ ابن خلدون ج٣ ص ٥٩.

والنجوم الزاهرة - لابن تغري بردي ج١ ص ٢١٤.

ولما علم أهل باذغيس بذلك أرسلوا إلى قتيبة في مصالحتهم على ألا يدخل باذغيس[١] .

بعد أن أمن قتيبة شر نيزك توجه إلى بيكند[٢] فلما علم أهل بيكند باقتراب جيش قتيبة استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم في جمع كثير وقطعوا الطريق من الخلف على قتيبة، فلم ينفذ لقتيبة رسول، ولم يصل إليه رسول، ولم يجر له خبر شهرين[٣] ، وكانوا يقتتلون كل يوم، وبعد وقائع عديدة صبر فيها قتيبة وصمد حتى تمكن من سور المدينة وشرع في هدمه فسأل أهل بيكند ا لصلح، فصالحهم قتيبة، واستعمل عليهم رجلاً من الباهليين. ثم ارتحل عنهم يزيد الرجوع، فلما سار قدر مرحلة أو اثنتين نقضوا وكفروا فقتلوا العامل وأصحابه، فرجع إليهم وقد تحصنوا فقاتلهم شهراً حتى دخل المدينة وفتحها عنوة[٤] .

وبعد أن أنهى قتيبة أمر بيكند توجه نحو نومشكت[٥] مبكراً قبل انتهاء الشتاء مما حملهم على استقبال قتيبة وعقد الصلح معه (عام ٨٨هـ - ٧٠٧م) ثم سار قتيبة إلى راميثنه، فصالحه أهلها أيضاً[٦] .

وزحف إليه الترك ومعهم الصغد وأهل فرغانة وعلى رأسهم (كوربغانون) ابن أخت ملك الصين فاعترضوا المسلمين في طريقهم، فلحقوا عبد الرحمن بن مسلم الباهلي وهو على الساقة (المؤخرة) بينة وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل واحد، فلما قربوا منه أرسل رسولاً إلى قتيبة يخبره

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون - ج٢، ص٥٩.

(٢) بيكند: أدنى مدائن بخارى إلى نهر جيحون يقال لها: مدينة التجار.
انظر معجم البلدان - لياقوت - ج١ ص ٥٣٣.

(٣) انظر تاريخ الطبري - ج٦ ص ٤٣٠.

(٤) انظر دول الإسلام - للذهبي - ج١، ص ٤١.
وتاريخ ابن خلدون - ج٣، ص ٥٩.
والنجوم الزاهرة - لابن تغري بردي ج١، ص ٢١٣.
وشذرات الذهب لابن العماد ج١ ص ٤١.

(٥) انظر تاريخ ابن خلدون - ج٣ ص ٥٩.
ونومشكت - إحدى مدن بخارى.

(٦) انظر دول الإسلام - للذهبي ج١ ص ٤١.
وراميثنه: إحدى مدن بخارى أيضاً.

وغشيه الترك فقاتلوه، وأتى الرسول قتيبة فرجع بالناس فانتهى إلى عبد الرحمن وهو يقاتلهم، وقد كاد الترك يلحقون بهم الهزيمة، فلما رأي الناس قتيبة ارتفعت روحهم المعنوية وصبروا واستمر القتال حتى الظهر، وأبلي يومئذ نيزك وهو مع قتيبة بلاء حسناً، فهزم الله الترك وفض جمعهم ورجع قتيبة إلى قاعدته مرو[١] .

وبدأت مع بداية ربيع عام ٨٩هـ - ٧٠٨م عمليات قتيبة، فقد أمره الحجاج بفتح بخارى، فتوجه إليها، ولقيه جمع كثيف من الصغد وكس ونسف، فانتصر عليهم، وقرب من بخارى، ودار بينه وبين وردان خذاه - ملك بخارى مصادمات، إلا أن قتيبة لم يتمكن من حسم الصراع معه، ولم يظفر من البلد بشيء، فرجع إلى مرو[٢] وكتب إلى الحجاج بذلك ، فطلب الحجاج وصف المدينة، فأرسل قتيبة له وصفها فأشار عليه الحجاج بكيفية دخولها[٣] .

لم تكن الأعمال الحربية منذ سنة ٨٧هـ حتى بداية ٩٠هـ أكثر من غزوات استطلاعية ودراسة ميدانية للطبيعة البشرية والطبيعة الجغرافية، وأساليب القتال الملائمة[٤] .

على كل حال.. خرج قتيبة في عام ٩٠هـ مصمماً على فتح بخارى وكان وردان خذاه - ملك بخارى - قد استعد لمجابهة احتمال هجوم قتيبة، فأرسل في طلب الدعم من الصغد والترك ومن حولهم وسبق قتيبة وصول الدعم فحصر بخارى وطوق قوات وردان[٥] .

ولما وصلت قوات الدعم اشتبك المسلمون معها، ودارت مصادمات عنيفة كان نتيجتها نصر الله للمسلمين[٦] وهزيمة جيشي الصغد وبخارى وإصابة خاقان الترك وابنه في المعركة، ولذلك تقدم ملك الصغد إلى قتيبة وعرض عليه الصلح فوافقه فلما رجع طرخون - ملك الصغد - إلى

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون - ج٣ ص ٥٩ .

والنجوم الزاهرة - لابن تغري بردي ج١ ص ٢١٥، ٢١٦.

(٢) انظر المصدرين السابقين - نفس الجزء والصفحة.

(٣) انظر تاريخ ابن خلدون ج٣ ص ٥٩ .

(٤) انظر قتيبة بن مسلم - لبسام العسلي - ص ٣٦.

(٥) انظر تاريخ ابن خلدون - ج٣ ص ٥٩ .

والنجوم الزاهرة - لابن تغري بردي ج١ ص ٢٢١.

(٦) انظر شذرات الذهب - لابن العماد - ج١ ص ٩٩.

بلاده رفض اهل مملكته قبول الصلح، وخلعوه عن الملك ونصبوا ابن أخيه مكانه، وشعر طرخون بالألم فاتكأ على سيفه وانتحر[١] .

أما القسم الثالث من فتوحات قتيبة:

(فتح سمرقند وتثبيت أقدام المسلمين في بلاد ما وراء النهر):

يبدأ بعد فتح بخارى سنة ٩٠هـ وينتهي بفتح سمرقند، ويعتبر هذا القسم تثبيتاً لأقدام المسلمين في خراسان وما وراء النهر، مع فتح بلاد جديدة في حوض نهر جيحون، واستمر ذلك من سنة ٩٠هـ حتى سنة ٩٣هـ.

بعد فتح بخارى شعر نيزك بقوة قتيبة فخافه، فاحتال في الاستئذان منه للعودة إلى بلاده، فأذن قتيبة له، فرجع نيزك، وأظهر الخلع[٢] ثم أرسل إلى بلخ ومرو الروذ والطالقان، يدعوهم إلى مجابهة قتيبة، فأجابوه وواعدهم الربيع أن يجتمعوا ويغزوا قتيبة[٣] ، وفي نفس الوقت رفض ملك الصغد الجديد بعد طرخون صلح قتيبة معه، وجرت أمور بين نيزك وقتيبة يطول شرحها، خلاصتها أن قتيبة احتال للقبض على نيزك، وتم له ذلك، وقتله[٤] .

ولما انتهى قتيبة من نيزك تفرغ لناقضي العهود، فتوجه بجيشه إلى بلخ ثم إلى شومان، وحارب ملكها. وفتح شومان عنوة، ثم رجع إلى كس، ونسف، ثم مضى إلى بخارى - ثم سار إلى طرخون بالصغد ليقبض منه ماكان صالحه عليه، كما فتح الفرياب صلحاً[٥] .

---

(١) انظر دول الإسلام - للذهبي - ج١ ص ٤٣.
وتاريخ ابن خلدون ج٣ ص ٦١، ٦٣.
والنجوم الزاهرة - لابن تغري بردي ج١ ص ٢٢١.
(٢) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٣٠.
وتاريخ ابن خلدون ج٣ ص ٦١.
(٣) انظر دول الإسلام - للذهبي ج١ ص ٤٣.
والنجوم الزاهرة - لابن تغري بردي ج١ ص ٢٢١.
(٤) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٣٠.
(٥) انظر تاريخ ابن خلدون ج٣ ص ٦١.
والنجوم الزاهرة - لابن تغري بردي - ج١ ص ٢٢٢.

كانت أعمال قتيبة بعد أن تمكن من نيزك سهلة، فاستطاع أن يعيد خراسان إلى الاستقرار من جديد، وأبت له كل البلاد التي كان نيزك قد أثارها على قتيبة.

ثم بدأ قتيبة جولة جديدة صالح فيها ملك خوارزم(١) ، وفتح خام جرد(٢) ، وتوجه بعدها إلى سمرقند، وكان قد جمع معه أهل بخارى وأهل خوارزم وغيرهم، واشتركوا جميعاً في الحرب ضد الصغد، ودارت حروب طويلة واشتد المسلمون على سمرقند، وكانت محصنة جداً، حتى تمكن المسلمون أخيراً من سمر قند، فصالح أهلها قتيبة على شروط اشترطها عليهم(٣) واستقر قليلاً فيها، ثم استخلف عليها وعاد هو إلى مرو(٤) .

القسم الرابع من فتوحات قتيبة

(فتح اقاليم نهر سيحون):

وذلك في عامي ٩٤ و ٩٥هـ، حيث انطلق قتيبة من مرو قاصداً نهر سيحون وما يتصل به من بلاد، وبدأ حملاته القوية في حوض نهر سيحون فغزا الشاش(٥) وفرغانة(٦) وافتتحهما وأخضعهما لحكم المسلمين(٥) .

وبلغ قتيبة موت الحجاج(٧) ، فعاد حزيناً إلى مرو حتى أرسل إليه الوليد بن عبد الملك يقره على عمله، ويحضه على متابعة الجهاد(٨) .

---

(١) خوارزم: اسم إقليم يقع شمال غرب خراسان وما وراء النهر.
انظر مسالك الممالك – للأصطخري – ص ١٤٥.
ومعجم البلدان – لياقوت ج٢ ص ٣٩٥ – ٣٩٨.
(٢) انظر تاريخ ابن خلدون ج٣ ص ٦٣.
(٣) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٣١، ٣٢.
وشذرات الذهب – لابن العماد ج١ ص ٦٤.
(٤) انظر تاريخ ابن خلدون – ج٣ ص ٦٤.
(٥) انظر دول الإسلام – للذهبي – ج١ ص ٤٥.
(٦) انظر المصدر السابق – ج١ ص ٤٤.
وتاريخ ابن خلدون – ج٣ ص ٦٤.
(٧) توفي الحجاج في رمضان سنة ٩٥هـ.
انظر دول الإسلام – للذهبي – ج١ ص ٤٤.
(٨) انظر حركة الفتح الإسلامي – لشكري فيصل – ص ١٦٧.

والقسم الأخير في فتوحات قتيبة:

(الوصول إلى كاشغر عند حدود الصين).

ويبدأ هذا القسم بخروج قتيبة من مرو، ووصوله إلى فرغانة حيث بلغه خبر موت الوليد بن عبد الملك، وانتقال الخلافة إلى أخيه سليمان، وكان بين سليمان وقتيبة شحناء، فتوجس قتيبة شراً، واتخذ التدابير اللازمة لحماية نفسه وآل بيته، فنقلهم جميعاً إلى سمرقند، ووضع العيون والرقباء على نهر جيحون تحسباً لأى أمر يرد من الخليفة[١] .

ومع إفراط قتيبة في الخوف من سليمان وفي أخذ الاحتياطات الممكنة، إلا أنه توجه إلى كاشغر سنة ٩٦هـ[٢] - وهي على حدود الصين - ثم أرسل من كاشغر إلى ملك الصين من يعرض علي الإسلام أو الجزية أو الحرب[٣] .

واشتد مع ذلك خوف قتيبة من الخليفة سليمان بن عبد الملك، فشق عصا الطاعة، وتمرد وأراد بعض الجند متابعته، فخالفوه، فعنفهم وسبهم.. فكانت النهاية في قتله على يد أحد جنوده[٤] .

وأسدل الستار على هذه المرحلة التي يمكن إيجازها في: حركات استطلاعية لمعرفة الطبيعة البشرية والحربية وغير ذلك ثم إخضاع أهم مدينة في ما رواء النهر، ثم إخضاع باقي مدن ما وراء النهر ثم إخضاع المدن التي في حوض نهر سيحون والتوغل حتى حدود الصين[٥] .

ويقول فيليب حتي: (لقد استطاع قتيبة أن يوجه بخارى وسمرقند وخوارزم لتكون مراكز للثقافة العربية ومنابت لغرس الإسلام في آسيا الوسطى، كما كانت مرو ونيسابور في خراسان)[٦] .

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٣٩.

(٢) انظر الكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٥ ص ٥.

وتاريخ ابن خلدون ج٣ ص ٦٧.

(٣) انظر الكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٥ ص ٥ - ٨.

(٤) انظر المصدر السابق ج٥ ص ١٢ - ٢٠.

وتاريخ ابن خلدون - ج٣ ص ٦٨، ٦٩.

وشذرات الذهب - لابن العماد - ج١ ص ١١٢.

(٥) انظر حركة الفتح الإسلامي - لشكري فيصل - ص ١٦٥ - ١٦٩.

(٦) انظر تاريخ العرب - لفيليب حتي - ص ٢٧٥.

وبعد هذا الاستعراض الموجز لأعمال قتيبة في ما وراء النهر يجدر بنا أن نعرض عدة نقاط مهمة:

أولاً: جابه المسلمون الترك مراراً، وكان الترك في أغلب الأحيان يهزمون ومع هذا فإنهم إذا مادعوا إلى نجدة بلد ضد المسلمين لبوا، وربما تطوعوا فالتحموا بالمسلمين دون دعوة.. فلماذا؟ هل مجرد إشباع لغريزة حب الحرب التي اشتهروا بها؟ أم لإظهاراً مهارتهم الحربية؟ أم لإضعاف قوة المسلمين؟ أم لإشباع غريزة حب السلب والنهب والتمرد على الحياة بحكم البيئة البدوية التي كان يعيشها أغلب الأتراك؟

ربما كانت بعض أو كل هذه الأمور مجتمعة هي التي دفعت الترك لمواجهة مع المسلمين.

ثانياً: لقد تعب قتيبة في السيطرة على بخارى فقد أخذت منه قرابة أربع سنوات حتى أمكنه الله منها، فما سبب ذلك؟

من المهم أن ندرك أن بخارى فتحت قبل ذلك مراراً منذ عهد معاوية بن أبي سفيان، وفي كل مرة ما تلبث أن تنتقض على المسلمين، وها هي الآن تتعب قتيبة.

لعل من أهم الأسباب التي كانت تدعو بخارى لنقض عهدها أن أهلها لم يكونوا قد تعرفوا على الإسلام بعد، وبالتالي كانوا يعتبرون المسلمين أعداء لهم، وليسوا دعاة إصلاح[1]، وكانت بخارى من أهم وأكبر مدن ما وراء النهر فسقوطها يعني سقوط ما وراء النهر، ولذلك كانت تحافظ على كيانها جيداً، وربما كان تمردهم ناشئاً من شعورهم بثقل الجزية عليهم، أو من استضعافهم للولاة المسلمين الذين كانوا يتولون أمرهم بعد فتح البلاد.

ثالثاً: بعد أن فتح قتيبة سمرقند جعلها عاصمة ممالك ما وراء النهر، فما سبب ذلك؟

مما لاشك فيه أن موقع سمرقند موقع استراتيجي، فهي مدينة لها سور حصين أتعب قتيبة حتى ثلم فيه ثلمة ودخل المدينة وهي بمثابة حصن منيع، ولذلك رأي قتيبة أنها أفضل الأماكن

---

(١) انظر العلاقات بين العرب والصين - لبدر الدين حي الصيني - ط. (١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م) الأولى - مكتبة النهضة المصرية. ص ٣٥.

التي يمكن أن تكون منطلقه إلى باقي بلاد ما وراء النهر المختلفة، فلم تعد مرو قريبة من بلاد ماوراء النهر وبخاصة بعد أن وصلت جيوش المسلمين إلى حدود الصين.

رابعاً: لقد فتح قتيبة ممالك ما وراء النهر، ولكن أكان هذا الفتح مقصوداً لذاته؟ أم كانت هناك سياسة معينة لنشر الدين بين أبناء هذه المناطق؟

لقد استخدم قتيبة عدة طرق لنشر الدين الإسلامي الحنيف في أنحاء ما رواء النهر، من ذلك: بناء المساجد عقب الفتح مباشرة، فقد بنى قتيبة مسجداً عظيماً في بخارى بعد أن فتحها سمييبجامع قتيبة[١] ، ثم إنه فور فتحه لسمرقند صلى ركعتين شكراً لله على فتح سمرقند، وبنى المسجد الجامع والمنبر هناك[٢] وخطب بنفسه فيه.

وكما بنى المساجد فقد كسر بيوت الأصنام وأحرقها، فقد حدث أن جمع الأصنام في مكان واحد، وأراد أن يشعل فيها النار، فقال بعض الكهان: إن هناك أصناماً من أصابها بسوء لم يبق ليلته فقام قتيبة بنفسه فأحرقها، وكان ذلك سبباً في دخول كثير من الناس دين الإسلام[٣] .

ثم لم يقف قتيبة عند هذا الحد، بل كان يدفع الناس بالترغيب وتأليف قلوبهم بالمال ليدخلوا الإسلام، فقد قيل إنه كان يمنح درهمين لكل مصل جديد في جامع بخارى يوم الجمعة، وذلك كعطاء له[٤] .

وزاد من أمر نشر الدين على يد قتيبة أنه كان يبعث المعلمين والواعظين إلى أسر دخلت حديثاً في الإسلام، ليعلموهم أمور دينهم[٥] .

وفضلاً عن هذا فقد أجاز قتيبة ترجمة القرآن الكريم إلى الفارسية، وكانت هذه طريقة جيدة في نشر الإسلام، وتوضيح معانيه لغير الناطقين بالعربية بعد[٦] .

* * * * *

---

(١) انظر المرجع السابق - ص ٣٦.
(٢) انظر شذرات الذهب - لابن العماد ج١ ص ١٠٠.
والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج١ ص ٢٢٦.
(٣) انظر تاريخ ابن خلدون ج٢ ص ٦٣.
(٤) انظر العلاقات بين العرب والصين - لبدر الدين حي الصيني ص ٢٦.
(٥) انظر المرجع السابق - ص ٢٥ ، ٢٦.
(٦) انظر: VAMBARY: HISTORY OF BUKHARA. P. 30
نقلاً عن العلاقات بين العرب والصين - لبدر الدين حي الصيني ص ٢٦.

المرحلة الثالثة: ما بعد قتيبة بن مسلم

* * *

لم يستطع الولاة بعد قتيبة الحفاظ على النظام والأمن الذي أوجده قتيبة في بلاد ما وراء النهر، والذي كافح من أجله عشر سنين، وعاد الاضطراب إلى حد كبير - فعمّ أكثر مدن ما وراء النهر طيلة عهد الخلافة الأموية، اللهم إلا بعض الومضات التي حدثت مثل ما كان في عهد عمر ابن عبد العزيز[1] - رغم مدة خلافته المحدودة - من إيجاد نوع من الاستقرار في هذه البلاد.

ما وراء النهر في عهد عمر بن عبد العزيز (رحمه الله):

ولم يحدث في عهد سليمان بن عبد الملك شيء من التصادم أو من الفتح في الجناح الشرقي من أرض الخلافة، سوى محاولات يزيد بن المهلب بن أبي صفرة[2]، في جرجان وطبرستان وقهستان[3] ولما توفى سليمان تولى الخلافة من بعده عمر بن عبد العزيز، وكان حسن السيرة طيبها[4].

فقد جاء لعمر رجل من الموالي من خراسان، فأخبره أن كثيراً من الموالي يغزون ولاعطاء لهم، وأن الجراح بن عبد الله الحكمي جاف معهم، فأرسل له عمر يقول: (انظر من صلى قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية، فسارع الناس إلى الإسلام، فقيل للجراح: إن الناس قد سارعوا إلى الإسلام نفوراً من الجزية فامتحنهم بالختان، فكتب الجراح بذلك إلى عمر فكتب عمر إليه:

---

(١) انظر ترجمته في الزعلام : للزكلي ج٥ ص ٥٠.
وانظر الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي ص ٩٢.

(٢) تتبع يزيد آل قتيبة فقتلهم جميعاً وخالف أكثر أهل خراسان.
انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٣٩.

(٣) انظر تفصيل ذلك في تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٤٠.
والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٥ ص٢٩.

(٤) كان يقال: عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين.
انظر دول الإسلام - للذهبي - ج١ ص ٤٧.

(إن الله بعث محمداً ﷺ داعياً ولم يبعثه جابياً) ثم إن عمر ولى على خراسان رجلاً غير الجراح، هو عبد الرحمن بن نعيم الغامدي[١] .

وجدير بالذكر أن عمر أرسل إلى عبد الرحمن يأمره بإقفال من وراء النهر من المسلمين بذراريهم إلى مرو، فعرض ذلك عليهم فأبوا عليه فكتب إلى عمر أنهم قد رضوا بالمقام فحمد عمر رأيه على ذلك[٢] .

ووفد على عمر بن عبد العزيز وفد من أهل سمرقند، لما علموا بعدله، وأخبره أن قتيبة بن مسلم كان حينما دخل مدينتهم وافقهم على أن لايبقى جنده فيها، لكنه لم يفعل ذلك بحجة خوفه انتقاضهم، فلما سمع عمر بذلك أرسل إلى قاضي المنطقة يطالبه بالبحث في القضية، فإن وجد ما قالوه حقاً طلب من الوالي المسلم المقيم بسمرقند أن يخرج بجنده عنها[٣] .

فلما وصل كتاب عمر للقاضي، وبحث القضية، حكم بإخراج الوالي وجنده عن سمرقند، وكان ذلك الحكم سبباً في اعتناق كثير من أهل سمرقند الإسلام، ورضاهم بحكم المسلمين، وطلبوا إبقاء الوالي وجنده بين ظهرانيهم[٤] .

ومع أن عهد عمر كان قليلاً، إلا أننا نجد فيه مصادمات مع الترك في ما وراء النهر، فقد أرسل الجراح بن عبد الله الحكمي عبد الله بن معمر اليشكري إلى ما وراء النهر، فوغل في بلاد الترك، وهمّ بدخول الصين.

وأحاطت به الترك حتى افتدى نفسه[٥] ، كما أرسل الجراح أيضاً إلى بلاد الختل جهم بن زحر الجعفي فغنم منهم ورجع[٦] .

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٤٥.
والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٥ ص ٥١.
(٢) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٤٥.
(٣) انظر فتوح البلدان - للبلاذري - ص ٤٢٢.
(٤) انظر المصدر السابق - نفس الصفحة.
(٥) انظر المصدر السابق ص ٤٢٦.
وتاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٤٥.
(٦) انظر الكامل في التاريخ - لابن لأثير - ج٥ ص ٥٠.

وفي ظل سياسة عمر بن عبد العزيز، التي كانت ترمي إلى حرية الرأي خرجت الشرارة الأولى للدعوة العباسية.

ماوراء النهر بعد عمر بن عبد العزيز:

عادت حالة الخلافة الأموية بعد عمر بن عبد العزيز إلى سياستها التعسفية، فتوالت الثورات ضد الدولة من كل مكان، ولقد ضربت بلاد ما وراء النهر في هذه الفتن وتلك الثورات بسهم وافر، ومن ذلك ما يلي:

حروب سعيد خذينة[١] مع الترك: وبخاصة في سمرقند، وغزوة بلاد الصغد لنقضهم العهود مع المسلمين[٢] ، وأكمل سعيد الحرشي مجاهدة الصغد بعد خذينة وخافه الصغد لدرجة أنهم ارتحلوا عن بلادهم إلى فرغانة، وتوجه إليهم الحرشي، وأوقع بهم الهزيمة وذلك سنة ١٠٣، ١٠٤هـ[٣] . وواصل مسلم بن سعيد الكلابي إخضاع ما وراء النهر سنة ١٠٥هـ، لكنه لم يتمكن من إخضاعها[٤] .

ويظهر في وسط هذه الأحداث، وتلك الاضطرابات في بلاد ما وراء النهر الدعاة إلى تغيير الواقع الأليم الذي يعيشه الناس، ويحاول الولاة مجابهة هؤلاء الدعاة، لكنهم لايتمكنون منهم، لحذر الدعاة من جهة، ولانشغال الولاة بالحروب مع المنتفضين من جهة أخرى، ولكثرة تغيير الولاة أنفسهم من جهة ثالثة.

ولايقف حال اضطراب تلك المناطق التي في شرقي الخلافة عند حد، بل يتزايد يوماً بعد يوم، وتزداد الفتنة حتى تصل إلى القبائل العربية التي تعيش في بلخ قريباً من نهر جيحون، ويحدث بين هذه القبائل مجابهات شديدة ويتساقط القتلى من بينهم[٥] .

---

(١) سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، ويقال: إنه لقب بخذينة لتنعمه ولين عيشته.
انظر المصدر السابق ج٥، ص ٩٠.

(٢) انظر المصدر اسابق ج٥ ص ٩٢ – ٩٧.

(٣) انظر المصدر السابق ج٥ ص ١٠٣، ١٠٤، ١٠٧، ١١٠.

(٤) انظر المصدر السابق – ج٥ ص ١٢٥، ١٢٧.

(٥) انظر المصدر السابق – ج٥ ص ١٢٧، ١٢٨.

ويحاول أسد بن عبد الله القسري – الذي تولى إمارة خراسان سنة ١٠٦هـ – أن يخضع الصغد، ويدخل سمرقند، ويواجه الترك، ويتمكن من السيطرة عليهم، وهزيمتهم، ثم يتجمعون من جديد ويغزوهم أسد، ويستعمل كل ما أوتي من قوة لإخضاع هؤلاء المتمردين[١] ، ولكن قسوته على المتمردين كانت تعطي مجالاً للدعاة لبني العباس لينشروا أفكارهم ومبادئهم التي تدعو إلى الكتاب والسنة.

وتولى أشرس بن عبد الله السلمي، ولاية خراسان[٢] ، وكان ذا سيرة حسنة، فبث دعاة الإسلام في أهل سمرقند، وبلاد ما وراء النهر كلها، وأقام الأربطة والمدارس، وكان من بين ذلك أن أرسل وفداً لأهل سمرقند بقيادة أبي الصيداء صالح بن طريف، وذلك لدعوتهم إلى الإسلام، على أن يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم بمعنى أن يسقط عنهم الجزية، فأسلم على ذلك الشرط كثيرون، وبنوا المساجد، ثم إن أشرس رأى أن الخراج سينكسر لو أنه أسقط الجزية عن هؤلاء المسلمين الجدد، فأبى أن يضع عنهم الجزية بحجة أن الإيمان لم يتمكن من قلوبهم[٣] .

عندئذ ثار عليه الدعاة أنفسهم وانضم إليهم زعيمهم أبو الصيداء، وقالوا: إن هذا ظلم فإن القوم قد حسن إسلامهم وأقاموا الصلوات وتعلموا الإسلام، فكيف تفرض عليهم الجزية؟!

وأصر أشرس على موقفه، فاندلعت نار ثورة عظيمة فيما وراء النهر منذ سنة ١١٠هـ، لدرجة أن أهل سمرقند قتلوا أميرهم سورة بن الحر[٤] .

ودخل أشرس في معارك حامية الوطيس في بلاد ما وراء النهر هو الذي أشعلها[٥] .

وعزل أشرس وتولى مكانه الجنيد بن عبد الرحمن، وجابه الترك في بخارى وسمرقند، وغيرهما، وقد فصّل ابن الأثير ذلك[٦] .

---

(١) انظر المصدر السابق ج٥ ص ١٢٨، ١٣٠، ١٣٩، ١٤٠.

(٢) تولى أشرس خراسان من قبل هشام بن عبد الملك سنة ١٠٩هـ.
انظر ترجمة أشرس في الأعلام للزركلي ج١ ص ٣٣١.

(٣) انظر الكامل في التاريخ – لابن الأثير – ج٥ ص ١٤٧، ١٤٨.

(٤) انظر المصدر السابق، ج٥ ص ١٦٥، وما بعدها.

(٥) انظر المصدر السابق ج٥ ص ١٤٨ – ١٥٤.

(٦) انظر المصدر السابق ج٥ ص ١٦٥ – ١٧١.

ويجدر بنا أن نشير إلى أن هذه الأحداث كانت تدفع دعاة العباسيين خطوات إلى الأمام.

الحارث بن سريج:

وخرج الحارث بن سريج[١] على هشام بن عبد الملك - الخليفة وقتئذ - بسبب الضرائب التي فرضها على الموالي من الفرس، وأخذ الحارث يدعو للعودة إلى الكتاب والسنة والبيعة للرضا من آل محمد[٢] .

ولا نعلم أكان خروج ابن سريج من نفسه؟ أم دفعته إلى ذلك جهات أخرى؟ وبالتحديد: لانعلم أكان العباسيون وراء حركة ابن سريج أم لا؟ وسبب ذلك الغموض هو أنه لم يعرف أن الحارث اتصل بواحد من النقباء الذين بعثهم إبراهيم الإمام إلى خراسان، ولعله خرج من تلقاء نفسه، فتلاقت مصلحته مع مصلحة العباسيين أو لعله تم الاتصال به سراً من قبل النقباء حاملي الدعوة العباسية.

المهم أنه امتدت ثورة الحارث إلى أكثر بلاد خراسان، وانضم إليه بعض العرب الذين كانوا بخراسان، واستولى على بلخ والجوزجان والطالقان ومروالروذ، ودارت حرب بينه وبين أسد بن عبد الله القسري، فتفرق جمع كبير من أصحاب ابن سريج، وانهزم[٣] .

وانصرف ابن سريج إلى بلاد الترك، فأقام اثنتي عشرة سنة هناك، وهدأت ثورته بعد اختفائه إلى حين[٤] .

ويمكن القول: إن ثورة الحارث بن سريج كانت من بين العوامل التي ساعدت على انتشار الدعوة العباسية.

على كل حال استمر أسد بن عبد الله القسري بعد اختفاء ابن سريج في بلاد الترك، استمر

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام - للزركلي - ج٢ ص ١٥٤.

(٢) انظر تاريخ الطبري - ج٩، ص ٢٦٦.

والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٥ ص ١٨٣.

(٣) انظر المصدر السابق ج٥ ص ١٨٤.

(٤) انظر البداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠، ص ٢٦، وسيأتي دوره مع نصر بن سيار.

في حروبه وغزواته بغرض استتباب الأمن والنظام في بلاد ما وراء النهر، فواجه ملك فرغانة، فهزمه وقتله، وأخضع فرغانة من جديد.

نصر بن سيار في ما وراء النهر[١] :

تولى نصر بن سيار إمارة خراسان سنة ١٢٠هـ بعد أسد بن عبد الله الغسري، وبدأ نصر عهده برفع الجزية عن الصغد، وغيرهم من الترك الذين دخلوا في الإسلام، وذلك إقراراً للمساواة في الحقوق والواجبات مع العرب[٢] .

ومع أن سياسة نصر كانت عادلة إلى حد كبير، إلا أن الفتن كانت أقوى من محاولات نصر، وبخاصة أن الدعوة العباسية كان قد اتسع مجال انتشارها، وحدثت اضطرابات في فرغانة والصغد، فغزا نصر فرغانة مرتين، وعقد صلحاً مع الصغد، وفي صدام بين الترك وبين عاصم بن عمير - قائد جند سمرقند - أسر عاصم ملك الترك كورصول وأتى به إلى أميره نصر بن سيار الذي أمر بقتله، وذلك سنة ١٢١هـ[٣] كما غزا نصر الشاش، وصالحه ملكها[٤] .

وبدأت مرحلة مجابهة نصر لأبي مسلم الخراساني الذي وصل إلى خراسان جاهراً بالدعوة العباسية[٥] ، ولكن أبا مسلم كان ينتصر، بسبب حماس أصحابه، وغير ذلك من الظروف التي من أهمها كثرة الاضطرابات والتبرم بسياسة الخلافة الأموية البعيدة إلى حد ما عن تطبيق الكتاب والسنة حرفياً.

وكان نصر يحاول محاولات مستميتة في سبيل دحر المعارضين وتشتيت شملهم، فاستعان

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام - للزركلي - ج٨ ص ٢٣.
(٢) انظر الكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٥ ص ٢٣٦.
(٣) انظر المصدر السابق - ج٥ ص ٢٣٧، ٢٣٨.
والنجوم الزاهرة - لابن تغري بردي - ج١ ص ٢٨٦.
(٤) انظر الكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٥ ص ٢٣٨، ٢٥٠.
(٥) انظر ابتداء أمر أبي مسلم الخراساني ونسبه في:
الفخري في الآداب السلطانية - لابن الطقطقي - ص ٩٨.
والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٥ ص ٢٥٤.
والنجوم الزاهرة - لابن تغري بردي ج١ ص ٣٠٩.

بعلي بن الكرماني، لكن أبا مسلم أفسد عليه ابن الكرماني، وأرسل نصر إلى الحارث بن سريج بالأمان، بغرض أن يكون عوناً له ضد الخارجين على الدولة، وجاء ابن سريج من أرض الترك إلى مرو، ورد عليه نصر جميع ما أخذ منه[١] ، وأجرى عليه كل يوم خمسين درهما، فأبى الحارث وأرسل إلى نصر يقول له: (إني لست من الدنيا واللذات في شيء، إنما أسألك كتاب الله والعمل بالسنة، وأن تستعمل أهل الخير فإن فعلت ساعدتك على عدوك)[٢] .

ثم أرسل إلى الكرماني: (إن أعطاني نصر العمل بالكتاب وما سألته عضدته وقمت بأمر الله، وإن لم يفعل أعنتك إن ضمنت لي القيام بالعدل والسنة[٣] .

ثم إنه لم يطق ابن سريج المقام بمرو، فدعا الناس إليه، فاجتمع حوله ثلاثة آلاف، فخرج، وقال لنصر: (إنما خرجت من هذه البلدة منذ ثلاث عشرة سنة إنكاراً للجور، وأنت تريدني عليه؟)[٤] .

ثم كتب لنصر أن يجعل الأمر (أمر الخلافة) شورى، فأبى نصر، فقاتله، واستعرت نار الفتنة، وفتح نصر جبهة قتال جديدة، وانتهت تلك الفتنة بقتل ابن سريج امام سور مرو سنة ١٢٨هـ[٥] .

ومع أن نصراً قتل ابن سريج إلا أنه لم يتمكن من أبي مسلم الخرساني، وحاول نصر الإستنجاد بالخليفة فكتب إليه يحذره الخطر القادم من الشرق، لكن الأمر كان أقوى من نصر ومن الخليفة، فقد انقسم البيت الأموي على نفسه بسبب منصب الخلافة[٦] ، وكانت قد ظهرت العصبية والشعوبية المقيتة لدرجة جعلت الخليفة يزيد الناقص يلهج بشعر يقول فيه:

---

(١) انظر الكامل في التاريخ - لابن لأثير ج٥ ص ٢٠٨.

(٢) انظر المصدر السابق ج٥ ص ٣٢٨.

(٣) انظر المصدر السابق ج٥ ص ٣٢٨.

(٤) انظر المصدر السابق - نفس الجزء والصفحة.

(٥) انظر البداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠، ص ٣٦.
والكامل في التاريخ - لابن الأثير ج٥ ص ٣٤٢.

(٦) انظر المصدر السابق، ج٥ ص ٢٩٢.

أنا ابن كسرى وأبي مروان وقيصر جدي وجدي خاقان[١]

كل ذلك كان علامة على تفسخ المجتمع، حيث وصلت العصبية بالآباء والأجداد إلى لسان الخليفة.

وتغلب أبو مسلم على خراسان وأظهر الدولة العباسية[٢] وخرج نصر من مرو سنة ١٣٠هـ ورحل إلى نيسابور، فسير أبو مسلم إليه قحطبة بن شبيب[٣] ، فانتقل نصر إلى قومس، وكتب إلى ابن هبيرة . وهو بواسط - يستمده، وكتب إلى مروان بن محمد - آخر خلفاء بني أمية - وهو بالشام[٤] - وأخذ ينتقل منتظراً النجدة إلى أن مرض في مفازة (بين الري وهمدان)، ومات بساوة سنة ١٣١[٥] .

وبوفاة نصر اضطربت الأحوال على الدولة الأموية، وزحف قحطبة - قائد جيش أبي مسلم الخرساني بجيشه نحو العراق وكان ذلك إيذاناً بسقوط الخلافة الأموية.

---

(١) انظر البداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص١٦، وأما قوله أنا ابن كسرى.. فلأن جدة فيروز، وأم أمه بنت قيصر الروم، وأمه شيرويه بنت خاقان ملك الترك، كان قد سباها قتيبة بن مسلم، هي وأختاً لها، فبعثها إلى الحجاج، فارسل بهذه إلى الوليد، واستبقى عنده الأخرى.

(٢) انظر الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي - ص ٩٧.

(٣) انظر التبنية والإشراف - للمسعودي - ص ٢٨٣.

(٤) كان من بين ما كتب نصر لمروان عند ظهور أبي مسلم قوله:

أري خلل الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالزندين توري وإن الحرب أولها كلام.
فإلا تخمدوها تجب حرباً يكون وقدوها قصر وهام
أقول من التعجب ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيام؟

انظر تحفة الوزراء - للثعالبي - ص ٨٠.

والكامل في التاريخ - لابن الأثير ج٥ ص ٣٢٣.

والبداية والنهاية لابن كثير ج ١٠ ص ٣٢.

(٥) انظر المصدر السابق ج١٠ ص ٣٧.

وخلاصة القول:

إن الخلافة الأموية لم تستطع أن تسيطر سيطرة تامة على بلاد ما وراء النهر رغم ما كلفها ذلك من جيش وسلاح وغير ذلك، ولقد كانت الفتوحات، - في أغلبها - تمكيناً للحكم الإسلامي، وتثبيتاً لدعائمه في هذه البلاد.

وإذا كان الأمويون قد نجحوا في بسط نفوذهم وقتاً ما على معظم بلاد ما وراد النهر، فإنهم لم يحتفظوا بذلك طويلاً، فبعد موت قتيبة انحسرت الفتوح إلى حد كبير، وعاد الجزر للبلاد التي فتحها المسلمون في عهد قتيبة.

لعلنا نكون قد أوضحنا في هذا الباب، شيئاً عن الترك في مواطنهم الأولى، ثم تطور علاقتهم بالخلافة الراشدة والأموية، ويعد ذلك أمراً طبيعياً للدخول إلى علاقة الأتراك بالخلافة العباسية حتى نهاية عصر المأمون، وهو موضوع الباب القادم إن شاء الله.

* * * * *

الباب الثاني

الاتراك والخلافة العباسية

حتى نهاية عصر المأمون

الفصل الأول: الأتراك والخلافة العباسية من السفاح إلى المهدي

الفصل الثاني: الأتراك والخلافة العباسية من الرشيد إلى المأمون

الفصل الأول

الأتراك والخلافة العباسية

من السفاح إلى المهدي

موضوعات الفصل

* **مقدمة.**
* **الدعوة العباسية السرية في أتراك ما وراء النهر.**
* **عوامل نجاح الدعوة السرية في ما وراء النهر.**
* **ما وراء النهر في عهدي السفاح والمنصور.**

أ - في عهد السفاح:

- معركة تالاسي (طراز)
- بعد معركة طراز.
- أبو مسلم الخراساني وما وراء النهر.
- خروج الراوندية على الخلافة.

ب - في عهد المنصور:

- ما وراء النهر بعد مقتل أبي مسلم.
- الترك في حاضرة الخلافة.

* **ما وراء النهر في عهد المهدي:**

- فتنة المقنع في ما وراء النهر:
- المبيضة يعاونون المقنع.
- اضطراب الصغد وفرغانة.
- يوسف البرم في بخاري.
- الاعتراف بسلطة الخلافة العباسية.
- الدعوة الإسلامية في ما وراء النهر.

الفصل الأول

الأتراك والخلافة العباسية

من السفاح إلى المهدي

* * *

مقدمة:

كان من أهداف الفتوحات الإسلامية الأموية في بلاد ما وراء النهر وبخاصة الفتوحات التي قادها قتيبة بن مسلم، تثبيت أقدام المسلمين، والتمكين للحكم الإسلامي في هذه المناطق[١] .

ونتيجة لكثرة الخلافات السياسية الحزبية والعصبية القبلية، والشعوبية[٢] ، وغير ذلك، تراخت قبضة الأمويين على مناطق خراسان وما وراء النهر، واستطاع العباسيون الاستفادة من هذا الأمر، فنشروا دعوتهم هناك ونجحوا في ذلك نجاحاً كبيراً وسقطت الخلافة الأموية سنة ١٣٢هـ بعد أن أصبحت غير قادرة على مواجهة الزحف القادم من خراسان وما وراء النهر، معلناً الولاء لبني العباس[٣] .

لقد ظهرت مع بداية القرن الثاني الهجري أحداث دفعت الدعوة السرية العباسية خطوات نحو النجاح، وبخاصة في مناطق ما وراء النهر، وسنرى بعد قليل كيف كان ذلك.

وقامت الخلافة العباسية، وورث العباسيون دولة الإسلام التي امتد نفوذها إلى القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوربا، وذلك في إطار دولة تضم أربعة عشر إقليماً[٤] .

ولكن ماذا عن علاقة الأتراك بالخلافة العباسية منذ نشأتها؟ هذا ما سنحاول توضيحه فيما يلي...

---

(١) من ذلك مثلاً ما حدث من وضع قتيبة بعض الجنود في سمرقند خوف انتقاض أهلها.
انظر تاريخ الطبري ج٦ ص ٥٦٧، ٥٦٨.

(٢) انظر من الكتب التي تحدثت عن الشعوبية والعصبية وأثرها كتاب: الشعوبية وأثرها الاجتماعي في الإسلام د. زاهية قدورة - دار الكتاب المصري.

(٣) يمكن الرجوع إلى أسباب سقوط الخلافة الأموية عموماً في موسوعة التاريخ الإسلامي لأستاذنا الدكتور / أحمد شلبي ج٢ ص ٣٢٠.

(٤)انظر محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) للمرحوم الشيخ محمد الخضري بك ط. الخامسة - مكتبة الاستقامة بالقاهرة - ص ١٤ وما بعدها.

الدعوة العباسية السرية في بلاد ما وراء النهر:

من البداية يجب أن نذكر أن منطقة ما وراء النهر كانت تابعة إدارياً لخراسان منذ بدأ الفتح الإسلامي لها وحتى عهد المأمون، وكان حاكم خراسان حاكماً بطبيعة الحال لهذه المنطقة فيما وراء النهر[١] ولعل هذا من الأسباب التي جعلت بعض الجغرافيين المسلمين يدخلون ما وراء النهر ضمن تعريفهم لخراسان، ويعتبرونها جزءاً منها[٢] .

ومن أجل هذا التداخل فإن الحديث عن الدعوة السرية العباسية فيما وراء النهر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحديث عن هذه الدعوة في خراسان ومن هنا وجب الحديث بإجمال عن بداية هذه الدعوة في خراسان.

بدأت الدعوة السرية للخلافة العباسية مع بداية القرن الثاني الهجري، ووافقت هذه البداية خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) التي أشاعت العدالة، وملأت النفوس اطمئناناً، وهيئت للمعارضة أن تتكلم دون خوف من إراقة الدماء أو إزهاق الأرواح)[٣] ، وكان هذا من أسباب نجاح ودفع الدعوة السرية خطوات إلى الأمام.

وحدد العباسيون هدفهم للوصول إلى الخلافة، واتبعوا عدة سبل لتحقيق غرضهم، فقاموا بتأليف جمعية سرية كنواة للدعوة تضم اثني عشر نقيباً وسبعين رجلاً آخرين يأتمرون بأمرهم[٤].

---

(١) انظر موسوعة تاريخ السند والبنجاب - للطرازي - ج١ ص ٢٥٢.

(٢) انظر تفصيل هذا الموضوع في الفصل الأول من الباب الأول تحت عنوان (ما وراء النهر جزء من تركستان).

(٣) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لأستاذنا الدكتور/ أحمد شلبي ج١ ص ٣٣ ط الثامنة.

(٤) انظر تاريخ الطبري ج٦ ص ٥٦٢.

وتاريخ الدولة العباسية - للخضري ص ١٥.

واختيار هذا العدد من النقباء تشبيه لهم باختيار رسول الله ﷺ النقباء في بيعة العقبة الثانية، وهذا لصبغ الدعوة منذ البداية بالصبغة الشرعية.

وجعلوا وجهتهم خراسان[١] ، لتبدأ الدعوة من هناك[٢] ، واختار العباسيون شعاراً عاماً لدعوتهم يستقطب حوله كل الاتجاهات وهو (الرضا من آل محمد)[٣] .

وكانت دعوة العباسيين المطالبة بالرجوع إلى الكتاب والسنة والعمل بمقتضاهما، ونبذ العصبية القومية، وإظهار مساوىء الأمويين التي منها استعلاء العنصر العربي على العنصر الفارسي[٤] .

وبهذا استطاع العباسيون أن يؤكدوا ما دعا إليه رسول الله ي من نبذ العصبية الجزئية الجاهلية، وجعلها عصبية عامة في الدين، وأن كل الناس لآدم وآدم من تراب، وأن العصبية الجزئية أو القبلية منتنة فيجب على المسلمين أن يدعوها، وأحاديث رسول الله ي في هذا كثيرة، وليس هنا مجال سردها[٥] .

---

(١) كان عمر بن عبد العزيز يدرك خطورة خراسان، ظهر ذلك في رسالته إلى عامله على خراج خراسان عقبة بن زرعة الطائي، فقد جاء في هذه الرسالة (... وليس من ثغور المسلمين ثغر أهم إليّ ولا أعظم عندي من ثغر خراسان).

انظر تاريخ الطبري ج٦، ص٥٦٨.

(٢) اختار محمد بن على بن عبد الله بن عباس – مؤسس الدعوة العباسية – خراسان لتكون بداية الدعوة منها ، وقد استعرض أرض الخلافة الأموية كلها، فكان مما قاله لدعاته بعد أن عاب كل المناطق وحذرهم منها: (... ولكن عليكم بخراسان، فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر، وهناك صدور سليمة، وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء، ولم يتوازعها الدغل، وهم جند لهم أبدان وأجسام، ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة، ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة... وبعد... فإني أتفائل إلي المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق).

انظر كتاب البلدان لأبي بكر أحمد بن محمد الهمداني – المعروف بابن الفقيه ط. (١٣٠٢هـ) ليدن ص ٣١٥.

ورسائل الجاحظ ج١ رسالة مناقب الترك ص ١٦.

وعيون الأخبار – لابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) ط. (١٩٢٥ – ١٩٣٠م) دار الكتب المصرية – القاهرة.

وهناك دوافع أخرى لإختيار خراسان منبتاً للدعوة العباسية.

انظر تاريخ الدولة العباسية – للخضري – ص ١٤، وما بعدها.

(٣) كسب العباسيون بذلك الشعار أعداداً كثيرة من الفرس وبخاصة المتشيعون منهم لآل البيت، لأن الفرس تربطهم بآل البيت صلة نسب، حيث تزوج الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما الأميرة شهر بانوه ابنة يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين.

انظر الخلافة والدولة في العصر العباسي د. محمد حلمي محمد أحمد ط. (١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م) ص ٦٥.

(٤) انظر العباسيون الأوائل – من بدأ الدعوة السرية حتى بداية عهد الرشيد للدكتور فاروق عمر ط ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م) دار الإرشاد – بيروت – ص ٢٢ وما بعدها.

(٥) انظر تاريخ الدولة العباسية – للخضري – ص ٤٨٧ – ٤٩١.

واستمرت الدعوة العباسية سرية أكثر من ربع قرن من الزمان، حتى حانت الفرصة للجهر بالدعوة[١] ، وما هي إلا سنوات قلائل حتى سقطت الدولة الأموية[٢] .

ولكن يرد هنا سؤال: ما مدى نجاح الدعوة السرية العباسية في بلاد ما وراء النهر؟ هذا ما نحاول الإجابة عنه.

* * * * *

عوامل نجاح الدعوة العباسية السرية في ما وراء النهر:

لقد وجدت الدعوة السرية العباسية أرضاً خصبة، فنبتت فيها، وكانت خراسان وما وراء النهر هي تلك الأرض الصالحة لإنبات هذه الدعوة.

ولنحاول في عجالة إلقاء الضوء على الأوضاع السياسية في ما وراء النهر أثناء الدعوة السرية، لنتبين بوضوح كيف كانت الأحداث عاملاً مهماً في نجاح هذه الدعوة، وترعرعها في هذه المناطق.

ما إن انتهى عهد عمر بن عبد العزيز الذي انتصف لأهل الصغد[٣] ، وأمر بعدم الغزو في بلاد ما وراء النهر[٤] طمعاً في استقرار الأمور في المناطق المفتوحة من هذه البلاد - ما إن انتهى هذا العهد، الذي وسم بأنه عهد السماحة والحرية، حتى ظهر الفساد والظلم والقهر، ونقض أهل الصغد عهدهم مع المسلمين، وأعانوا أقرانهم من الأتراك على المسلمين[٥] .

وخاض سعيد خذينة[٦] أمير خراسان وما وراء النهر - سلسلة من الحروب، وخلفه سعيد بن

---

(١) انظر تاريخ الطبري، ج٧ ص ٣٠ وما بعدها.

(٢) انظر تاريخ الدولة العباسية - للخضري ص ١٥، ٢٥.

(٣) انظر تاريخ الطبري ج٦ ص ٥٦٧، ٥٦٨.

(٤) انظر المصدر السابق، ج٦ ص ٥٦٨.

(٥) انظر المصدر السابق، ج٦ ص ٦٠٥ وما بعدها.

(٦) ولي يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة على العراق وخراسان فولى مسلمة سعيد خذينة على خراسان وما وراء النهر. انظر المصدر السابق ج٦ ص ٦٠٥.

عمرو الحرشي وكثرت الفتن والقلاقل حتى إن أهل الصغد ارتحلوا إلى فرغانة ليعينوهم ضد المسلمين، وقد استطاع الحرشي إجبارهم على العودة والصلح[١] .

غير أن الحروب والثورات توالت دون أن تبدو نتيجة حاسمة لهذا الصراع بين الترك والمسلمين.

وبقي الحال على هذا إلى أن ولىّ الخليفة هشام بن عبد الملك أشرس بن عبد الله السلمي خراسان سنة ١٠٩هـ[٢] .

واستطاع أشرس أن يرسل دعاته وعلى رأسهم أبو الصيداء (صالح بن طريف) إلى أهل الصغد، لدعوتهم إلى الإسلام، ويكون لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، فأسلم كثيرون، وبنوا المساجد، وأقيمت الأربطة والمدارس[٣] .

لكن أشرس ظهر له أن الخراج قد انكسر وقلّ، فأمر عماله على الخراج بأخذ الجزية ممن كان يأخذ منهم قبل ذلك بحجة أنه لم يتمكن الإسلام من قلوبهم.

وتنكر أشرس بذلك لما وعدهم به من قبل، فثار الدعاة أنفسهم على أشرس، وانضم أبو الصيداء إلى المسلمين الجدد دفاعاً عن حقهم في المساواة[٤] .

وبذلك بدأت تظهر الفتن والثورات من جديد، وكلما أخمد الأمويون فتنة أو ثورة، اندلعت ثورة أخرى، واستمر الحال هكذا فيما وراء النهر حتى ظهر الحارث بن سريج[٥] .

وكان لظهور الحارث، ودعوته إلي العمل بالكتاب والسنة، وألا تؤخذ الجزية من مسلم، والعدل والمساواة بين الناس، أثر فعال في إظهار سخط الناس على الولاة وعلى الأمويين أنفسهم.

---

(١) انظر الطبرى ج٦ ص ٦٢١ وما بعدها.

(٢) انظر المصدر السابق ج٧ ص ٥١.

(٣) انظر المصدر السابق، ج٧ ص ٥٤، ومابعدها.

(٤) انظر المصدر السابق ج٧ ص ٥٥ - ٩٢.

حيث تفاصيل ثورات ما وراء النهر.

(٥) انظر المصدر السابق ج٧ ص ٩٤، وما بعدها.

لقد مهدت هذه الأحداث لكشف النقاب عن دعوة جديدة تجمع إلى دعوتها للكتاب والسنة دعوتها إلى إعادة الخلافة للرضا من آل محمد، فلاقت هذه الدعوة رواجاً، وأرضا صالحة لغرس مبادئها.

وفضلاً عن ظهور الفتن والثورات المستمرة في بلاد ما وراء النهر طيلة فترة الدعوة السرية، لم تكن سيرة القبائل العربية التي انتقل كثير من أهلها إلى بلاد ما وراد النهر وعاشوا بها بالسيرة التي ترضى، فلقد ظهر النزاع والخصام والعصبية المقيتة[1] ، فكان كل ذلك يساعد على نجاح دعوة العباسيين ويزيد من عوامل سقوط الأمويين.

ولعله بعد عرض هذه الصورة عن بلاد ما وراء النهر أثناء فترة الدعوة السرية العباسية يكون قد اتضح أمامنا أن هذه الدعوة ساعدتها أحداث متلاحقة.

ولما تولى أبو مسلم الخراساني أمر الدعوة العباسية في خراسان وما وراء النهر[2] استطاع أن يكسب إلى صفه بذكاء وحكمة كل المعارضين للحكم الأموي في هذه المناطق.

ورغم أن نصر بن سيار وهو من أعظم ولاة الأمويين في خراسان وما وراء النهر أنذاك - قد واجه أبا مسلم بكل ما لديه من قوة، فإن الفتن والاضطرابات التي كانت في هذه المناطق كانت أكبر من محاولاته، فذهبت محاولاته في جمع الشمل هدراً، ولقد أنذر الخليفة أكثر من مرة، لكن يبدو أن الأمر كان أكبر من الجميع[3] .

ولعل من بين ما ساعد أبا مسلم على أداء مهمته هو محاولته تنفيذ وصية إبراهيم الإمام[4] .

---

(١) انظر المصدر السابق ج٧ ص ٢٨٥ - ٢٩٣.

وقد كانت هناك حرب قبلية بين مضر وربيعة.

وانظر الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول للدكتور محمدماهر حماده ط. الرابعة (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) مؤسسة الرسالة - بيروت - ص ١٧.

(٢) وجه إبراهيم الإمام أبا مسلم الخرساني ليكون مسئول الدعوة الأول في خراسان.

(٣) أرسل نصر للخليفة يشرح له الوضع في خراسان، ويطلب نجدته، لكنه لم يجد منه أذناً صاغية، وحاول أن يجمع شمله مع زعيم ربيعة على أبن الكرماني، لكن أبا مسلم أفشل هذا التحالف، وأرسل نصر لابن هبيرة يستنجده، إلاأن ابن هبيرة حبس رسل نصر، ولم يقدم له يد العون.

(٤) سيرد الحديث عن الوصية بعد قليل.

وسقطت الخلافة الأموية أمام جيش أبي مسلم الزاحف من ما وراء النهر وخراسان نحو العراق، وقامت الخلافة العباسية على أكتاف دعاتها الذين نجحوا في نشر دعوتهم، وساعدتهم عوامل أخرى على نجاحها.

* * * * *

ما وراء النهر في عهدي السفاح والمنصور

أ - في عهد السفاح:

ولم تكن ما وراد النهر بالأرض المستقرة في عهد الأمويين، بل كانت تموج بالفتن والقلاقل، ودخلت الدعوة العباسية السرية وانتشرت بين ظهراني أهل تلك البلاد، فزاد ذلك من الإضطرابات.

ولما قامت الخلافة العباسية لم يستطع العباسيون أن يحكموا القبضة على تلك المناطق، ربما بسبب بُعد هذه البلاد عن حاضرة الخلافة، وربما لانشغال العباسيين بتوطيد أركان الخلافة من الداخل، وتتبع الأمويين... وغير ذلك.

ولم يتمكن أبو مسلم الخراساني الذي أصبح والياً على خراسان وما وراء النهر من ضبط هذه البلاد بصورة شاملة، مع ما كان يتميز به من حذر وذكاء وشدة وعنف.

لقد حاول أبو مسلم ضبط ولايته بكل ما لديه من عنف وقسوة، كما حاول تنفيذ وصية إبراهيم الإمام له، فكان يقتل بالشبهة، لكنه إمعاناً في ضبط الأمور خرج علي الوصية، فقتل سليمان بن كثير في حضرة أبي جعفر المنصور قبل توليه الخلافة(١) .

---

(١) جمع إبراهيم الإمام الدعاة وخاطب أبا مسلم الخراساني أمامهم بقوله: ياأبا عبد الرحمن.. إنك رجل منا أهل البيت، فاحفظ وصيتي.... - ثم طلب منه إكرام بعض قبائل العرب، واتهام البعض الأخر، وقال له: فاقتل من شككت في أمره ومن وقع في نفسك تهمة..

- ثم قال بعد ذلك: إن استطعت ألا تدع بخراسان أرضاً فيها عربي فافعل. وأيما غلام بلغ خمسة أشبار فاتهمته فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ - يعني - سليمان بن كثير - ولا تعصه).

انظر الإمامة والسياسة لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة ط الحلبي - القاهرة. ج٢ ص ٢١٨.

وتاريخ الطبري - ج٦ ص ١٤، ١٥. وتاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٩٠.

وجاء نص هذه الوصية في كتاب العيون والحدائق مجهول المؤلف، ج٣ ص ١٨٤ وفي أخرها: واقتل من شككت في أمره ولا تخالف أمر هذا الشيخ سليمان بن كثير وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني) وقد حلل هذه الوصية ونقدها صاحب كتاب الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول - الدكتور محمد ماهر حمادة - انظر ص ١٨، ١٩، ٧٧ من كتابه هذا.

ولقد أفرخت قسوة أبي مسلم وسفكه للدماء في خراسان وما وراء النهر بعض الفتن والثورات التي كان من أهمها خروج شريك بن شيخ المهري ببخارى - وهي من أعمال ما وراء النهر - معلناً قوله: (ما على هذا بايعنا آل محمد، أن نسفك الدماء، ونعمل غير الحق؟!)(١) .

وتبع شريكاً نحو من ثلاثين ألفاً، وأرسل أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي لفض هذه الجموع، ودارت حرب طاحنة بين شريك ومعه أتباعه وزياد ومعه جيش كثيف، وانتهت المعركة بقتل شريك سنة ١٣٣هـ، أي بعد عام واحد من إعلان الخلافة العباسية(٢) .

ويبدو للباحث أن أكثر الذين تبعوا شريكاً إن لم يكونوا جميعاً من أهل بخارى، فإنهم من أتراك ما وراء النهر عموماً، وربما وجد من بينهم عرب ممن كانوا يعيشون في هذه النواحي.

كما يبدو أن أهداف شريك وأتباعه كانت ترمي بالدرجة الأولى إلى المطالبة بسياسة العدالة، وعدم قتل الناس بالشبهة، هذا حسب قول شريك الذي سبق ذكره، غير أنه من المحتمل أن تكون هناك أهداف أخرى، يؤكد ذلك قول شريك (ما على هذا بايعنا آل محمد)، فإنه يستشف من ذلك أن هذا الشعار الذي اتخذه العباسيون كانوا يستترون خلفه، ولعل شريكاً كانت له ميول شيعية، غير أننا لانستطيع الجزم بذلك، لعدم وجود ما يعيننا على إصدار مثل هذا الحكم.

معركة تالاس (طراز):

وقع خلاف بين أخشيد فرغانة وحاكم الشاس، فاستنجد أخشيد فرغانة بالصين، فانتهز ملك الصين هذه الفرصة طمعاً في وضع يده على الشاش والسيطرة عليها، فأرسل جيشاً جراراً نحو الشاش، فقتل حاكمها سنة ١٣٣هـ(٣) .

غير أن ابن حاكم الشاش القتيل لم يسكت بل طلب مساعدة المسلمين، فأجابه زياد بن صالح الذي كان قد بعثه أبو مسلم الخراساني إلى ما وراء النهر لاطفاء نار الثورة التي أوقدها

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٩١.
والبداية والنهاية لابن كثير - ج١ ص ٥٦.
(٢) انظر تاريخ الطبري ج٧ ص ٤٦٠.
(٣) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير - ج٥ ص ١٤٩.

شريك المهري، واصطدم زياد بقوات الصينيين بموضع يقال له (طراز)[١] أو (تالاسي)، ويقال: إن زياداً أسر عشرين ألف رجل، وهزم (كاوشيان كي) قائد القوات الصينية آنذاك[٢] .

ولا شك أن هذه الواقعة مهمة جداً بالنسبة إلى الاترك في أواسط آسيا، لأنها عملية حربية فاصلة في حل مسألة خطيرة وهي المدنية المستقبلة في تركستان[٣] ، فلقد كان انتصار المسلمين على الصينيين في هذه المعركة التاريخيه حداً فاصلاً لهذه المسألة، حيث ظلت المدنية الإسلامية مسيطرة منذ ذلك اليوم على تلك البقاع[٤] .

ويمكن لنا أن نتساءل: لماذا استنجد أخشيد فرغانة بملك الصين؟

لعل الأخشيد رأى عدم قدرة أبي مسلم على إحكام زمام الأمور فيما وراء النهر، أو لعل استنجاده بملك الصين بمثابة اعتراف منه بدخوله في حماية الصين التي كانت تفرض حمايتها على بعض مدن ما وراء النهر[٥] .

بعد معركة (طراز):

هل ساعد الصينيون الترك في بلاد ما وراء النهر بعد هزيمتهم في معركة طراز؟،

يقول بدر الدين حي الصيني: (يظهر من تاريخ الصين أن الصينيين قد ساعدوا الأمراء

---

(١) مدينة (طراز) في جمهورية قيرغيزيا اليوم.

انظر المسلمون ي الاتحاد السوفيتي – د. محمد على البار ج١ ص ٢٥٦.

(٢) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٥ ص ٤٤٩.

ويقول بدر الدين حي الصيني: (بناء على رواية بارتولد أن العرب قد قتلوا في هذه المعركة خمسين ألفاً من جيش الصين ما عدا من أسروه من عدد هائل قد بلغ عشرين ألفاً، أعتقد أن هذا البيان لايخلو من المبالغة، لأن القوات الصينية التي كات تحت قيادة كاوشيان كي – كما وردت في تاريخ الصين – لم تتجاوز ثلاثين الف جندي، فليس من المعقول أن يقع في أيدى العرب عشرين ألف أسير بعد قتل خمسين ألف منهم.

انظر العلاقات بين العرب والصين – لبدر الدين حي الصيني ص ٣٤.

(٣) كانت هناك مدينتان تتنازعان السيطرة على آسيا الوسطى، مدنية صينية ومدنية إسلامية.

(٤) انظر المرجع السابق – ص ٣٥.

(٥) اتسع نفوذ (تانغ كارجو) من الناحية السياسية حتى وصل سمر قند وبخارى.. إلخ، وكان يأخذ الخراج من ملوك هذه لابلاد، وكانوا يرضون بحكم ملك الصين وسيادته عليهم.

انظر المرجع السابق – ص ٣١ – نقلاً عن: تاريخ ممالك جين (باللغة الأردية) للأستاذ كاركورن.

الآخرين من الترك في نزاعهم مع العرب، لكنهم امتنعوا عن إعلان الحرب ضد العرب مباشرة، بعد تجاربهم مع (صالح بن زياد)[١] في واقعة تالاس، فلقد ذكر في بعض الكتب الصينية أن قوات الصين قد نالت انتصارات مهمة ببعض الجهات النائية بما وراء النهر القريبة لحدود الهند.

لكن تاريخ العرب لم يصدق هذا القول، فلا نعرف إذن مبلغ صحته، بل على العكس نجد دليلاً خلاف ذلك، فإن أبا داود - الذي عينه أبو مسلم الخراساني والياً على بلخ- نال انتصاراً باهراً في حملته على خوداك، وكش[٢] ، وفر حاكم خوداك إلى الصين، وقتل أمير كش في المعركة تاركاً أخاه في الولاية)[٣] .

ومع هذا لم تتدخل الصين لإنقاذ هؤلاء الذين فروا إليها، بل أكثر من ذلك، رفض الصينيون مساعدة حاكم أشروسنة ضد العرب، ولم يتدخل بعد ذلك[٤] .

ولعل من الأسباب التي دعت الصين إلى عدم مساندة أهل ما وراء النهر هو مواجهة الصين لثورة داخلية هائلة كادت تسقط دولة (تانغ) لولا مساعدة المسلمين لها[٥] .

أبو مسلم الخراساني وما وراء النهر في عهد السفاح:

سبق القول: إن قسوة أبي مسلم قد أفرخت العديد من القلاقل والاضطرابات فيما وراد النهر، وقد سبق الحديث عن شريك المهري، ووقوفه في وجه قوات أبي مسلم، ومصرعه، والآن نستكمل الحديث عن تلك الإضطرابات فيما وراء النهر، والتي كان السبب الأول فيها أبو مسلم الخراساني.

بدأ أبو مسلم حملة تأديب لبعض بلاد ما وراء النهر، والتى طالما انتقضت عليه، فتوجه سنة ١٣٤هـ إلى سمرقند، واتبع نفس سياسته المتعسفة، فكان يقتل بالشبهة، ثم انقلب إلى بخارى،

---

(١) هكذا كتب الإسم، والصحيح زياد بن صالح.

(٢) انظر البداية والنهاية - لابن كثير ج١٠ ص٥٧.

(٣) انظر العلاقات بين العرب والصين - لبدر الدين حي الصيني، ص ٢٥.

(٤) انظر المرجع السابق - نفس الصفحة.

والمسلمون في الإتحاد السوفيتي - د. محمد على البار - ج١ ص٢٥٦.

(٥) انظر العلاقات بين العرب والصين - لبدر الدين حي الصيني - ص ٣٦.

فقتل في أهلها مقتلة عظيمة، ثم رجع إلى سمرقند حيث أمر ببناء سور عظيم يحيط بسمرقند كلها، ثم استخلف على تلك البلاد زياد بن صالح، ورجع مع أبي داود خالد بن إبراهيم - الذي عاد من قاتل أهل كس محملاً بالغنائم - إلى بلخ(١) .

ولم يطب العيش لأبي مسلم في بلخ بعد حملته التأديبية في بلاد ما وراء النهر، فقد استشعر زياد بن صالح قوته بعد أن أنابه أبو مسلم على أهل الصغد وبخارى، فخرج زياد على الخلافة وهو ببخارى، فتوجه أبو مسلم للقائه وتأديبه، إلا أن زياداً خرج من بخارى، بعد أن انقلب عليه قواده، الذين علموا بقدوم أبي مسلم، ولما أوى زياد إلى (باركث) تمكن دهقانها من قتله وإرسال رأسه إلى أبي مسلم، الذي عاد بعد ذلك إلى مرو(٢) .

خروج الراوندية(٣) على الخلافة:

ولما خرج أبو مسلم للقاء زياد بن صالح الذي خرج على الخلافة، بعث أبو داود خالد بن إبراهيم - قائد أبي مسلم - نصر بن راشد إلى ترمذ، وأمره أن ينزل مدينتها مخافة أن يبعث زياد بن صالح إلى الحصن والسفن فيأخذها، ففعل ذلك نصر، وأقام بها أياماً، فخرج عليه ناس من الراوندية من أهل الطالقان مع رجل يكنى أبا إسحاق فقتلوا نصراً.

فلما بلغ ذلك أبا داود بعث عيسى بن ماهان في تتبع قتلة نصر، فتتبعهم، فقتلهم(٤) .

---

(١) انظر تاريخ الطبري - ج٧ ص ٤٦٣، ٤٦٤.

والبداية والنهاية - لابن كثير - ج ١٠ ص ٥٧.

(٢) انظر تاريخ الطبري ج٧ ص ٤٦٦، ٤٦٧.

(٣) الراوندية: فرقة منحرفة من أهل خراسان، وغيرهم، وقد تستروا بالإسلام، وأبطنوا آراءهم الفارسية ودياناتهم المجوسية، وكان من بين أفكارهم ومبادئهم: القول بألوهية البشر، وبتناسخ الأرواح، وباستحلال الحرمات، وهم الذين ادعوا ألوهية المنصور وخرجوا عليه.

انظر تاريخ الطبري ج٧ ص ٥٠٥.

ومروج الذهب - للمسعودي ج٣ ص ٢٣٦.

والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٥ ص ٥٠٢.

ودول الإسلام - للذهبي ج١ ص ٩٦.

والبداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص ٧٥.

(٤) انظر تاريخ الطبري - ج٧ ص ٤٦٦.

وذكر الحديث دون ذكر اسم الراوندية في الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٥ ص ٤٥٥، ٤٥٦.

ثم ترك أبو مسلم الميدان تماماً مع بداية موسم حج سنة ١٣٦هـ، لتبدأ رحلته نحوحاضرة الخلافة، ولتبدأ الحلقة الأخيرة في حياة أبي مسلم.

وبالجملة يمكن القول: إن ما وراء النهر مع بداية عهد العباسيين كانت بين ثورات على أبي مسلم لسياسته المتعسفة في هذه المناطق، وثورات ضد الخلافة نفسها، ولم يتمكن العباسيون في عهد أبي العباس السفاح من السيطرة الكاملة على مناطق ما وراء النهر - موطن الأتراك.

وتوفى السفاح سنة ١٣٦هـ، والوضع غير مستقر في ما وراء النهر، فهل تحسنت الأحوال في عهد المنصور؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه في الصفحات التالية إن شاء الله.

* * * * *

ب - في عهد المنصور:

تولى أبو جعفر المنصور الخلافة في ذي الحجة سنة ١٣٦هـ بعد وفاة أخيه أبي العباس السفاح، وكان أبو مسلم الخراساني وقتئذ في موسم الحج، وكان يمثل الخطر الأول عند المنصور، وكان المنصور ذكياً داهية، فقد بدأ ينسج كفن أبي مسلم بهدوء وصبر[١] .

وليس هنا مجال تفصيل الحديث عن تطور العلاقة بين أبي جعفر المنصور وبين أبي مسلم[٢] كما أنه لايهمنا هنا تحليل الوقائع والأحداث التي انتهت بقتل أبي مسلم فلكل ذلك أبحاثه الخاصة، وإنما يهمنا في قضية أبي مسلم أثر مقتله على بلاد ما وراء النهر.

ما وراء النهر بعد مقتل أبي مسلم:

قتل أبو مسلم الخراساني على يد المنصور، ولكن هل كان لمقتله هذا أثر في البلاد التي وليها منذ قامت الخلافة العباسية (خراسان وما وراء النهر)؟

تشير الأحداث التي ظهرت بعد مقتل أبي مسلم إلى مدى ارتباط هذا الرجل بالخراسانيين، فإنه ما إن نمى إلى خراسان نبأ قتل أبي مسلم حتى خرجت طائفة تدعى (المسلمية) قالوا بإمامة أبي مسلم، ثم تنازعوا في ذلك، فمنهم من رأى أنه لم يمت ولن يموت حتى يظهر فيملأ

---

(١) حاول المنصور قتل أبي مسلم في خلافة أبي العباس السفاح، فلم يتمكن من ذلك.

انظر البداية والنهاية - لابن كثير ج١٠ ص ٥٨.

(٢) لم يكن أبو مسلم بالشخصية السهلة، فلقد أراح المنصور من عمه عبد الله بن علي، الذي شق عصا الطاعة وبايع لنفسه، ثم من قبل أخضع أبو مسلم ما وراء النهر وأخضع الخارجين فيها، بل أرعب الترك القادمين من الناحية الشرقية، ولقن ملك الصين درساً لاينسى في معركة طراز، وأبعد الصينيين إلى الأبد عن منطقة ما وراء النهر، كل هذا في عهد السفاح، وفوق ذلك كله فإن وصول الخلافة إلى العباسيين يرجع إلى جهاده ودعوته المخلصة الدوب.

وإذا كان المنصور قد نسي كل هذه الأعمال، وقدم أبا مسلم لمحكمة صورية، كان هو فيها المدعي والقاضي والجلاد في وقت واحد، وأصدر حكم الإعدام على أبي مسلم، فإنه ربما رأى أن أبا مسلم أرادها فارسية لا إسلامية، ولعل المنصور كان أدرى به، فقد رأينا أنه بعد مقتله ظهرت حركات هدامة، كان أغلبها ثأراً لأبي مسلم، وبعضهم كان يؤلهه.

انظر مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص ٢٩٢.

والملل والنحل لعبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٥٤٨هـ) ط ١٩٧٦م - مصطفى البابي الحلبي - القاهرة. ج١ ص١٥٤.

وتاريخ اليعقوبي - ج٢ ص ١٠٢، ١٠٣.

الأرض عدلاً، ومنهم من قطع بموته، وقال بإمامة ابنته فاطمة فسموا بـ (الفاطمية)(١) .

ثم خرجت طائفة الفاطمية يطالبون بدم أبي مسلم، ووقعت أحداث جسام، انتهت بهزيمتهم وقتل قائدهم سنة ١٣٧هـ(٢) .

كما خرجت طائفة الراوندية على المنصور، وذلك ثأراً لأبي مسلم أيضاً(٣) .

وإذا كان الخراسانيون قد خرجوا على الخلافة ثأراً لأبي مسلم الخرساني، فإنا لانكاد نلمح مثل هذا عند أبناء ما وراء النهر، مع أننا شاهدنا ما وراء النهر تضطرم ناراً في عهد السفاح، فلماذا؟

يبدو للباحث أن ما كان يستخدمه أبو مسلم من بطش بأبناء ما وراء النهر جعلهم لايأسفون كثيراً على موته، فضلاً عن أنه لاتربطهم به صلة الجنس، فهؤلاء في الأغلب من الترك، إذا استثنينا بعض العناصر العربية أو الفارسية التي رحلت هناك للغزو، أو لاستتباب النظام.

غير أنه ربما كان هناك اتجاه آخر مؤداه أن أبا مسلم كان قد نشر الأمن في ربوع هذه المناطق بعد سلسلة من الحروب الشديدة ضد المتمردين في ما وراء النهر.

---

(١) انظر مروج الذهب – للمسعودي ج ٣ ص ٢٩٣، ٢٩٤.
(٢) انظر تاريخ الطبري ج٧ ص ٤٩٥ – ٤٩٧.
وتاريخ اليعقوبي ج٣ ص ١٠٤.
ومروج الذهب – للمسعودي ج٣ ص ٢٩٤.
والكامل في التاريخ – لابن الأثير – ج٥ ص ٤٨١ – ٤٨٤.
والبداية والنهاية – لابن كثير – ج١٠ ص ٧٣، ٧٤.
(٣) انظر تاريخ الطبري ج٧ ص ٥٠٥.
والكامل في التاريخ – لابن الأثير – ج٥ ص ٥٠٢، ٥٠٤،
ودول الإسلام – للذهبي ج١ ص ٦٧، ٦٨.
والبداية والنهاية – لابن كثير ج١٠ ص ٧٥.
وموسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لأستاذنا الدكتور/ أحمد شلبي ج٣ ص ١١٢.
ومقال عن الراوندية – د. قحطان الدوري – مجلة الرسالة الإسلامية ص ٨٣ – ١١٣.

الترك في حاضرة الخلافة في عهد المنصور:

مما لاشك فيه أن الأتراك الذين عاشوا في ما وراء النهر قد رحل بعضهم إلى أماكن أخرى داخل دولة الخلافة العباسية، ووصل بعضهم إلى حاضرة الخلافة واتصلوا ببلاط الخلفاء كرعايا داخل أرض الخلافة، وتقلدوا بعض الأعمال داخل البلاط، فقد ظهر حاجب الخليفة المنصور، وهو حماد التركي[١] . كما ظهر بعضهم في الجيش.

ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ جورجي زيدان ذكر أن المنصور أول من استخدم الأتراك في الجيش، وأنهم كانوا شرذمة صغيرة لايؤبه لها[٢] .

وتبعه في هذا الرأي الأستاذ أحمد عُلبي[٣] .

وهذا الكلام – بهذا الإطلاق – مجانب للصواب، فقد سبق أن بينا في الفصل الثاني من الباب الأول مَنْ أول من استقدم واستخدم الأتراك في الجيش، وهو عبيد الله بن زياد، الذي أضاف إلى جيشه ألفين من الترك كلهم جيد الرمي بالنشاب[٤] .

ويبدو أن الأستاذ جورجي زيدان قصد أول مستخدم للأتراك في الجيش من العباسيين، لأن الأتراك قد كان لهم وجود فعلي في الجيش في عهد الأمويين.

* * * * *

---

(١) انظر مروج الذهب – للمسعودي ج٣ ص ٢٩٧.
(٢) انظر تاريخ التمدن الإسلامي – جورجي زيدان – ج٤ ، ١٧٧.
(٣) انظر ثورة الزنج وقائدها على بن محمد لأحمد عُلبي ط (١٩٦١م) الأولى – مكتبة الحياة – بيروت.
(٤) انظر تاريخ الطبري – ج٥ ص ٢٩٨.

ما وراء النهر في عهد المهدي

فتنة المقنع في ما وراء النهر:

وامتداداً للأخذ بثأر أبي مسلم الخراساني، ظهر رجل أعور قصير من أهل مرو، كان يسمى حكيماً، وكان قد اتخذ وجهاً من ذهب، فجعله على وجهه لئلا يرى فسمى (المقنع) وادعى الألوهية[١] ، وكان يقول: (إن الله خلق آدم فتحول في صورته، ثم في صورة نوح.. وهلم جرا إلى أبي مسلم الخراساني، ثم تحول إلى هاشم (وهاشم في دعواه هو المقنع نفسه)[٢] .

وكان يقول بتناسخ الأرواح، وتابعه خلق من ضلال الناس، وكانوا يسجدون له من أي النواحي كانوا، وكانوا يقولون في الحرب: ياهاشم أعنا[٣] .

ولما كانت مبادىء المقنع في أساسها خرمية، وكان يقول بإمامة بل بألوهية أبي مسلم تبعه أتباع أبي مسلم[٤] .

ثم إنه اجتمع إليه خلق كثير[٥] وتحصنوا في قلعة بسيام وسنجرده، وهي من رساتيق (حصون)كس[٦] .

وهذا يدل على أن دعوته انتشرت من مرو مسقط رأسه حتى وصلت بلاد ما وراء النهر.

---

(١) انظر دول الإسلام – للذهبي – ج١ ص ٧٨.

(٢) انظر الآثار الباقية عن القرون الخالية – لأبي الريحان البيروني (٤٤٠هـ) تحقيق / سخاو ط (١٩٧٨م) ليبسك.
ودول الإسلام – للذهبي – ج١ ص ٧٨.

(٣) انظر الكامل في التاريخ – لابن الأثير – ج٦ ص ٣٩.

(٤) انظر مقال الراوندية – د. قحطان الدوري – مجلة الرسالة الإسلامية – ص ١٠٦.

(٥) انظر البداية والنهاية – لابن كثير – ج١٠ ص ١٣٢.

(٦) انظر الكامل في التاريخ – لابن الأثير – ج٦ ص ٥١.
والبداية والنهاية – لابن كثير – ج ١٠ ص ١٤٥، ١٤٦.

المبيضة يعاونون المقنع:

وظهرت جماعة (المبيضة)[١] في بخارى والصغد عموماً، ومدوا يد المساعدة للمقنع ، فقوى بهم جانبه، وكثر أتباعه[٢] .

واجتمع للمقنع جمع غفير من الأتراك في ما وراء النهر، وأغاروا على أموال المسلمين، وأرسل الخليفة المهدي إليهم جيشاً كثيفاً حاصر المقنع مدة طويلة، ولكنه اعتصم بالقلعة[٣] .

ولقد عاني من فتنة المقنع هذا الكثير من قادة جيش المهدي مدة طويلة[٤] ، ولما طال حصار المقنع يئس من النجاة، فأشعل ناراً وألقى بنفسه فيها، ولحق به كثيرون من أهله، والمؤمنون به[٥] .

وهذه الفتنة – كما يقول أستاذنا الدكتور أحمد شلبي: (لعلها كانت محاولة فارسية لأبي مسلم الخرساني، أو أنها كانت محاولة فارسية لسلب النفوذ والسلطة من العباسيين)[٦] .

---

(١) يقول الشهرستاني: تابعه – يعني المقنع – مبيضة ما وراء النهر، وهؤلاء صنف من الخرمية دانوا بترك الفرائض، وقالوا الدين معرفة الإمام فقط.

انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص ١٥٤.

وكان المعنى الأول العام لكلمة (مبيضة) كل مناويء للعباسيين ولكنها اقتصرت في خراسان وما وراء النهر على أنصار أبي مسلم وحزبه.

انظر العصر العباسي الأول – د. عبد العزيز الدوري ص ١١٧ ط. القاهرة.

وفي المعجم الوسيط ج١ ص ٧٩: المبيضة: فرقة من الثنوية، وهم أصحاب المقنع، سموا بذلك لتبيضهم ثيابهم مخالفة للمسودة العباسيين.

(٢) انظر الكامل في التاريخ – لابن الأثير – ج٦ ص ٥٢.

وتاريخ ابن الوردي ج١ ص ٣٠٢.

(٣) انظر الكامل في التاريخ – لابن الأثير ج٦ ص ٥٢.

(٤) انظر بلدان الخلافة الشرقية – كي لسترنج – ص ٥١٤.

(٥) انظر الكامل في التاريخ – لابن الأثير ج٦ ص ٥٢.

والبداية والنهاية – لابن كثير – ج١٠ ص ١٤٥ – ١٤٦.

ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٨٧هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس ط. دار صادر بيروت ج٢ ص ٢٦٤.

وشذرات الذهب لابن العماد ج١ ص ٢٤٩.

(٦) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لأستاذنا الدكتور/ أحمد شلبي ج٣ ص ١٢٨.

وأيًا ما كان الأمر فقد أقلقت هذه الفتنة الخليفة المهدي، وامتدت جذورها من خراسان حتى بلاد ما وراء النهر، فدخلت بخارى والصغد وكس وغيرها.

اضطراب الصغد وفرغانة:

ثم إن الصغد قد اضطربت، وتحركت فرغانة، ويبدو أن اضطرابهما كان امتداداً لفتنة المقنع.

واستطاع أحمد بن أسد أن يخرج إلى فرغانة، ويؤدب الخارجين فيها، ويصل إلى المدينة التي ينزلها الملك وهي (كاسان) وينهى هذا الاضطراب[١].

يوسف البرم في بخارى:

وخرج رجل من موالي ثقيف يدعى يوسف البرم ببخارى، وكان يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاتبعه على ذلك خلق من الناس وخرج على الخلافة، وأعلن الحرب عليها.

وكتب المهدي إلى يزيد بن مزيد الشيباني أن يواجه يوسف البرم، فلقيه فكانت بينهما وقعات عدة، ثم هزمه يزيد، وذلك عن طريق رفع علم أحمر، وتأمين كل من يصير تحته، فصار أصحاب يوسف جميعاً تحته، وأسر يوسف فحمله يزيد إلى المهدي الذي ضرب عنقه[١].

وانتهت هذه الفتنة التي كانت في بخارى، أحد أكبر أعمال ما وراء النهر.

الاعتراف بسلطة الدولة العباسية:

ولعل فتنة المقنع، وغيرها مما كان يقع على أرض ما وراء النهر جعل المهدي يفكر في أمرين:

أولهما: مدى تمكن سلطة المسلمين في بلاد ما وراء النهر.

وثانيهما: مدى تمكن العقيدة الإسلامية الصحيحة في قلوب الناس.

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ١٣٠. وينبغي أن نشير هنا إلى أنه ربما كان هناك قائد يدعى أحمد بن أسد غير السامانى.

(٢) انظر المصدر السابق - نفس الجزء والصفحة.

وإزاء هذا التفكير أرسل الخليفة المهدي رسله إلى أخشيد الصغد، وأخشيد أشروسنة، وملك فرغانة، وخاقان الترك، وملك التبت وغيرهم.

وقد اعترف الجميع بسلطة الخلافة العباسية عليهم، ورضوا بدفع الجزية[١] .

وهنا نتساءل: هل أرضي هؤلاء الملوك بسلطة المسلمين مكرهين؟ أم عن اقتناع شخصي؟

ويبدو لي أنهم رضوا بسلطة المسلمين من اقتناع كامل، وذلك لسببين:

أولهما: احتكاكهم بالمسلمين طيلة أكثر من قرن، منذ بدأ الفتح الإسلامي لهذه البلاد في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وما نتج عن ذلك من تكوين علاقات مودة بين المسلمين، فضلاً عن رؤيتهم في أغلب الأحيان لمظاهر العدل عند المسلمين.

وثانيهما: اعترافهم بقوة المسلمين، وإدراكهم لعدم قدرة الصين على حمايتهم أو فرض السيطرة عليهم، وبخاصة بعد معركة (طراز) التي لقن المسلمون فيها الصينيين درساً لاينسونه أبداً.

الدعوة الإسلامية فيما وراء النهر:

لقد أدرك الخليفة المهدي خطورة الموقف في بلاد ما وراء النهر، واحتياج الناس إلى دعاة صادقين، ينشرون الإسلام الصافي، والعقيدة الصحيحة، فأرسل الدعاة إلى هذه المناطق حتى وصلوا إلى الهند[٢] .

ولقد أسلم في عهد المهدي خمسة عشر ملكاً من ملوك بلاد ما وراد النهر في شرق الخلافة ومن غيرهم من الملوك في جنوب الخلافة، وكان من بين من أسلم جيغويه ملك الخرلخ[٣] .

---

(١) انظر المصدر السابق ج٣ ص ١٣٠، ١٣١.

(٢) انظر المصدر السابق ج٣ ص ١٦٥.

(٣) انظرانظر المصدر السابق – نفس الجزء والصفحة .

ولم يوضح لنا اليعقوبي، كيف أسلم جيغويه، وهل أسلم معه كل من تبعه من الخرلخ؟ ولكنه فيما يبدو كان للدعاة دور مهم في إسلام هذا الرجل.

والخرلخ: إحدى ممالك بلاد ما وراء النهر.

انظر نفس المصدر ج٣ ص ١٤٦.

ولعل سياسة المهدي هذه دفعت الكثير من أبناء ما وراء النهر إلى الوصول إلى أرض الخلافة، لينعموا بالعدل والحرية في ظلها.

وما من شك في أن احتكاك المسلمين بالترك في مناطق ما وراء النهر جعل الكثير منهم يتجه نحو دار الإسلام وحاضرة الخلافة، ويدخل في الجيش، أو يعمل في بلاط الخلافة، أو في المهن والصنائع... إلخ.

* * * * *

الفصل الثاني
الأتراك والخلافة العباسية
من الرشيد إلى المأمون

موضوعات الفصل

الفصل الثاني

* * *

أولاً: الأتراك في عهد الرشيد

مقدمة:

لما مات الخليفة المهدي خلفه ابنه الهادي، الذي لم تدم خلافته إلا قليلاً، انشغل في أغلبها بما كانت تفعله أمه من محاولة السيطرة على الخلافة، وإلزامه بأوامرها.

ولما جاء هارون الرشيد خلفاً لأخيه الهادي، بدأ عامه الأول (سنة ١٧٠هـ) بعمارة مدينة طرسوس، وكان المهندس الذي أشرف على عمارتها يدعى فرج التركي(١).

وهذا يوضح جانباً من استخدام الرشيد للأتراك، وفضلاً عن ذلك فإن الأتراك بدأوا يظهرون داخل أرض الخلافة وبخاصة في حاضرتها، إما كأصحاب مهن وصنائع، وإما كمرتزقة داخل الجيش(٢)، أو غير ذلك.

وقد ذكر الجاحظ رأي يزيد بن مزيد في الأتراك أثناء حديثه عن الوقعة التي كانت بينه وبين الوليد بن طريف الشاري(٣).

والأتراك عاشوا في كنف الدولة، وظهر من بينهم شعراء(٤). وغير ذلك(٥) غير أن ما تميزوا به هو فن الحرب.

ولقد وجدنا في بلاط الخلافة نساء تركيات، أمهات أولاد، كان من بينهن (ماردة بنت شبيب)

---

(١) انظر تاريخ ابن الوردي - ج١ ص ٢٠٥.

(٢) سنري بعد قليل أن الفضل بن يحيى البرمكي كان في جيشه عدد من الأتراك، وكذلك كان في جيش يزيد بن مزيد الذي كان يحارب به الوليد بن طريف الشاري بعض الأتراك، بل إنه ليقال: إن قاتل الوليد جندي تركي يدعي (يوليا التركي).

انظر رسائل الجاحظ - ج١، ص ٥٨. والبداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠، ص ١٧٣.

(٣) انظر رسائل الجاحظ - ج١ ص ٥٨، ٥٩، من ذلك مثلاً قول يزيد بن مزيد عن الترك: (ليس لبدن التركي على شهر الدابة ثقل، ولا لمشيه على الأرض وقع، وإنه ليرى وهو مدبر ما ليراه الفارس منا وهو مقبل..).

(٤) كان أبو يعقوب الخريمي الشاعر من الصغد، وهي من أعمال ما وراء النهر، وقد اتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة في عهد الرشيد، وللخريمي شعر يفتخر فيه بنسبته إلى الصغد قال فيه:

إني امرؤ من سراة الصغد ألبسني ... عرق الأعاجم جلداً طيب الخبر

انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ط(١٩٠٢م) مطبعة بريل - ليدن.

(٥) كان والد عبد الله بن المبارك تركياً، ثم أصبح مولي لرجل من التجار من بني حنظلة من أهل همدان.

انظر البداية والنهاية - لابن كثير - ج ١٠ ص ١٧٧.

التي أنجبت للرشيد ولده المعتصم، الذي أصبح خليفة فيما بعد، واستمرت الخلافة العباسية في عقبه إلى أن سقطت[١] .

ونستطيع القول: إن الأتراك في عهد الرشيد كانوا بين أمرين:

الأول: من كان منهم في حاضرة الخلافة، وهؤلاء كان الخليفة يستخدمهم في بطانته، أو يملأ بهم الأعياد والمواكب والمشاهد[٢] ، أو يجعل منهم حجاباً[٣] ، أو مرتزقة في الجيش، أو خدماً[٤] .

والثاني: من كان منهم في بلاد ما وراء النهر، وقد خرج أكثرهم على الرشيد مع رافع بن الليث[٥] ، كما سيأتي.

وبناء على ذلك سنناقش النقاط التالية التي توضح مدى وجود الأتراك في عهد الرشيد:

---

(١) انظر تاريخ دول الإسلام لرزق الله منقريوس الصوفي ط (١٣٤٤هـ - ١٩٢٣م) مطبعة الهلال بمصر ج١ ص ١٢٢.

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية - للبستاني - مادة تركستان.

(٣) كان هناك رجل من لأتراك يعمل حاجباً للرشيد اسمه (حماد التركي).

انظر مروج الذهب - للمسعودي ج٣ ص ٢٩٧.

ومقاتل الطالبيين - لأبي الفرج الأصفهاني (٣٥٦هـ) ط. الثانية (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم - إيران ص ٣١٠، ٣١١.

(٤) ذكر الذهبي أن الرشيد عندما توفى دفن في دار خاقان خادم المأمون.

انظر سير أعلام النبلاء - للذهبي ج١٠ ص ٢٨٩.

وذكر منقريوس أن خاقان خادم الرشيد.

والنتيجة واحدة أنه خادم في عهد الرشيد.

انظر تاريخ دول الإسلام - ج١ ص ١١١.

وذكر أبو الفداء في تاريخه (المختصر في إخبار البشر) ط (١٣٢٥هـ) القاهرة (ج٢ ص ٣٢) أن خادم الرشيد كان اسمه (جلعان).

وانظر حول هذه المسألة مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس - للشيخ ظهير ادين على بن محمد البغدادي المعروف بابن الكازروني (٦١١ - ٦٩٧هـ). تحقيق الدكتور مصطفى جواد ط (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) سلسلة كتب التراث (١٨) المؤسسة العامة للصحافة والطباعة - بغداد ص ١٣٦.

وسيرد ذكر خاقان الخادم في عهد الواثق، حيث كان مسئولاً عن أمر تبادل الأسرى بين المسلمين والروم وقتئذ.

(٥) رافع بن الليث بن نصر ين سيار ونصر هذا هو من بين أعظم أمراء الدولة الأموية، ولا يعلم تاريخ مولد رافع، لكنه توفى سنة ١٩٥هـ.

انظر البداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص ٢٠٣. والأعلام - للزركلي ج٣ ص ١٢، ١٣.

النقطة الأولى: يحيى الطالبي وخاقان الترك.

والنقطة الثانية: الفضل بن يحيى البرمكي والترك.

والنقطة الثالثة: ثورة رافع بن الليث، وصلة ذلك بالأتراك.

وسنحاول فيما يلي من صفحات توضيح هذه النقاط الثلاث:

يحيى الطالبي وخاقان الترك:

حضر يحيى[1] معركة فخ سنة ١٦٩هـ، مع ابن عمه الحسين بن على بن الحسن، أيام الخليفة الهادي، وشهد مقتل ابن عمه، واستطاع أن ينجو بنفسه، فدعا الناس إليه، فبايعه كثيرمن أهل الحرمين واليمن ومصر، وذهب إلى اليمن فأقام بها مدة، ودخل مصر والمغرب، ثم عاد إلى المشرق فدخل العراق متنكراً.

ثم قصد بلاد الري وخراسان، فوصل إلى ما وراء النهر، واشتد الرشيد في طلبه، فلحق بخاقان الترك، ومعه من شيعته وأنصاره نحو ١٧٠ رجلاً، وأقام عند خاقان سنتين ونصفاً.

وأثناء هذه المدة كاتب الرشيد خاقان في يحيى، وكان خاقان يأبى ويقول: (لا أرى في دني الغدر، وهو رجل من ولد نبيكم شيخ عالم)[2] .

ويجدر بنا أن نقف هنا لنتساءل عن سبب لجوء يحيى الطالبي لخاقان الترك، ثم نحاول مناقشة قول خاقان السابق.

يبدو للباحث أن يحيى أدرك أن الثائرين على الخلافة في الجناح الشرقي يذهبون إلى

---

(١) هو يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. رباه جعفر الصادق في المدينة، فروى الحديث وتفقه، وكان مع ابن عمه الحسين بن علي بن الحسن أيام موسى الهادي، وحضر مقتله في معركة فخ سنة ١٦٩هـ، فنجا ، ودعا إى نفسه، وكانت له أحوال، وتوفي ينة ١٨٠هـ.

انظر مقاتل الطالبيين – لأبي الفرج الأصفهاني – ص٢٠٨ – ٣٢١.

والبداية والنهاية – لابن كثير –ج١٠ ص ١٦٧.

والأعلام – للزركلي – ج٨ ص ١٥٤.

(٢) انظر شذرات الذهب – لابن العماد ج١ ص ٣٢٨.

ولم أستدل على هذا النص من غير هذا المصدر.

خاقان، حيث لايشق لهم غبار، فيأمنون على أنفسهم في وسط الجبال مع الأتراك، فقد توجه الحارث بن سريج قبل ذلك إلى أرض الترك فلم يتمكن منه الخليفة.

وربما توجه يحيى إلى بلاد الترك بمحض المصادفة دون تفكير أكثر من كون هذه بلاداً بعيدة عن أعين الخليفة.

أما قول خاقان: لاأرى في ديني الغدر، فإنه يوحى بأن خاقان رق قلبه لهذا الشيخ (يحيى الطالبي) كما أنه اطمأن لجانبه، وإلا لو أنه شك في يحيى أو في وجود اضطرابات وقلاقل حوله، لبادر بتسليمه للرشيد، وبخاصة بعد أن أرسل إليه يطلبه.

ولعل قول خاقان: (هو رجل من ولد نبيكم شيخ عالم) يدل على إدراك ملك الترك لحقيقة الرجل، وتأثره إلى حد ما بمبادىء الإسلام، أو بفكرة الحق الإلهي التي كانت منتشرة عند كثير من أبناء تلك المناطق.

عود على بدء:

خرج يحيى من عند خاقان بعد عامين ونصف. ولم تشر المصادر المتاحة إلى سبب خروجه، وأغلب الظن أن دعاته أو أنصاره ساعدوه على الظهور، فرحل إلى طبرستان، ثم إلى الديلم، وأعلن بها دعوته سنة ١٧٥هـ، وكثر جمعه فندب الرشيد لحربه الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي[1] ، وكان عامل خراسان وقتئذ.

وخرج الفضل في خمسين ألفاً من الجنود نحو بلاد الديلم[2] ، فخاف يحيى الطالبي أن يغدر به ملك الديلم، فطلب أمان الرشيد، وقيل: بل احتال الفضل لذلك، ثم إنه حضر بغداد، وبلغ الرشيد أن يحيى يدعو لنفسه سراً فحبسه لكن الفضل بن يحيى رقّ له فأخرجه من محبسه، وعلم الرشيد بذلك فكان ذلك مما أحفظه على البرامكة – وطلب يحيى فقبض عليه وحبسه إلى أن مات

---

(١) كان أخا الرشيد في الرضاعة توفى سنة ١٩٢هـ في حبسه.
انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء – للذهبي – ج٩ ص ٩١، ٩٢.
(٢) انظر تاريخ الطبري – ج٨ ص ٢٤٢.
والكامل في التاريخ – لابن الأثير – ج٦ ص ١٢٥.

في حبسه[١] .

الفضل بن يحيى البرمكي والأتراك:

ولى الرشيد الفضل خراسان، فأحسن الفضل السيرة فيها وبنى فيها الربط والمساجد[٢] ، وعلم بخلاف أهل الطالقان، فتوجه إليها فافتتحها، ثم إنه زحف صاحب الترك في خلق عظيم، ولقى عسكر الفضل واندلعت بينهما الحرب، فضرب الفضل وجه صاحب الترك، واستباح عسكره، وغنم أمواله[٣] .

وفي هذا يقول الشاعر:

للفضل يوم الطالقان ومثله ... يوم أناخ به على خاقان
ما مثل يوميه اللذين تواليا ... في غزوتين تواليا يومان[٤] .

فهذه حرب دارت بين الترك وبين الفضل البرمكي، فأين دارت هذه الحرب؟

يذكر صاحب البداية والنهاية أن الفضل قد غزا ما وراء النهر، واتخذ بها جنداً من العجم سماهم العباسية، وجعل ولاءهم له، وكانوا نحو من خمسمائة ألف، وبعث منهم نحواً من عشرين ألفا إلى بغداد، فكانوا يعرفون بها بالكرمينية[٥] .

ويستوقفنا هذا العدد الذي ذكره ابن كثير، فهل كل هذا العدد من أبناء ما وراء النهر من

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ١٤٠.

ومقاتل الطالبيين - للأصفهاني ص ٣١٠، وما بعدها.

وتاريخ بغداد أو مدينة السلام لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) نشر دار الكتاب العربي بيروت ج١٤ ص ١١٠.

وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ٣٠٦.

والبداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص ١٦٧.

(٢) انظر البداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص ١٧٢.

(٣) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ١٣٩.

(٤) انظر المصدر السابق ج٣ ص ١٤٠.

وقد ذكر الطبري هذين البيتين وزاد عليهما ثلاثة أبيات أخرى، وذكر أنها لأبي تمامة الخطيب، إلا أن الطبري لم يشر إلى هذه الحرب التي دارت بين الفضل وبين خاقان الترك.

انظر تاريخ الطبري ج٨ ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٥) انظر البداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص ١٧٢.

الأتراك؟

إن ظاهر كلام ابن كثير يؤكد أن كل هذا العدد من أبناء ما وراء النهر، كما يؤكد أن الفضل اتخذ هذا العدد بعد غزوته لبلاد ما وراء النهر.

وهذه الحادثة تشير إلى أنه ربما يكون الفضل قد أدخل في جيشه هؤلاء الأتراك الذين هزمهم وأصبحوا يدينون له.

ثورة رافع بن الليث في ما وراء النهر:

ولي الرشيد على بن عيسى بن ماهان خراسان، وضم إليه جماعة من القواد فيهم رافع بن الليث، وأمره أن لايستعمله في بلد قاص، فلما قدم على بن عيسى خراسان استعمل رافع على سمرقند، فلم يحل عليه الحول حتى انشق ونادى بالمعصية ودعا لنفسه[1] .

وبلغ الرشيد أن ذلك من تدبير على بن عيسى، فوجه الرشيد إليه هرثمة بن أعين في أربعة آلاف كانه مدد لعليّ، وقبض هرثمة على عليّ، وأرسله مقيداً إلى الرشيد الذي حبسه حتى أخرجه الأمين أثناء خلافته بعد وفاة الرشيد[2] .

استفاد رافع من موجة السخط التي كانت في نفوس أهل خراسان وأهل سمرقند، وغيرها من البلاد على سياسة علي بن عيسى المتعسفة، فاستمال رافع أهل الشاش، وفرغانة، وأشروسنة، والصغانيان، وبخارى، وخوارزم، وختل، وغيرها، واستنصر الترك في أنحاء ما وراء

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ١٥٦.

وسير أعلام النبلاء – للذهبي ج٩ ص ٢٩٤.

وهناك سبب آخر لخلع رافع عصا اطاعة.

انظر النجوم الزاهرة – لابن تغري بردي – ج٢ ص ١٣٢.

وموسوعة التاريخ الإسلامي لأستاذنا الدكتور أحمد شلبي ج٣ ص ١٥٦.

وتاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن إبراهيم ط الرابعة ١٩٥٨م مكتبة النهضة المصرية ج٢ ص ٥٣.

(٢) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ١٥٦.

النهر ضد المسلمين وتحصن بسمرقند[١] .

وتوجه هرثمة إلى رافع وهو متحصن في سمرقند، فلم يزل هرثمة ينازله القتال حتى قتل خلقاً من أصحابه.

ثم استعان رافع بجيغويه الخرلخي[٢] - وكان جيغويه قد أسلم في زمن الخليفة المهدي - فجعل يخادع هرثمة ويوهمه أنه معه، وأما معونته وهواه فكان لرافع، ثم أظهر المعصية والخلع، فقوي أمر رافع بمكانه، وأحرق السواد بالنار، وتبرأ من أهله، ودعا لغير بني هاشم، وأخذ هرثمة يناجز رافع ويصبر عليه، حتى ضرع رافعاً للأمان[٣] فأمنه فخرج إليه بولده وأهل بيته وأمواله سنة ١٩٤هـ[٤] .

ويبدو أن ثورة رافع قد شجعت أتراك القارلوق على دخول فرغانة، والاستيلاء عليها، غير أنهم اضطروا لتركها بعد أن علموا بقدوم الرشيد بنفسه نحو خراسان[٥] .

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ١٦٥، وما بعدها.
وتاريخ الطبري ج٨ ص ٢٧٣.
والبداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص ٢٠٣.
والتاريخ الإسلامي العام - د. على إبراهيم حسن - ص ٢٨٨، ٢٨٩.
وموسوعة التاريخ الإسلامي لأستاذنا الدكتور أحمد شلبي ج٣ ص ١٥٥.

(٢) جيغويه: ملك بلاد الخرلخ، وهي من أعمال ما وراء النهر والخرلخي - نسبة إلى البلاد التي حكمها.

(٣) يقول ابن تغري بردي في النجوم ازاهرة ج٢ ص ١٣٢:
(خرجت إليه - يعني رافعاً - العساكر وقتل بعد أمور).
ويقول ابن العماد الحنبلي في شذراته ج١ ص ٣٣٣:
(إن هرثمة هزم رافعاً وملك سمرقند وبخارى سنة ١٩٣هـ).
وليس لهذين الرأيين ما يؤيدهما من المصادر السابقة عليها زمناً.

(٤) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ١٦٥.
وتاريخ الطبري ج٨ ص ٣٧٥.
ومروج الذهب - للمسعودي - ج٣ ص ٣٦٦.

(٥) انظر تركستان - قلب آسيا - لعبد العزيز جنكيز خان ص ٢٥.

وخلاصة القول:

ظهر الأتراك في نهاية عهد الرشيد بصورة محددة، ولم يكن لهم نفوذ واضح ، لكنهم بدءوا خطواتهم الأولى – قصدوا أو لم يقصدوا – وهي اتصالهم بحاضرة الخلافة، أو ارتباطهم بالجيش، أو غير ذلك.

وعاشوا في ظل الدولة قريبين من الأحداث ، وليسوا فيها، ولكن لم تمض إلا سنوات حتى بدأ نجمهم يتألق، وبدأت خطواتهم نحو الضوء تظهر ليصبحوا هم بعد ذلك صانعي الأحداث.

ويمكن القول: إن تطور وجود الترك في أرض الخلافة جاء طبيعياً في هذا الوقت، وما كان يصدق أن هؤلاء القلة، الذين لايملكون مناصب عليا في الدولة يمكن أن تكون لهم الغلبة والهيمنة على الخلافة يوما ما.

* * * * *

ثانياً: الأتراك في عهد الأمين

وكان الرشيد قد قسم إدارة الدولة بين أبنائه الثلاثة (الأمين - المأمون - المؤتمن) فجعل غرب الخلافة (بلاد المغرب، ومصر، والشام) لولده الأمين، وأقطع شرق الخلافة (بلاد خراسان والري وهمذان) لولده المأمون وجعل للمؤتمن: (الجزيرة، والثغور، والعواصم الشامية)[١].

وتوفى الرشيد بطوس، وخلفه ولده الأمين، وبدأت الفتنة بينه وبين أخيه المأمون على منصب الخلافة وأفرخت هذه الفتنة تركاً، فكيف ذلك؟

الفتنة بين الأمين والمأمون وصلة ذلك بالترك:

وبدأت بوادر الفتنة بين الأخوين الأمين والمأمون منذ كانا أميرين في خلافة والدهما هارون الرشيد، وبخاصة بعد أن جعل الرشيد ولاية العهد لولده الأمين أولاً، رغم صغر سنة عن أخيه المأمون، وقد اعتبر بعض المؤرخين ولاية العهد بهذه الصورة (مأساة) راح ضحيتها خليفة، وكثير من أبناء شعبه.

ولايهمنا هنا الحديث التفصيلي عن الفتنة ودوافعها وأبعادها، ولايمكننا في هذا المقام السريع الحكم على أي الأخوين بالصواب أو بالخطأ، فكل هذا مما يبعد بالباحث عن موضوعه، وليس هنا مجاله.

وقصارى ما يمكن قوله: إن مدبر شأن الأمين وهو الفضل بن الربيع[٢]، وكذا مدبر شأن المأمون وهو الفضل بن سهل[٣] قد حاكا ودبرا مؤامرات، كان مقصدها أن يُبقي كل واحد منهما على صاحبه في سدة الحكم، لتكون له وحده الحظوة، وتسيير أمور البلاد.

---

(١) انظر التنبيه والإشراف - للمسعودي - ص ٣١٥.

(٢) كان صاحب الرشيد، وكان أبوه حاجب المنصور، وكان ممن سعى بالبرامكة، وله أخبار كثيرة.
انظر سير أعلام النبلاء - للذهبي - ج١٠ ص ١٠٩.
ووفيات الأعيان - لابن خلكان - ج٤ ص ٣٧ - ٤٠.
ويمكن الرجوع إلى موسوعة التاريخ الإسلامي لأستاذنا الدكتور أحمد شلبي ج٣ ص ٢٦٣ - ٣٠٦ حيث الدراسة النفسية المستفيضة عن الفضل وأبيه.

(٣) الفضل بن سهل: كان مجوسياً، وأسلم علي يد المأمون سنة ١٩٠هـ، ثم اختاره جعفر البرمكي ليكون مدبر أمر المأمون.
انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير - ج٦ ص ١٦٧.
وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ج١٠ ص ٩٩.
ووفيات الأعيان - لابن خلكان - ج٤ ص ٤١ - ٤٤.
وشذرات الذهب - لابن العماد - ج١ ص ٣٢٦.

ويحلو لبعض الباحثين أن يصور الفتنة التي نشأت بين الأمين والمأمون على أنها فتنة عنصرية بين عربي وفارسي[(١)] ، وأن الحروب التي دارت بين الأخوين كانت حرباً بين العرب والفرس، ولكن يبدو أن هذا الزعم لايستقيم إلي حد ما من عدة وجوه:

أولاً: لم يكن معسكر الأمين كله من العرب، بل كان فيه من الخراسانيين ومن الأبناء كذلك، بل إن الجنود الخراسانيين كان لهم وجود قبل تولية الأمين الخلافة، وديوان الجند كان فيه كثيرمن جنود خراسان[(٢)] .

وثانياً: لم يكن معسكر المأمون كله من الفرس، وأوضح دليل على ذلك أن قواد جند المأمون كانوا إما من العرب حقيقة أو ولاء، فهرثمة ابن أعين، وعجيف بن عنبسة من العرب حقيقة، وطاهر بن الحسين الخزاعي عربي بالولاء.

وثالثاً: أن المأمون استخدم الأتراك، يشد بهم أزر جيشه[(٣)] ، وسيأتي توضيح ذلك، وبالتالي فالفرس لم يكونوا كل جند المأمون، كما لم يكن العرب كل جند الأمين.

على كل حال: أدى تدبير كل من الفضل بن سهل، والفضل بن الربيع إلى اندلاع الحرب بين الأخوين.

وأيًا ما كانت الدوافع للفتنة بين الأخوين، فإن النتيجة النهائية أنها قد ظهرت وبدأ كل منهما يستعد لمواجهة الآخر.

وقد ساعد المأمون على تقوية جيشه انضمام هرثمة بن أعين بجيشه الذي كان يحارب رافع ابن الليث، بل إن رافعاً نفسه انضم بمن معه إلي المأمون[(٤)] .

---

(١) هذا بإعتبار أن أخوال الأمين من العرب، لأن أمه زبيدة هاشمية، أما المأمون فأخواله من الفرس، لأن أمه مراجل أم ولد فارسية. فاعتبرت الحرب فارسية عربية باعتبار هذا النسب ولعل المقصد أن الفضل ابن الربيع - وهو عربي - كان ضد الفضل بن سهل - وهو فارسي، ولذلك فقد دبرا حرباً وصفت بأنها عربية فارسية.

(٢) انظر الكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٦ ص ٢٠٦، ٢٥٨.

(٣) انظر البداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص ٢٢٤.

والخلافة والدولة في العصر العباسي - د. محمد حلمي محمد أحمد ص ٧٥.

(٤) انظر الكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٦ ص ٢٢٩.

والبداية والنهاية - لابن كثير ج١ ص ٢٢٤.

ومن المعلوم أن رافعاً كان يعيش بين ظهراني أهل سمرقند وكان قد تجمع حوله جم غفير من الأتراك من أنحاء ما وراء النهر، فلما طلب الأمان من المأمون، ومنحه كان العنصر الرئيسي في جيشه قد انضم بطبيعة الحال إلى المأمون[١] .

ويؤكد ابن كثير ذلك فيقول: (بعث رافع إلى المأمون يسأله الأمان فأمنه، فسار إليه بمن معه سنة ١٩٤هـ، فأكرمه المأمون وعظمه[٢] .

ولعل المأمون قد استقطب إليه وهو في خراسان عدداً من الأتراك ومن غيرهم وأدخلهم في الجيش، بسبب سياسته وسيرته الحسنة التي أتبعها.

وآية ذلك – مثلاً – أن يكون بين جيش المأمون الذي ذهب لمحاربة جيش الأمين سبعمائة من الخوارزمية[٣] .

ومع أن المأمون قوى بهرثمة ورافع إلى حد ما إلا أن قوته لم تكن لتضاهي قوة أخيه الأمين، وفي تلك الأثناء جاءت رسالة إلى المأمون من أخيه تطلب منه التوجه إلي بغداد، فهم المأمون بالذهاب لولا أن أشار عليه الفضل بن سهل بالمخالفة[٤] .

ولقد سجل المأمون وجهة نظره التي تؤكد مخاوفه من أخيه، وتشير إلى إدراكه لضعف قوته، ووجوده في أرض مجاورة للملوك رفضوا الإذعان للمسلمين فقال:

(لايمكنني مخالفته – يعني الأمين – وأكثر القواد والأموال معه[٥] ، والناس مائلون إلى الدرهم والدينار، لايرغبون في حفظ عهد ولا أمانة، ولست في قوة حتى أمتنع، وقد فارق جيغويه الطاعة، والتوي خاقان ملك التبت، وملك الكابل قد استعد للغارة على ما يليه، وملك أترادبنده قد

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي – ج٣ ص ١٦٥.

(٢) انظر البداية والنهاية – لابن كثير – ج١٠ ص ٢٠٣.

(٣) انظر تاريخ الطبري ج٨ ص ٣٩٢.

(٤) انظر الكامل في التاريخ – لابن الأثير – ج٦، ص ٢٣٢.

(٥) فقد رجع الفضل بن الربيع بالقواد والأموال إلى الأمين، مخالفاً بذلك وصية الرشيد له. انظر المصدر السابق – نفس الجزء والصفحة.

منع الضريبة، وما لي بواحد من هذه الأمور يد، ولأرى إلا تخلية ما أنا فيه، واللحاق بخاقان ملك الترك، والاستجاره به لعلي آمن على نفسي)[١] .

وأدرك الفضل نفسية المأمون التي ضعفت أمام طلب أخيه بالشخوص إليه في بغداد، فحذره أولاً من مغبة غدر الأمين به ثم قدم له هذه النصيحة:

(... واكتب إلى جيغويه وخاقان، فولّهما بلادهما[٢] ، وابعث إلى ملك كابل ببعض هدايا خراسان، ووادعه، واترك لملك أترادبنده ضريبته، ثم اجمع أطرافك، وضم جندك، واضرب الخيل بالخيل، والرجال بالرجال، فإن ظفرت ، وإلا لحقت بخاقان)[٣] .

ويهمنا هنا التعليق على آخر قول المأمون السابق وهو: (ولا أري إلا تخلية ما أنا فيه واللحاق بخاقان ملك الترك، والاستجارة به لعلي آمن على نفسي)[٤] فإن هذا القول يشير إلى أمرين:

أولهما: بيان منعة الترك وقوتهم، وكذا إجارتهم للمنكوب.

وثانيهما: معرفة المأمون بهذه الصفات عن الترك.

ومن هنا لانستبعد أن يسخدمهم المأمون ردءاً له ولجيشه.

ولعل مما يؤكد ما ذهبنا إليه قول ذي الرياستين[٥] الذي ينم عن حكمة بالغة، وخبرة فائقة،

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج٨ ص ٤٠٣.

والكامل في التاريخ - لابن الأثير - واللفظ له ج٦ ص ٢٣٢.

(٢) يبدو أن سياسة المأمون التي رسمها له الفضل بن سهل قد جعلت ملك التبت يعتنق الإسلام، ويقدم على المأمون، وهو بخراسان، ويعطي المأمنون صنماً من ذهب على سرير من ذهب مرصع بالجوهر، فأرسله المأمون للكعبة ليعرف الناس هداية الله لملك التبت. انظر تاريخ اليعقوبي - ج٣ ص ١٨٠.

(٣) انظر تاريخ الطبري ج٨ ص ٤٠٤.

والكامل في التاريخ لابن الأثير - ج٦ ص ٢٣٢.

(٤) يذكرنا هذا الموقف بموقف يزدجرد حينما ذهب ليحضر أمواله ويلحق بخاقان، وكذلك بموقف يحيى الطالبي، ومن قبله الحارث بن سريج، فهل كان خاقان هو الرجل الذي يحمى المتذمرين أو الفارين من أرض الإسلام خوفاً على أنفسهم؟

لقد حاولنا الإجابة عن هذا السؤال عند الحديث عن يحيى الطالبي وخاقان الترك، انظر ذلك في موضعه من الفصل.

(٥) سمى الفضل بن سهل بذير الرياستين، لزنه كان قد قلده المأمون رئاسة الحرب ورئاسة التدبير.

انظر سير أعلام النبلاء - للذهبي ج١٠ ص ١٠٠.

والبداية والنهاية - لابن كثير ج١٠ ص ١٨٧.

وتاريخ الخلفاء - للسيوطي - ص ٢٩٠.

وتقدير صحيح للأمور فإن قوله: (واضرب الخيل بالخيل، والرجال بالرجال، فإن ظفرت وإلا لحقت بخاقان) يدل على أن خاقان هو الذي يمكن اللجوء إليه وقت الشدة.

على كل حال... عمل المأمون بمشورة الفضل بن سهل، فرضى أولئك الملوك العصاة، وضم المأمون جنده، وجمعهم، واستعد لملاقاة أخيه[1] ، ومن هنا أصبحت عناصر الجيش تضم الترك فضلاً عن العرب والفرس.

ويمكن القول إذن: إن الفتنة بين الأمين والمأمون قد أفرخت تركاً، كانوا من عصب جيش المأمون، ثم تزايد أمرهم تدريجياً، حتى كانوا في نهاية عهد المأمون قوة لايستهان بها.

* * * * *

(١) انظر الكامل في التاريخ - لابن الأثير ج٦ ص ٢٣٢.

ثالثاً، روافد الترك في عصر المأمون

مقدمة:

اختار الرشيد بإشارة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي - الفضل بن سهل[١] للمأمون، ليدبر أمره، واستطاع الفضل أن يستولي على لب المأمون، لما أظهره من ذكاء وفطنة وحسن سياسة، وقد أكد ذلك مراراً، مما جعل المأمون يثق فيه، ويسند إليه رئاسة التدبير ورئاسة الحرب ليصبح ذا الرياستين[٢] .

استمر الفضل يدبر أمر المأمون بخراسان، ويسعى لوصول الخلافة إليه، وبالفعل تولى المأمون الخلافة بعد مقتل أخيه الأمين سنة ١٩٨هـ[٣] .

ويبدو أن الفضل كان يسوءه وجود قواد من العرب لهم شهرة كبيرة، وربما كان يضمر في نفسه حسداً أو غيظاً أو عطفاً على بني جنسه من الفرس[٤] .

وليس هنا مجال تحليل نفسية الفضل، وكل ما يهمنا التأكيد على زيادة نفوذه لدرجة جعلته يتخلص من هرثمة بن أعين، ويدبر شئون البلاد، ويخفي الكثير من الأمور عن المأمون[٥] .

---

(١) قيل: إن الفضل كان خبيراً بعلم النجوم فدلته النجوم على أن المأمون سيصير خليفة، فلزم ناحيته وخدمه، ودبر أموره حتى أفضت إليه الخلافة، فاستوزره، مع ملاحظة رأى الإسلام في موضوع التنجيم.

انظر الفخري في الآداب السلطانية - لابن الطقطقي - ص ١٦٢، ١٦٣.

وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ج١٠ ص ١٠٠.

(٢) انظر تاريخ ابن الوردي - ج١ ص ٣١٦.

وتاريخ الخلفاء - للسيوطي - ص ٢٩٠.

(٣) انظر البداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص ١٨٧.

(٤) كان الفضل من أولاد ملوك الفرس المجوس.

انظر الفخري في الآداب السلطانية - لابن الطقطقي - ص ١٦٢.

(٥) يمكن الرجوع لموضوع (مشاهير العصر العباسي الأول) لمعرفة مدى تطور علاقة الفضل بالمأمون وذلك في: موسوعة التاريخ الإسلامي لأستاذنا الدكتور/ أحمد شلبي - ج٢ ص ٣١٩.

ولقد أدت زيادة نفوذ الفضل واستئثارة بالسلطان الحقيقي دون المأمون إلى ظهور فتن لم يدرك كنهها المأمون، فلما اطلع عليها أدرك خيانة الفضل، وكان ذلك سبباً في اغتياله.

لم يكن المأمون يصدق أن ذا الرياستين يخونه في رعيته، ويعمى عليه الأخبار، فلما أدرك ذلك فقد الثقة فيه وفي الفرس عموماً، ولم يعد أمامه إلا الترك، حيث لم يكن في العرب مأرب معه، فكان ذلك من أهم أسباب وجود الترك عند المأمون(١) .

بعد هذا يمكن لنا أن نستعرض روافد الترك في عهد المأمون:

قدوم الأتراك عن طريق النخاسة:

كانت أسواق النخاسة ما تزال موجودة عند الأتراك، وكان الواحد منهم يبيع ابنه أو ابنته في سبيل المال الذي يعينه على مسيرة حياته مع بقية أولاده(٢) .

وعن طريق النخاسة وصل كثير من الأتراك إلى الدولة الإسلامية(٣) .

عن طريق الجزية أو الخراج:

كان الأمراء المحليون - يرسلون الأتراك للمأمون على شكل جزية يؤدونها إلى خزانة الدولة(٤) .

ثم إن عمال المأمون على أقاليم الخلافة كانوا يرسلون إليه خراج أقاليم ما وراء النهر وفيه - أو هدية معه - الأتراك.

وقد أرسل نوح بن أسد - عامل المأمون علي بخارى(٥) - المولَي التركي طولون والد أحمد

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج٨ ص ٦٥٢.

(٢) انظر معجم البلدان - لياقوت - ج٢ ص ٢٣، وما بعدها.

(٣) انظر تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان ترجمة منية أمين فارس ومنير البعلبكي - ط السابعة (١٩٧٧م) دار العلم للملايين - بيروت. ص ٢٠٩، ولم أستدل على هذه النقطة من المصادر المتاحة، ولا أدري من أين استقى بروكلمان هذه النقطة.

(٤) انظر المرجع السابق - نفس الصفحة.

وتاريخ دول الإسلام - لمنقريوس ص ٢٧٨.

(٥) انظر وفيات الأعيان - لابن خلكان - ج١ ص ١٧٤.

ابن طولون، مؤسس الدولة الطولونية في مصر فيما بعد، وكان طولون هذا تركيا من سبي فرغانة[١] أرسله نوح إلى المأمون سنة ٢٠٢هـ[٢] .

الأتراك عن طريق الغزو :

بينما كان المأمون يغزو الترك من جهة كان يدعوهم إلى الإسلام من جهة أخرى[٣] .

قال البلاذري: (كان – يعني المأمون – يوجه رسله فيفرضون لمن رغب في الديوان الفريضة من أهل تلك النواحي، وأبناء ملوكهم، ويستميلهم بالرغبة، فإذا أوردوا بابه شرفهم، وأسنى صلاتهم وأرزاقهم، وقد دخل في الإسلام كاوس – ملك أشروسنة – بعد حروب ومقاتلات تغلب فيها العرب على أهل تلك النواحي)[٤] .

ولما توفي طاهر بن الحسين بخراسان سنة ٢٠٧هـ، ولي المأمون ابنه طلحة بن طاهر، وأنفذ أحمد بن أبي خالد في الجيش الذي كان فيه إليه فنفذ إلى خراسان، فاقدم معه الأفشين – حيدر بن كاوس الأشروسني – وجملة من أبناء ملوك خراسان[٥] .

وإذا قلنا: إن أحمد بن أبي خالد قد جاء بالأفشين وجملة من أبناء الملوك من خراسان، فإن هذا يوضح أنه إما أن الأفشين دخل الإسلام مع والده، وأنهما دخلا أرض خراسان فجاء به أحمد بن أبي خالد، وإما أن كلمة خراسان هذه التي ذكرها اليعقوبي قصد بها اتجاه خراسان، أو خراسان بالمعنى العام، حيث كانت بلاد ما وراء النهر ضمن خراسان إدارياً.

ويدل على ذلك عدم تحديد مكان معين في خراسان، جاء أحمد بهؤلاء الأتراك منه.

* * * * *

---

(١) انظر تاريخ العرب للدكتور فيليب حتى، وجبرائيل جبورة، وإداور جرجي ط: الثالثة (١٩٥٨م) دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع – بيروت. ج٢ قسم ٢١، ص ٥٤٤.

(٢) انظر الخلافة والدولة في العصر العباسي د. محمد حلمي. ص ٧٧.

(٣) انظر حاضر العالم الإسلامي للأمير شكيب أرسلان ط (١٩٧٣م) دار الفكر العربي ج٤ ص ١٧٤.
وتركستان – قلب آسيا – لعبد العزيزر جنكيز خان ص ٣٦.

(٤) انظر فتوح البلدان – للبلاذري – ص ٤١١.

(٥) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ١٨٥.

رابعاً: استخدام المأمون للأتراك

مما لاشك فيه أنه بعد أن تعددت روافد الأتراك إلى أرض الخلافة الإسلامية يكون هناك استخدام لهؤلاء الأتراك في مجالات عدة، وسنحاول هنا توضيح مظاهر هذا الإستخدام.

في بلاط الخلافة:

سبقت الإشارة إلى استخدام العباسيين قبل المأمون للأتراك، وبخاصة في المواكب والأعياد، والخدمة وغير ذلك وطبيعي أن يتصل الأتراك ببلاط الخلافة، وبخاصة أن منهم من وصل على شكل هدايا، أو في الخراج للمأمون(١) .

في الحرس الخاص:

واستخدم المأمون مجموعة من الأتراك في حرسه الخاص(٢) ، بل إنه جعل طولون - والد أحمد بن طولون - رئيس حرسه، ولقبه بأمير الستر(٣) ، وكان طولون قد جاء إلى بلاط الخلافة مع الخراج الذى أرسله أسد بن نوح الساماني، وقد أعجب به المأمون وأخذ يرقيه في المناصب حتى وصل إلى هذا المنصب واستمر طولون في منصبه هذا مدة عشرين سنة، فأخذ جزءا من خلافة المأمون وجزءا من خلافة المعتصم(٤) .

وهذا يؤكد أهمية الأتراك عند المأمون لدرجة تجعله يسلم لهم مسألة حراسته الشخصية، ويشير هذا إلى بدايات النفوذ التركي في العصر العباسي الأول.

---

(١) انظر تاريخ دول الإسلام - لمنقريوس - ص ٢٧٨.
وتاريخ الشعوب الإسلامية - لبروكلمان - ص ٢٠٩.
(٢) انظر تاريخ الطبري - ج٨ ص ٦.
والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٦ ص ٤٣١، ٤٣٢.
وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ج١٠ ص ٨٩.
والمسلمون في الإتحاد السوفيتي - د. محمد على البار ج١ ص ٢٥٦.
(٣) انظر تاريخ دول الإسلام - لمنقريوس ص ٢٧٨.
(٤) انظر المرجع السابق - نفس الصفحة.

في الشرطة:

يعتبر هذا النظام من أهم النظم الإدارية في العصر العباسي الأول، فالشرطة نظام كامل، مهمته إقامة أحكام الجرائم، وتنفيذ الحدود بعد استيفائها[١] .

وكان صاحب الشرطة يختار من أهل القوة، وهو أشبه بوزير الداخلية في عصرنا الحاضر، لأنه عبارة عن رئيس الجند الذين يساعدون الوالي على استتباب الأمن وحفظ النظام، والقبض على الجناة والمفسدين[٢] .

لما قدم المأمون مصر لمحاربة الخارجين فيها بنفسه، ولي على شرطة الفسطاط رجلاً من أهل بخارى، وذلك سنة ٢١٧هـ[٣].

وهذا يشير إلى أن الأتراك قد وصلوا إلى مصر، ويشير كذلك إلى تنقل هؤلاء الناس بين أقطار الخلافة العباسية، وذلك كرعايا داخل الدولة.

ثم نرى أنه يتولى شرطة مصر بخاري آخر يدعي ذاوه سنة ٢١٨هـ[٤] .

في الهندسة والرياضة:

كان خالد بن عبد الملك - وهو تركي من بلاد ما وراء النهر - متخصصاً في مرصد المأمون[٥] .

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون مطبعة التقدم - القاهرة ص ٢١٨، ٢١٩.

(٢) انظر تاريخ الإسلام السياسي - د. حسن إبراهيم ج٢ ص ٢٧٢.

(٣) انظر كتاب الولاة والقضاة - لأبي عمر الكندي ص ١٩٢.

(٤) انظر المصدر السابق - ص ١٩٣.

(٥) انظر التنبيه والإشراف - للمسعودي - ص ١٥٧، ١٨٩.
ووفيات الأعيان - لابن خلكان ج٢ ص ٧٩، ج٤ ص ٢٤٧، ج٥. ص ١٦١، ١٦٢.
وتركستان - قلب أسيا - لعبد العزيز جنكيز خان - ص ٥٠.
وحقائق الأخبار عن دول البحار، للميرلاي اسماعيل سرهنك ط. الأولى بولاق (١٣١٢هـ) ج١ ص ٢١٧.
غير أن صاحب حقائق الأخبار ذكر أن المأمون أول من قاس الدرجة الأرضية دون ذكر الأسماء التي أوردها جنكيز خان.

وكان بنو موسى بن شاكر (محمد، وأحمد، والحسين) أشهر رياضيي العهد العباسي، ومن أوائل المخترعين من المسلمين في الحيل والهندسة، وهم الذين حققوا للمأمون مقدار الدرجة الأرضية وصححوه.

وهم الذين اخترعوا علم الجبر والمقابلة، وأذاعوا الحساب الهندسي بين المسلمين، وابتكروا كذلك زيجا جامعاً على أصول الهند واليونان، وكان هؤلاء الثلاثة أيضاً في بلاد ما وراء النهر[١] .

في الجيش:

كان للجيش في عهد المأمون أهمية كبرى، فقد تحمل أعباء الذود عن حدود البلاد الإسلامية، وكذا محاربة الروم، كما تحمل أعباء تأديب الخارجين على الخلافة، وإخماد ثوراتهم هنا وهناك، وكذا إخماد الفتن والقلاقل التي تظهر بين الحين والحين[٢] .

ولأهمية الجيش المأموني – إن صح التعبير – كان لابد من تشكيل جديد، فكان هذا التشكيل الذي بدأ واضحاً فيه قلة العناصر العربية[٣] وكثرة العناصر الفارسية، وظهور العنصر التركي ونموه.

ولقد ظهر قائدان تركيان كان لهما كبير الأثر في الجيش المأموني هما الأفشين، وأشناس.

---

(١) انظر تركستان – قلب أسيا – لعبد العزيز جنكيز خان – ص ٥٠ ولم تكشف لنا المصادر المتاحة عن جنسية أبناء موسى بن شاكر، غير أن جنكيز خان هو الوحيد الذي ذكر ذلك دون بيان مصدر كلامه.

وأغلب الظن أنه استقى ذلك من مصدر صيني.

(٢) انظر تفصيل الحديث عن الجيش المأموني في:

تاريخ الدولة العباسية – للشيخ الخضري – ص ٢٠٢ وما بعدها.

(٣) مما يؤكد أن المأمون كان يفقد الثقة في العرب ما رواه الطبري من أنه:

(تعرض رجل للمأمون بالشام مراراً، فقال له: ياأمير المؤمنين انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم أهل خراسان، فقال: أكثرت عليّ ياأخا أهل الشام، والله ما أنزلت قيساً عن ظهور الخيل إلا وأنا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد، وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتني قط، وأما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني وخروجه فتكون من أشياعه، وأما ربيعة فساخطه على الله منذبعث نبيه من مضر، ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شارياً، أعزب فعل الله بك).

انظر تاريخ الطبري ج٨ ص ٦٥٢.

أما الأفشين (حيدر بن كاوس) فهو الذي أرسله المأمون ليقمع الفتن التي ظهرت بمصر، وبخاصة في صعيدها، وهذا يوضح لنا أن الأفشين الذي ذاع صيته فيما بعد في عهد المعتصم كان قد بدأ يلمع نجمه منذ عهد المأمون[١] .

وأما أشناس، فقد وجهه المأمون لحصن سندس - على الحدود الإسلامية الرومية - وذلك لمحاربة الروم هناك سنة ٢١٥هـ[٢] .

وكان في جيش طاهر بن الحسين سبعمائة من الخوارزمية[٣] .

وإذا كان الأفشين وأشناس قد وجدا في جيش المأمون وكانا قائدين، فإنه من المؤكد وجود عدد كبير من الأتراك داخل جيش المأمون، ويكفي أن يضم رافع بن الليث كل من كان معه للمأمون بعد أن أعطاه المأمون الأمان، ومعظمهم من الأتراك[٤] .

على أنه عندما ولي المأمون أخاه المعتصم ولاية مصر، وأمره بالذهاب إليها، لتأديب الخارجين على الخلافة، أقبل المعتصم على مصر في أربعة آلاف من أتراكه، وكان ذلك سنة ٢١٤هـ[٥] .

كل هذا يؤكد من غير شك وجود الأتراك بوضوح في عهد المأمون، وبداية ظهورهم وبروزهم كقوة مؤثرة على مسرح الأحداث.

* * * * *

---

(١) انظر المصدر السابق ج٨ ص ٦٢٥، ٦٢٧.

وكتاب الولاة وكتاب القضاة - لأبي عمر عمر بن محمد بن يوسف الكندي المصري (٣٥٠هـ) مهذباً ومصححاً بقلم: رفن كست - ط(١٩٠٨م) بمطبعة الآبا اليسوعيين - بيروت ص ١٨٥.

ومختصر تاريخ العرب - لسيد أمير علي - ص ٢٣٤.

(٢) انظر تاريخ الطبري ج٨ ص ٦٢٣.

والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٦ ص ٢١٩، ٢٣٠.

(٣) انظر تاريخ الطبري ج٨ ص ٣٩٢.

وقد ذكرنا في الفصل الأول من الباب الأول خوارزم ضمن بلاد الترك، وأغلب الظن أن هؤلاء الخوارزمية من الأتراك، الذين التحقوا بجيش المأمون.

(٤) انظر الكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٦ ص ٢٢٩.

(٥) انظر كتاب الولاة والقضاة - لأبي عمر الكندي - ص ١٨٨.

خامساً: وضع الأتراك في نهاية عهد المأمون

لقد تعددت روافد الأتراك في عهد المأمون إلى أرض الخلافة، وبدأ يتزايد عددهم في حاضرتها، وخبرهم المأمون، ورأى في الكثيرمنهم مهارة وقدرة، فاستخدمهم في مجالات عدة، كان أهمها استخدامهم في الجيش، بل إنه أسلم لهم أمر سلامته الشخصية، فجعلهم في حرسه الخاص، وتزايد الأتراك بذلك تزايداً سريعاً في ظل خلافة المأمون، وكان ذلك خطوة على طريق تكوين القوة والنفوذ.

ويعتبر الدكتور محمد حلمي – رحمه الله – أن المأمون جلب الأتراك: لإيجاد نوع من التوازن بين القوى)[1] ويعني بالقوى الموجودة وقتها (العرب والفرس) وهذا بعد أن فقد المأمون الثقة تماماً في العرب، وفقدها إلى حد كبير في الفرس وبخاصة بعد تسلط الفضل بن سهل عليه وتعمية الأخبار عنه.... إلخ.

وهناك نقطة مهمة يجدر بنا أن نشير إليها في هذا المقام، وهي تتعلق بوضع بلاد ما وراء النهر في عهد المأمون.

لقد تحدثنا عن الأتراك الذين وصلوا إلى حاضرة الخلافة أو التحقوا بالجيش، وجاءوا من بلاد ما وراد النهر، لكن هل كانت هناك علاقة بين من بقي في أرضه وبين الخلافة؟

لقد رجع المأمون من خراسان إلى العراق سنة ٢٠٢هـ، وولي على خراسان غسان بن عباد، وفي سنة ٢٠٤هـ ولي غسان نوح بن أسد الساماني[2] سمر قند وولي أخاه أحمد فرغانة، وأخاه يحيى الشاش وأشروسنة، وأخاه إلياس هراة[3] .

ولما تولى طاهر بن الحسين خراسان بعد غسان بن عباد، أقر أولاد أسد الساماني على ولايتهم ولما توفي نوح بن أسد أضاف طاهر أعماله إى أعمال أخويه يحيى وأحمد[4] .

---

(١) انظر الخلافة والدولة في العصر العباسي – د. محمد حلمي ص ٧٧.

(٢) أهل بني سامان من العجم فإن جدهم أسد بن سامان من أهل خراسان.

(٣) انظر تاريخ دول الإسلام – لمنقريوس – ص ٢٨٦.

(٤) انظر المصدر السابق – نفس الصفحة.

وقد كان لأبناء سامان سيرة حسنة في بلاد ما وراء النهر.

رأي المأمون في الأتراك:

يروى لنا الجاحظ أن المأمون أرسل لمجموعة من أصحاب التجارب والمراس وطول المعالجة والمعاناة في صناعات الحرب، وكان من بينهم حميد بن عبد الحميد[١] ، وكان طلب المأمون أن يكتب كل رجل من هؤلاء دعواه وحجته في : أيهما أحب إليه إذا كان في عدّته من صحبه وثقاته: أن يلقى مائة تركي أو مائة خارجي؟

فأخذ القوم في عرض حججهم، وحميد ساكت فلما فرغ القوم جميعاً من حججهم شرع حميد في سرد حججه مؤكداً أنه أحب إليه أن يلقى مائة خارجي، وأخذ يسرد صفات الأتراك، وما هم مشتهرون به من مهارة حربية وقوة بدنية.. إلخ[٢] .

وكان حميد يعقد مقارنة بين الخارجي والتركي، ويؤكد أن التركي يفوق الخارجي في أمور الحرب وفنونه المختلفة.

ولما انتهى الخبر إلى المأمون قال: (ليست بالترك حاجة إلى حكم حاكم بعد حميد، فإن حميداً قد مارس الفريقين، وحميد خراساني، وحميد عربي، فليس للتهمة عليه طريق)[٣] .

وأتى الخبر ذا اليمينين طاهر بن الحسين، فقال: ما أحسن ما قال حميد، أما إنه لم يقصر ولم يفرط.

وعلق الجاحظ على هذا الكلام بقوله:

(فهذا قول الخليفة المأمون، وحكم حميد، وتصويب طاهر[٤] .

ولعل من بين ما يوضح رأي المأمون في الأتراك إعجابه بأحد غلمانهم، وكان هذا الغلام لدى أخيه المعتصم[٥] .

* * * * *

---

(١) هو أبو غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي، أحد أمراء الدولة العباسية وقوادها وأجوادها وهو أحد من وطد الخلافة للمأمون بهزيمته لإبراهيم بن المهدي، وقد قتل بشربة صنعها له جبريل بن وختيشوع سنة ٢١٠هـ.

انظر الأغاني - للأصفهاني - ج١٩ ص ١٠٠ - ١١٤.

وتاريخ الطبري ج٩ ص ٢٤٥ - ٢٥٤.

(٢) انظر رسائل الجاحظ ج١ ص ٣٩ - ٥٥.

(٣) (٤) انظر المصدر السابق ج١ ص ٥٦.

(٥) انظر الأغاني - للأصفهاني ج ٢٠ ص ٢٦١.

الباب الثالث

الأتراك في عهد المعتصم

الفصل الأول

تزايد الوجود التركي

في عهد المعتصم وأبعاده

موضوعات الفصل

*** مقدمة.**

*** الدوافع التي أدت إلى تزايد الوجود التركي في عهد المعتصم:**

أولاً: صفات المعتصم والأتراك المشتركة:

أ - الفروسية والشجاعة.

ب - القوة البدنية والنفسية.

جـ - التعليم والثقافة.

ثانياً: دور أم المعتصم التركية في جلب الأتراك.

ثالثاً: فقد الثقة في الجنود (العرب والفرس).

رابعاً: توطيد أركان الخلافة.

خامساً: محافظة المعتصم على سلامته الشخصية.

*** طلب المعتصم للأتراك.**

الفصل الأول

تزايد الوجود التركي في عهد المعتصم وأبعاده

* * *

مقدمة:

في منتصف شهر رجب سنة ٢١٨ هـ بويع لأبي إسحاق المعتصم بالخلافة، وذلك بعهد من أخيه المأمون[١] ، ولم يكن الرشيد يعتقد أن تصير الخلافة يوماً ما إلى ولده المعتصم، وهذا يفسر لنا سر إهمال تربيته وتثقيفه أثناء خلافة والده[٢] ، ولكن من عجيب القدر أن تبقى الخلافة العباسية في عقب المعتصم حتى سقوطها[٣] .

وصل المعتصم إلى مركز الخلافة ليجد نفسه أمام دولة واسعة الاركان، مترامية الاطراف، تعب الآباء والاجداد من أجل توطيدها واستقرارها، ثم هي الآن توشك أن تنحدر في هاوية سحيقة، بسبب تلك الصراعات والأحداث والفتن التي ملأت عصر الخليفة السابق (المأمون)[٤] من مطالبين بالخلافة، إلى خارجين عليها، إلى محاربين لها من الخارج، إلى مغرضين يسعون في الأرض فساداً، وينشرون الفتن.

فكان لابد من تدعيم أركان هذه الدولة التي توشك أن تتصدع أركانها من الداخل والخارج علي السواء.

---

(١) انظر تاريخ الطبري – ج ٨ ص ٦٤٥، ٦٦٧.

ومروج الذهب – للمسعودي – ج٣ ص ٤٥٩.

ويقول أستاذنا الدكتور أحمد شلبي: (كان العباس بن المأمون قائداً مبرزاً في حياة أبيه، لكن المأمون آثر عليه أخاه المعتصم لميزات رآها فيه، وعقب موت المأمون تردد بعض القادة في البيعة للمعتصم، وفكر في البيعة للعباس، ولكن هذا التردد كان قصير العمر، لأن العباس نفسه أسرع بالبيعة إلى عمه تنفيذاً لرغبة أبيه) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي ج٣ ص ١٩٦.

(٢) ذكر السيوطي حكايات كثيرة للتدليل على إهمال الرشيد للمعتصم في التربية والتثقيف.

انظر تاريخ الخلفاء – للسيوطي – ص ٣٣٤.

(٣) انظر تاريخ الدولة العباسية – للشيخ الخضري – ص ٣١٢.

(٤) انظر تفاصيل المشكلات التي واجهها المأمون في موسوعة التاريخ الإسلامي – للأستاذ الدكتور أحمد شلبي – ج٣ ص ١٣٤، وما بعدها.

فقد نظر المعتصم إلى الجنود الذين كانوا حول الأمين، ثم المأمون[١] ، فأوجس منهم خيفة، وفقد الثقة فيهم جميعاً، لما رآه قد دبّ بين صفوفهم من عصبية مقيتة[٢] ، .. إلخ - راح ضحيتها الآلاف، فخاف المعتصم على نفسه وعلى دولته من الانهيار بسبب هؤلاء وهؤلاء.

وكانت أم المعتصم ماردة بنت شبيب - تركية الأصل، تميل بطبعها لبني جنسها، وتتعصب لهم.

كما كان المعتصم ذا شجاعة وفروسية، وقد وافقت هذه الصفات الأتراك الذين مالت نفسه إليهم.

إزاء كل هذا - من خلافة تحتاج إلى حماة غير هؤلاء الذين حوله، وخليفة يخشى على نفسه من العرب والفرس، ويرى صفات مشتركة بين الترك وبينه، وأم خايفة تميل لبني جنسها، وثقة مفقودة في العرب والفرس - إزاء كل هذا كان لابد من الاعتماد على جنس جديد ليست له خلفيات سياسية، وقد ساق القدر الأتراك للمعتصم ليجد فيهم بغيته، ويحقق بهم رغباته.

فأسرع المعتصم يستقدمهم من بلاد ما وراء النهر، فبعث إلى سمرقند وفرغانة وأشروسنة وغيرها من بلاد الترك هذه، وبذل في سبيل ذلك الأموال الطائلة[٣] .

ومن الجدير بالذكر أن المعتصم كان لديه مجموعة كبيرة من الأتراك أثناء خلافة أخيه المأمون.

فقد ذكر أبو عمر الكندي أن المعتصم أقبل في أربعة آلاف من أتراكه إلى مصر سنة ٢١٤هـ، وذلك لتأديب المتمردين فيها[٤] .

---

(١) فقد المأمون الثقة في العرب، وقد سبق بيان ذلك في الفصل الثاني من الباب السابق.
كما فقد المأمون كذلك الثقة في الفرس بعدما رأى خيانة الفضل بن سهل، ولذلك بدأ في استخدام عنصر جديد هو الأتراك في الجيش وغير ذلك، إلا أن ذلك كان قليلاً.

(٢) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي - للدكتور أحمد شلبي - ج٣ ص١٧٨، ١٧٩.

(٣) انظر تاريخ الخلفاء - للسيوطي - ص ٣٣٦.

(٤) انظر الولاة والقضاة - لأبي عمر الكندي - ص١٨٨، ١٨٩.

ورغم وجود هذا العدد من الترك منذ عهد المأمون إلا أن المعتصم لم يكتف بذلك، وأرسل في طلب المزيد من بلاد ما وراء النهر.

ويمكن القول: إن الوجود التركي في عهد المعتصم قد تزايد كثيراً عما كان في عهد أخيه المأمون، ولذلك دوافعه التي أجملناها آنفاً، وفيما يلي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى:

* * * * *

الدوافع التي أدت إلى تزايد الوجود التركي في عهد المعتصم

* * *

أولاً: صفات المعتصم والأتراك المشتركة:

(أ) الفروسية والشجاعة:

انصرف المعتصم منذ نعومة أظفاره إلى الفروسية، فكان يحب الخيل والصيد، فصار فارساً مغواراً، الخيل أحب إليه من التعليم(١) .

وقد اشتهر عن الأتراك حبهم الشديد للفروسية، بل إن التركي - كما يقول الجاحظ - لم يجلس على الأرض قدر جلوسه على ظهر الخيل(٢) .

فوافق ذلك طبع المعتصم.

ثم إنه من أحب الخيل، وعشق الفروسية لابد أن يكتسب صفة الشجاعة، ولقد كان المعتصم شجاعاً(٣) ، فقد أكد شجاعته هذه في مواقف كثيرة بعد توليه الخلافة، حيث سارع مثلاً لنجدة امرأة من المسلمين أسرها الروم: فقالت: (وامعتصماه) فنهض من وقت بلوغه هذه الاستغاثة على الفور جامعاً عساكره، مقبلاً على الروم في شجاعة وفروسية وإقدام، واستطاع أن يفتح أكبر حصونهم وأمنعها وهي عمورية(٤) .

ولقد قيل: لم يكن في بني العباس أشجع منه، ولا أشد قلباً، ولا أتم تيقظاً في الحروب منه(٥) .

وقد بالغ الجاحظ في وصف الترك وشجاعتهم، وحكى قصصاً كثيرة حول هذا المعنى،

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء - للسيوطي - ص ٣٣٤.

(٢) انظر رسائل الجاحظ - ج١ ص ٤٨، وما بعدها.

(٣) انظر مروج الذهب - للمسعودي - ج٣ ص ٤٦٠.

(٤) انظر تاريخ ابن الوردي - ج١ ص ٣٣٢.

(٥) انظر مختصر التاريخ لابن الكازروني ص ١٤٠.

والذي يهمنا هنا هو أن التركي شجاع بطبعه[1] ، وقد شهدت الأحداث بعد ذلك على شجاعة هؤلاء الترك.

ووافق ذلك أيضاً طبع المعتصم، وما جُبل عليه.

ب - القوة البدنية والنفسية:

لقد كان المعتصم كامل الفتوة، شديد البطش، مفتول العضلات، وقد عُرف عنه ذلك، فقد حُكي عنه أنه كان يحمل الرجل من زنده بين أصبعيه فيكسره[2] .

وكان يلوي العمود الحديد حتى يصير طوقاً، ويشد على الدينار بأصبعه فيمحو كتابته، وكانت همته في الحروب مناسبة لجبلته[3] .

وحكى المسعودي قصة جرت للمعتصم مع شيخ زلق حماره في الطين، فنزل المعتصم من فوق فرسه واحتمل الحمار بيد واحدة وأخرجه من الطين، فبهت الشيخ من ذلك، ثم إن المعتصم أهوى إلى الشوك الذي كان يحمله الحمار، وكان قد سقط، وهو حزمتان، فحملهما فوضعهما على الحمار، وسار لحاله[4] .

وقيل : إن المعتصم كان يحمل ألف رطل يمشي بها خطوات[5] .

---

(١) انظر رسائل الجاحظ - ج١ ص ٦٠، وما بعدها.

(٢) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي - ص ٢٣٤، ٢٣٥.

وزهر الآداب وثمرة الألباب - لأبي إسحاق إبراهيم بن على الحصري القيرواني (٤٥٣هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - ط: (١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م) الثالثة: المكتبة التجارية الكبرى بمصر ج٢ ص ٨٠٥.

(٣) انظر مختصر التاريخ - لابن الكازروني - ص ١٤٠.

(٤) انظر مروج الذهب - للمسعودي - ج٣ ص ٤٦٣، ٤٦٤.

وقد ذكر القصة مختصرة ابن الوردي في تاريخه - ج١ ص ٢٣٤.

والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٦ ص ٥٢٧.

(٥) انظر ا لفخري في الآداب السلطانية - لابن الطقطقي - ص ١٦٨.

وثورة الزنج - لأحمد عُلبي - ص ٥٦.

وقال عنه ابن ماسويه[١] - وكان من ندمائه: (هو والله زبرة من زبر الحديد...)[٢] .

وذكر ابن العمراني عن محمد بن عبد الملك الزيات حكاية مفادها أن المعتصم لكم أسداً فانفركت يده عن ساعده، وكان قد صرح الأسد، ثم لكم أسطوانة من صخر في غير الجهة التي لكم بها الأسد فعادت يده إلى مكانها[٣] .

ولم يكن المعتصم قوى البدن مع ضعف القلب، لا . بل كان ذا بأس وشدة في جسمه، وكذلك ذا شجاعة في قلبه[٤] .

وبصرف النظر عن مدى مطابقة هذا الكلام للحقيقة تماماً، فإنه يصور لنا في جملته صورة حية عن المعتصم الذي كان قوى البدن مفتول العضلات ثابت الجنان، لاتلين له قناة، ولايشق له غبار.

وإذا كانت هذه صفات المعتصم فإنها تشبه إلى حد كبير صفات الترك، وقد أفردنا لذلك نقطة خاصة في الفصل الأول من الباب الأول، ويكفى أن نعلم أن التركي يرى عدوه صيداً ويعد نفسه فهداً[٥] ، وقد ذكر الجاحظ حكايات كثيرة عن الأتراك[٦] ، تعرضنا لجانب منها سابقاً، مما لايعوزنا إلى تكرارها في هذا المقام.

وبهذا توافقت صفات المعتصم وصفات الأتراك في هذاالجانب، فكان ذلك من أسباب ميل المعتصم إليهم، واستقدامه لهم.

جـ - التعليم والثقافة:

لقد كان الخلفاء يهتمون بأولادهم، وبخاصة من يعدّونهم لولاية العهد من بعدهم، فكانوا يعلمونهم العلوم الشرعية والعربية، كما يثقفونهم ثقافة عامة، يتعرفون من خلالها على أحوال زمانهم.

---

(١) كان ابن ماسويه طبيب المأمون، ويبدو أنه كان طبيب المعتصم بعد توليه الخلافة كما كان من ندمائه.

انظر الكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٦ ص ٤٣١.

(٢) انظر مروج الذهب - للمسعودي - ج٣ ص ٤٦٠، ٤٦١.

(٣) انظر الإنباء في تاريخ الخلفاء - جمع محمد بن على بن محمد المعروف بابن العمراني - تحقيق وتقديم ودراسة الدكتور قاسم السامرائي - ط.: لايدن (١٩٧٣م) نشريات المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية - القاهرة (١) ص ١٠٨، ١٠٩.

(٤) انظر المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٥) انظر رسائل الجاحظ - ج١ ص ٥٩.

(٦) انظر المصدر السابق ج١ ص ٦٠، وما بعدها.

لكن المعتصم لم يحظ بقسط كافٍ من التعليم والتثقيف، بل كان مهملاً، ولعل ذلك لطبع كان فيه، وهو عدم الرغبة الجادة في التعليم، والانصراف إلى الصيد والفروسية[١] ، وربما لم يهتم والده - الرشيد - به كثيراً لعدم توقعه أن تصير الخلافة يوماً ما لهذا الولد مع وجود ثلاثة قبله، وقد تمت ولاية العهد لهم، وهم الأمين والمأمون والمؤتمن، ولذلك أهمل الرشيد - إلى حد ما - في تربية وتثقيف ولده المعتصم[٢] .

ولقد قيل: إنه لم يكن في خلفاء بني العباس أميّ غيره. وقيل: كان يكتب كتابة ضعيفة، وكان سبب ذلك أنه وهو صبي صغير رأى جنازة لبعض الخدم، فقال: ليتني مثله لأتخلص من الكتّاب، فقال الرشيد: والله لا عذّبتك بشيء تختار عليه الموت[٣] .

وذكرت حكايات كثيرة خلاصتها أن المعتصم كان عارياً من العلم والثقافة. ومما هو جدير بالذكر أن مثل هذه الحكايات لانستطيع الجزم بصحتها على حدة، ولكنها في مجملها تشير إلى شيء واحد - كما سبق القول - وهو أن المعتصم لم يأخذ قسطاً وافراً من التعليم والثقافة، لإنصرافه إلى الفروسية والصيد، وغير ذلك.

وإذا كان هذا هو وصف المعتصم، فلم يكن الأتراك أبعد عن تلك الصفة التي لازمتهم أو لازمت أغلبهم، فلم يُعرف عنهم - إلا نادراً[٤] - نزوعهم نحو التعليم والثقافة، وكان الإمساك بالعصا وسوق الخيل أحب إلى التركي من إمساك القلم وكتابة العلم، كما أن الضرب بالقوس والنشابة كان أحب إليه من القراءة والكتابة[٥] .

* * * * *

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء - للسيوطي - ص ٢٣٤، ٢٣٥.

وزهر الآداب - للحصري - ج٣ ص ٨٠٥.

(٢) انظر تاريخ الخلفاء - للسيوطي - ص ٢٣٤.

(٣) انظر تاريخ ابن العمراني - ص ١٠٦، ١٠٧.

وزهر الآداب - للحصري - ج٣ ص ٨٠٥.

وقد علق الحصري على ذلك الكلام بقوله: قال أبو القاسم الزجاجي: هذا شيء يحكى من غير رواية صحيحة، إلا أن جملته أنه كان ضعيف البصر بالعربية.

(٤) سبق الحديث عن أولاد موسى بن شاكر الذين برعوا في علم الرياضيات، وغيرها، وكانوا من الأتراك.

انظر الفصل الثاني من الباب الثاني.

(٥) انظر رسائل الجاحظ - ج١ ص ٦٣، وما بعدها.

ثانياً: دور أم المعتصم التركية في جلب الأتراك:

من الواضح أن (الأم) تلعب دوراً بارزاً في حياة أبنائها.

وقد كان من بين من أنجبهم الرشيد: الأمين، والمأمون، والمعتصم، ولكل واحد من الثلاثة أم مختلفة الجنسية، بل ومختلفة التأثير في حياة أبنائها.

ولايخفى علينا دور (زبيدة)[١] أم الأمين في السعي الجاد من أجل جعل ولاية العهد لابنها الأمين[٢]، قد استطاعت تقديم ولدها في ولاية العهد على أخيه المأمون، وذلك لغلبتها على لب الرشيد أكثر من غيرها، مع أن رغبة الرشيد كانت في تولية المأمون قبل الأمين[٣].

وإذا كانت (زبيدة) أم الأمين - عربية، و(مراجل)[٤] - أم المأمون - فارسية، فقد وجدنا أن معظم جيش الأمين كان عربياً، في حين كان معظم جيش المأمون فارسياً، ولعل هذا هو ما جعل بعض الباحثين يطلق على هذه الحرب التي دارت بين الأخوين حرباً عربية فارسية.

---

(١) زبيدة: بنت جعفر المنصور، العباسية، الهاشمية، القرشية. اسمها: أم العزيز، ولقبت بزبيدة، وكانت زوجة الرشيد، وأحظى النساء عنده، وتوفيت سنة ٢١٦هـ في خلافة المأمون.

انظر البداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص ٢٧١.

(٢) أدرك الفضل بن سهل - وكان مدبر أمر المأمون في خلافة أبيه - خطورة دور زبيدة عندما قال للمأمون أثناء خروج والده الرشيد لبلاد فارس: (.... وسله أن يشخصك معه، فإنه عليل، وغير مأمون إن يحدث إليه حادث أن يثب عليك أخوك فيخلعك، وأمه زبيدة، وأخواله من بني هاشم).

وكان قول الخراسانيين للمأمون أثناء وجوده بينهم قبل توليه الخلافة: (ابن أختنا، وابن عم رسول الله ي) دليلاً كذلك على مكانة ودور الأم في حياة أبنائها.

انظر الوزراء والكتاب - للجهشياري - ص ٢٦٦، ٢٧٨، ٢٧٩.

والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج١ ص ٦٨.

ودولة الخلافة العباسية للدكتور زكي محمد غيث ط: (١٣٨٠هـ ١٩٦١م) مطبعة عطايا - باب الخلق - مصر.

وموسوعة التاريخ الإسلامي - للدكتور أحمد شلبي - ج٣ ص ٣٢٠، ٣٢١.

(٣) انظر مروج الذهب - للمسعودي - ج٣ ص ٣٦٣، ٣٦٤.

(٤) مراجل: أم ولد، فارسية من باذغيس، وكانت طباخه في قصر الخليفة الرشيد.

انظر تاريخ ابن العمراني - ص ٩٦.

ويأتي دور (ماردة بنت شبيب) التركية، وهي أم المعتصم، وقد أحبت الأتراك بحكم عصبيتها لبني جنسها، فاستقدمت منهم الكثير، حتى عج بلاط الخلافة بهؤلاء الغلمان الأتراك، بل كان الغلمان الأتراك خدما للمعتصم قبل ولايته للعهد، والدليل على ذلك إعجاب المأمون ذات مرة بغلام تركي من غلمان المعتصم، واسمه (سيما)[١] .

ولقد ماتت أم المعتصم قبل تولي ابنها الخلافة[٢] ، ولعل هذا مما دعا المعتصم إلى أن يستكثر من أخواله، تقديراً لأمه، ووفاء لها، ولعل العصبية لبني جنس أمه دعته إلى الاستعانة بالعنصر التركي[٣] .

* * * * *

(١) انظر الأغاني - للأصفهاني - ج.٢ ص ٢٦١.

(٢) انظر مختصر التاريخ - لابن الكازروني - ص١٣٨.

(٣) انظر العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية - لمصطفي عباس الموسوي - دار الرشيد للنشر - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية - سلسلة دراسات (٢٩٥) ط (١٩٨٢م) ص ١٤٤.

ثالثاً: فقد الثقة في الجنود (العرب والفرس)

الجندية شعارها الطاعة، فإذا ما شغب الجند كان ذلك إيذاناً منهم بخلع عصا الطاعة.

وهذا ما حدث مع المعتصم، فهو عندما تولى الخلافة شغب الجند عليه، وطالبوا بالعباس ابن المأمون خليفة[١] ، ولم يسكنوا إلا بقول العباس لهم: (ما هذا الحب البارد، قد بايعت عمي)[٢] .

وبعد هذا الموقف الصارخ من الجند شعر المعتصم أنهم إنما سكتوا مرغمين، ولايدري لعلهم يضمرون شيئاً فيما بعد.. فكان لابد من الحيطة والحذر منهم، بل ومحاولة إبعادهم مهما كلّفه ذلك[٣] .

ويقول أستاذنا الدكتور أحمد شلبى : (دفعت الأحداث المعتصم إلى فقدان الثقة في الفرس والعرب علي السواء.

أما الفرس فقد اتضح أنهم يقصدون الاستبداد بالسلطة، وقد ظهر منهم ذلك في ظروف متعددة، وأنزل بهم العباسيون ألواناً من التنكيل، بدأت بأبي سلمة الخلال، فأبي مسلم الخرساني، فالبرامكة، فالفضل بن سَهل، وأصبح واضحاً أن الثقة بين الخلفاء وبين الفرس لم تعد متوفرة.

---

(١) لماذا شغب الجند على المعتصم، وطالبوا بتولية العباس بن المأمون خليفة؟ هل ألان العباس قد ولاه أبوه العهد من بعده – كما يقول أبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال (ص١٠٤) ؟ أم لأن معظم الجيش من الفرس، ولايريدون أن تخرج الخلافة من أيديهم، وهم يدركون ولاء المعتصم ولمن يكون؟ أم لحبهم للمأمون يريدون بقاء الخلافة في عقبه؟

ربما لانستطيع أن نجزم بواحدة من هذه النقاط الثلاثة، لكننا نقول: إن النقطة الأولى مستبعدة، لمخالفتها لبقية المصادر، ولأن المأمون أوصى بالفعل للمعتصم وصية ظهر منها توليته العهد من بعده.

(٢) انظر تاريخ الطبري – ج٨ ص ٦٦٨.

وتاريخ ابن الوردي – ج١ ص ٢٣٢.

والكامل في التاريخ – لابن الأثير – ج٦ ص ٤٣٩.

(٣) انظر حضارة الدولة العباسية – للدكتور أحمد رمضان أحمد – ص ٢٣.

وأما العرب، فقد أدركوا أن سلطانهم قد زال بزوال دولة الأمين بسيوف الفرس، مما دفع نصر بن شبث للثورة في وجه المأمون دفاعاً عن العرب، وماتت ثورته، ولكن الثقة بين الخلفاء والعرب لم تعد كما كان يجب أن تكون.

وقد اضطر المعتصم تحت ضغط هذه الأحداث أن يبحث عن عنصر جديد يعتمد عليه، وتتوفر ثقته بينه وبينه)[1] .

ولقد صدق حدس المعتصم، فهذا أول موقف له مع جند من الخلافة يثورون عليه ويطالبون بغيره خليفة عليهم، ورأى المعتصم أنه لابد له أن يعتمد على عنصر جديد ليست له خلفيات سياسية أو حزبية أو عصبية، بشرط أن يكون هذا العنصر يؤمن بالولاء الكامل للخليفة، وبشرط أن يثق الخليفة نفسه فيه، فلم يجد المعتصم أمامه إلا الأتراك الذين تنطبق عليهم هذه الصفات.

* * * * *

---

(١) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي - للدكتور أحمد شلبي - ج٣ ص١٩٩.

رابعاً: توطيد أركان الخلافة:

قامت الخلافة العباسية بعد كفاح مرير، وأخذ خلفاء بني العباس واحداً تلو الآخر يوطد أركان الخلافة إذا وصلت إليه، حتى وصلت الدولة في عهد الرشيد إلى مستوى حظيت معه باسم (العصر الذهبي) ولكن الفتنة التي كانت بين ولدي الرشيد (الأمين والمأمون)، والتي أسفرت عن وقوع الأمين صريعاً بين يدي قواد المأمون، هذه الفتنة بعد الرشيد كانت تشتيتاً لقوى الدولة، وإذهاباً لهيبتها، ناهيك عن الثورات الداخلية والخارجية في ذلك الوقت مثل ثورة بابك الخرمي[١]، والزط[٢]، وغيرهما .... إلخ.

وحاول المأمون قدر جهده رأب الصدع بعد توليه الخلافة، لكن الفتن كانت أقوى منه، فرأى في المعتصم شجاعة قد تجعله قادراً فيما بعد على جمع الشمل فولاه العهد من بعده[٣] .

---

(١) قال أبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال (ص٤٠٢): (اختلف الناس في نسبه ومذهبه، والذي صح عندنا، وثبت، أنه كان من ولد مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم، وهذه التي ينتسب إليها الفاطمية من الخرمية، لا إلى فاطمة بنت رسول الله ي) .

وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب (ج٣ ص ٢٩٣): أن طائفة الفاطمية، إحدى طائفتي الخرمية، وهي التي تقول بإمامة فاطمة بنت أبي مسلم الخراساني، بعد موته، ولهذه الطائفة مباديء منها: تناسخ الأرواح، وغير ذلك.

وكان أول ظهور لبابك الخرمي في عهد المأمون سنة ٢٠٢هـ، وقد إستطاع بابك أن ينشر الرعب في مناطق عديدة من أرض الخلافة حول أذربيجان، واستولى على مدينة تدعى (البذ) وتحصن في الجبال، وقد حاول المأمون مواجهته مراراً لكنه كان يهزم عساكره في كل مرة، ولذلك كان من وصية المأمون للمعتصم: (والخرمية فأغزهم ذا خرامة وصرامة وجلد، وأكنفه بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرّجالة، فإن طالت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك، واعمل في ذلك عمل مقدم النية فيه رجاياً ثواب الله عليه).

انظر تاريخ ابن خلدون ج٣ ص ٢٥٨.

ونص الوصية في تاريخ الطبري ج٨ ص ٦٤٩.

(٢) الزط: مجموعة من الهنود كانوا يسكنون شواطيء الخليج الفارسي (العربي) واستولوا على طريق البصرة أيام الفتنة بين الأمين والمأمون، وعاثوا في تلك النواحي فساداً، وتعرضوا للقوافل والمسافرين، يتخطفون المتاجر والأرزاق، فكانوا قطاع طرق، فلما قدم المأمون بغداد أرسل عدة حملات للقضاء على هذه الفئة منذعام ٢٠٥هـ، ولكنهم كانوا يلجأون إلى الصحراء، حتى تمكن المعتصم من السيطرة عليهم.

انظر تاريخ الطبري – ج٣ ص ٨٠٧.

والكامل في التاريخ – لابن الأثير – ج٥ ص ١٩٧، ٢٠٤.

وتاريخ الدولة العباسية – للشيخ الخضري – ص ٢٦٥.

(٣) يقول أستاذنا الدكتور أحمد شلبي: (وتصرُّف المأمون في ولاية العهد يضعه في صف واحد مع خيرة الخلفاء المسلمين، وقادة الرأي، فقد كان ابنه العباس يحظى بمكانة رفيعة عند الجند، وتؤهله مواهبه للخلافة، ولكنه تركه إذ رأي أن المعتصم يرجحه كفاءة وشجاعة، وهو موقف لم يقفه إلا القلة الممتازة من الخلفاء والسلاطين).

انظر موسوعة التاريخ الإسلامي – ج٣ ص ١٩٤.

ورأى المعتصم التدهور الذي يلحق بالخلافة منذ البداية، فقد شغب الجند مع أول أيامه في الخلافة، ورأي الروم على حدود بلاد الإسلام تناوش المسلمين حيناً وتقتلهم أحياناً، ورأى بابك الخرمي الذي دوّخ المأمون وجيشه، كما رأى الزط، هؤلاء الناس الذين كانوا يثيرون الشغب ويقطعون الطرق وينهبون البلاد ويسعون في الأرض الفساد.

وإزاء كل هذه المشكلات كان لابد للمعتصم من وجود يد قوية باطشة طيّعة، تسمع الأمر فتنفذ دون خوف أو تردد ليجابه بهذه اليد تلك الأمور الصعاب التي تواجهه، وتكاد تحدث تصدعاً في الخلافة القائمة.

ولهذا رأي المعتصم ضرورة تقوية جيشه بعناصر عرفت بالشجاعة والبطولة لينتصر بهم في تلك الحروب الشديدة التي كانت تواجهه داخلياً وخارجياً[١] ، فوقع نظر المعتصم على أخواله الذين لم تزعزعهم الأهواء، وفيهم مع الشدة والقوة والبطش الطاعة والإخلاص للعمل الذي يقومون به ويوكل إليهم، فإختارهم المعتصم ليكونوا يده التي يبطش بها ضد كل خارج على الخلافة، أو كل من تسول له نفسه زعزعة أركانها.

فاستقدم المعتصم الأتراك توطيداً لأركان الخلافة، وتدعيماً له حتى يتمكن من مجابهة ما يعترضه من أمور بحزم وعزم أكيدين.

* * * * *

---

(١) انظر المرجع السابق - ج٣ ص ١٩٤.

خامساً: محافظة المعتصم على سلامته الشخصية:

لقد أحس المعتصم أنه لابد أن يحمي نفسه، وتأكدت مخاوفه على نفسه بعد شغب الجند عليه عند توليه منصب الخلافة، ولذلك لجأ إلى الأتراك، ليجعلهم حماته، وحماة خلافته ودولته[١] .

وقد ذكر بروكلمان أن زيادة استخدام المعتصم للأتراك كانت حرصاً منه على سلامته الشخصية[٢] .

ولقد صدق حدس المعتصم في استخدامه للأتراك لحمايته الشخصية، فقد أحبط الأفشين محاولة قام بها العباس بن المأمون، بمساعدة عجيف بن عنبسة وبعض الجنود بغرض قلب نظام الحكم، وتولية العباس بن المأمون خليفة بعد التخلص من المعتصم، ومن بعض القواد البارزين حوله[٣] .

* * * * *

---

(١) انظر حضارة الدولة العباسية – للدكتور أحمد رمضان أحمد – ص ٣٣.

(٢) انظر تاريخ الشعوب الإسلامية – لبروكلمان – ص ٢٠٩.

وموسوعة التاريخ الإسلامي – للدكتور أحمد شلبي – ج٣ ص ١٩٤.

(٣) انظر تاريخ الطبري – ج٩ ص ٧١، وما بعدها.

وتاريخ ابن الوردي – ج ١ ص ٢٣٣.

طلب المعتصم للأتراك

بناء على ما سبق من دوافع أرسل المعتصم إلى بلاد ما وراء النهر يطلب استقدام الأتراك، وقد بذل في سبيل ذلك الأموال الطائلة[١] .

حضر الأتراك إلى أرض الخلافة جماعات وأفراداً، جاء بعضهم عن طريق الشراء، وقد كان مشهوراً في بلاد ما وراء النهر[٢] سوق للنخاسة فكان المعتصم يرسل لشراء الرقيق الترك من مواليهم، حتى اجتمع له أكثر من أربعة آلاف تركي[٣] .

وجاء أتراك آخرون عن طريق الجزية، فقد كان بعض الأمراء المحليين يرسلون تركاً ضمن الجزية التي تجمع من الذين لم يدخلوا الإسلام في نواحيهم إلى المعتصم[٤] .

وعن طريق الهدية التي يتقرب بها بعض عمال البلدان كانت تأتي أعداد من الأتراك للخليفة[٥] .

كما حضر بعض الأتراك إلى أرض الخلافة بأنفسهم، ووصلوا إلى حاضرة الخلافة بعد أن رأوا حظوة إخوانهم عند الخليفة المعتصم[٦] .

* * * * *

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء - للسيوطي - ص ٣٣٦.

(٢) انظر معجم البلدان - لياقوت - ج٢ ص ٢٣.

(٣) انظر مروج الذهب - للمسعودي - ج٣ ص ٤٦.

والخلافة والدولة في العصر العباسي - للدكتور محمد حلمي - ص ٨٨.

(٤) انظر تاريخ الشعوب الإسلامية - لبروكلمان - ص ٢٠٩.

(٥) انظر وفيات الأعيان - لابن خلكان - ج١ ص ١٧٤.

(٦) انظر ثورة الزنج - لأحمد عُلبي - ص ٥٥.

الفصل الثاني

المعتصم واستخـــدام الأتــراك

موضوعات الفصل

*** مقدمة.**

*** النقطة الأولى: مراحل استخدام المعتصم للأتراك:**

أولاً: تمييز المعتصم للعنصر التركي والمحافظة عليه.

ثانياً:إعداد الأتراك الثقافي والحربي.

ثالثاً: إشراك الأتراك في الحرس الخاص والحجابة.

رابعاً: تنحية العرب عن الديوان وصلة ذلك باستخدام المعتصم للأتراك.

خامساً: وجود الأتراك في الجيش وقيادته.

سادساً: إسناد إدارة بعض الولايات للترك:

أ - في مصر.

ب - في اليمن.

جـ - في حاضرة الخلافة.

*** النقطة الثانية : مظاهر اهتمام المعتصم بالأتراك:**

أ- ارتداء الأتراك لأنواع الديباج والمناطق الذهبية.

ب- إقطاع قطائع للأتراك في سامراء.

جـ - تكريم الأفشين.

د- مشاركة المعتصم للأتراك في أعراسهم.

هـ - الزواج من الأتراك.

و- تكريم أشناس.

*** النقطة الثالثة: تطور الأتراك في السلطة والنفوذ في نهاية عهد المعتصم:** (خدم - حرس - جيش - إدارة).

الفصل الثاني

المعتصم واستخدام الأتراك

* * *

مقدمة:

دفعت الخليفة المعتصم عوامل عدة ليستكثر من الأتراك في حاضرة الخلافة، وقد سبق ذكر بعض هذه العوامل في الفصل السابق.

ولم يأل المعتصم جهداً في الحصول على الأتراك، فبعث إلى بلاد ما وراء النهر، إلى سمرقند، وفرغانة، وأشروسنة، وغيرها من بلاد الترك، ليستقدمهم جماعات جماعات، ولم يكتف بما كان لديه زمن خلافة أخيه المأمون من قبله، ولا بالذي يأتيه عن طريق الخراج، ولا بمن يأتي من تلقاء نفسه ليلتحق بحاضرة الخلافة، ويدخل إلى بلاطه كخادم أو طباخ... إلخ، لم يقنع بهذا وإنما بذل الأموال الطائلة في سبيل الحصول عليهم[١] .

ولقد بلغ عدد الأتراك خمسين ألفاً، بل ربما زادوا على ذلك[٢] ، وهذا العدد لاشك كفيل بأن يحدث أثراً واضحاً في حياة الدولة الإسلامية، ويقول لينبول: (إن هذا الانقلاب من الحكم العربي إلى الحكم التركي كان مظهراً من مظاهر الثورة التي أحس بها معظم أجزاء الخلافة، وأدت إلى إضعاف سلطة الخليفة وزوالها في النهاية)[٣] .

لقد سبق القول: إن عهد المعتصم شهد تزايد الوجود التركي بشكل واضح جداً، وإنه قد تعددت روافد إستقدامهم، حتى وصل عددهم الآلاف.

---

(١) انظر مروج الذهب – للمسعودي – ج٣ ص ٤٦٥.
وتاريخ الخلفاء – للسيوطي – ص ٢٣٦.

(٢) انظر (DECLINE AND FALL OF THE ROMAN EMPIRE, VoL. iv. P. 47) جيبون – نقلاً عن تاريخ الإسلام السياسي – للدكتور حسن إبراهيم – ج٢ ص ١٩٣.

(٣) انظر لينبول في: (History of Egypt in the Middle Ages,. P. 29) نقلاً عن تاريخ الإسلام السياسي – للدكتور حسن إبراهيم – ج٢ ص ١٩٤، ١٩٥.

وترد هنا أسئلة:

كيف تم استخدام هذه الأعداد الغفيرة من الأتراك الذين دخلوا حاضرة الخلافة؟ وفيم استُخدم هؤلاء؟ وهل كان المعتصم مهتماً بهم؟ وما مظاهر ذلك؟ وإلى أي مدى وصل نفوذ هؤلاء الأتراك في نهاية عهد المعتصم؟

لعل الإجابة عن هذه الأسئلة تتضح عندما نعرض النقاط الثلاثة الآتية:

النقطة الأولى: مراحل استخدام المعتصم للأتراك.

النقطة الثانية: مظاهر اهتمام المعتصم بالأتراك.

النقطة الثالثة: تطور الأتراك في السلطة والنفوذ في نهاية عهد المعتصم.

(خدم – حرس – جيش – إدارة)

النقطة الأولى: مراحل استخدام المعتصم للأتراك

اتبع المعتصم عدة مراحل بغرض الاستفادة من الأتراك واستخدامهم في أمور الخلافة المختلفة قدر الإمكان، غير أننا لانستطيع الفصل بين تلك المراحل بصورة واضحة لتداخل بعضها في بعض من ناحية، أو لسير بعضها جنباً إلى جنب من ناحية أخرى.

أما هذه المراحل فيمكن تلخيصها في النقاط التالية:

أولاً: تمييز المعتصم للعنصر التركي والمحافظة عليه.

ثانياً: إعداد الأتراك الثقافي والحربي.

ثالثاً: إشراك الأتراك في الحرس الخاص والحجابة.

رابعاً: تنحية العرب عن الديوان، وصلة ذلك باستخدام المعتصم للأتراك.

خامساً: وجود الأتراك في الجيش وقيادته.

سادساً: إسناد إدارة بعض الولايات للترك.

وفيما يلي من صفحات نناقش هذه النقاط بالتفصيل.

أولاً: تمييز المعتصم للعنصر التركي والمحافظة عليه

حرص المعتصم على أن يبقي عنصر الأتراك متفرداً ومتميزاً عن بقية عناصر الدولة من عرب وفرس وأبناء[١] ، وذلك حتى تسهل عملية استخدامه، فبدأ المعتصم أولاً: بأن ألبسهم أنواع الديباج والمناطق الذهبية والحلية الذهبية[٢] .

وثانياً: ميّزهم بزي خاص عن سائر الجنود[٣] .

وثالثاً: طالبهم بعدم الزواج إلا من بني جنسهم، واشترى لهم الجواري التركيات، فزوجهم منهن، وأجرى عليهن أرزاقاً قائمة، وأثبت أسماءهن في الدواوين، فلم يكن يقدر واحد من الأتراك أن يطلق امرأته أو يفارقها[٤] .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا التمييز لعنصر الأتراك هو الذي جعل بعض المؤرخين يقولون: إن المعتصم أول من استخدم الأتراك، ولعلهم قصدوا بذلك أول من استخدمهم كجنس، وليس كأفراد، وإلا فإن عبيد الله بن زياد هو أول من استخدم الأتراك[٥] .

وهذا التمييز للأتراك يدل على أنهم كانوا يعيشون في كنف الدولة وفي ظلها، ولم يكن لهم سمت خاص يعرفون به، ولعل هذا مما جعلهم لايظهرون كعنصر له مكانته داخل أرض الخلافة، أما بعد تمييزهم، فإننا سنرى أن ذلك بداية جديدة ليس لتزايد وجودهم داخل أرض الخلافة فحسب، بل لبداية نفوذهم الحقيقي.

---

(١) الأبناء: قوم من أبناء فارس، غلب عليهم هذا الاسم لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم .

انظر لسان العرب – لابن منظور ج١ ص ٣٦٤.

(٢) قال الشاعر الزط – وهو سماق الزطي – وكان يسب أهل بغداد، ويسب استخدام الأتراك، ويتندر بذلك.

فاستتصروا العبد من أبناء دولتكم ... من يازمان ومن بلج ومن توز
ومن شناس وأفشين، ومن فرج ... الملمين بديباج وإبريز

انظر تاريخ الطبري – ج٩ ص ١٠، ١١.

والنجوم الزاهرة – لابن تعرى بردي – ج٢ ص ٢٣٣.

وموسوعة التاريخ الإسلامي – للدكتور عبد الله الطرازي ج١ ص٤٦.

(٣) انظر مروج الذهب – للمسعودي ج٣ ص ٤٦٥.

وتاريخ الخلفاء – للسيوطي – ص ٣٣٦.

(٤) انظر البلدان – لليعقوبي – ص ٢٤، ٢٥.

(٥) انظر الفصل الثاني من الباب الأول من هذا البحث.

ثانياً: إعداد الأتراك الثقافي والحربي

من الطبيعي أن يفكر المعتصم في إعداد الأتراك ثقافياً وحربياً كمرحلة تالية لتمييزهم عن باقي الجنود، وبخاصة أن هؤلاء الأتراك كانوا في بلادهم لايعرفون حياة المدنية إلى حد ما[١]، وإنما كل حياتهم الفروسية.

ويؤكد ذلك ما ذكره ياقوت الحموي – على سبيل المثال – عندما أرسل هشام بن عبد الملك رسولاً لخاقان الترك يدعوه إلى الإسلام، فعرض خاقان عليه عرضاً عسكرياً فيه جنود كثيرة، وأخبره بأن كل هؤلاء ليس منهم إسكاف ولا صاحب مهنة، .... وإنما كل أعمالهم الفروسية وركوب الخيل وغير ذلك[٢].

ولكن هل أعد المعتصم خطة تثقيفية لهؤلاء الأتراك؟

فيما يبدو لم يكن هذا ممكناً، وذلك من عدة وجوه:

أولها: أن سياسة المعتصم لم تكن تهدف إلى استقدام علماء، أو تجميع علماء حوله مثلما كان يفعل المأمون[٣]، وإنما كان أكبر همه أن يحافظ على الخلافة من الانهيار، وذلك بمجابهة الفتن، وإقرار الأمن في البلاد، ولايتأتى له ذلك إلا برجال يصطنعهم بمعروفه وإحسانه، لهم أبدان قوية، ونقاء طوية، يلتزمون بأوامر الخليفة، ويكونون دعائم الدولة.

وثانيها: أن المعتصم قابل بعض المشكلات العسكرية، حيث بدأ عهده بشغب الجند عليه[٤]، ثم إن هناك جيشاً من الروم على حدود البلاد الإسلامية الشمالية، يقتل ويخرب[٥]، كما أن كثيراً من الفرق الحربية قد توجهت في عهد أخيه المأمون،

---

(١) من المعلوم أن أغلب الأتراك كانوا بدواً، وإن سكنوا في بلاد ما وراء النهر، إلا أن هذا لم يمح بداوتهم بالكلية، وبخاصة أن أغلب بلاد ما وراء النهر جبال وثلوج، والحياة فيها تشبه إلى حد بعيد حياة البدو.

انظر الفصل الأول من الباب الأول من هذا البحث.

(٢) انظر معجم البلدان – لياقوت ج٢ ص ٢٤ وما بعدها.

(٣) انظر مختصر التاريخ – لابن الكازروني – ص ١٣٦.

(٤) انظر البداية والنهاية – لابن كثير – ج١٠ ص ٢٨١.

(٥) انظر المصدر السابق ج١٠ ص ٢٨٥، وما بعدها.

لإخضاع بابك الخرمي فلم تقدر[١] ، فكانت كل هذه المشاكل سبباً في ابتعاده عن محاولة تثقيف الأتراك، حيث كان واجب الوقت يقتضى تدريبهم حربياً، وتنظيمهم، وتعويدهم على الحرب النظامية، وغير ذلك.

وثالثها: أن طبيعة الأتراك، والتي يعرفها المعتصم جيداً تأبى البحث في الكتب والتمرس بالعلم، والاختلاف إلى محافل العلم، إذ لاصبر لهم على ذلك، وكانت تلك أيضاً طبيعة المعتصم[٢] .

وقصارى ما يمكن قوله هو أنه ربما ترك المعتصم كل واحد من الأتراك حسب طاقته ورغبته في تثقيف نفسه دينياً، وأنه استقدمهم كمسلمين، ولم تشر المصادر المتاحة إلى أن المعتصم قام بإعطائهم جرعة دينية تمكنهم من معرفة دينهم.

غير أن المعتصم قام بإعداد الأتراك إعداداً حربياً خاصاً، علاوة على ماكان عندهم من خبرة فنية في أمور القتال قد اكتسبوها أصلاً بحكم طبيعتهم، ومما يدلنا على أن المعتصم كان يعتنى بهم وبتدريبهم حربياً، أنه كان يسمح لهؤلاء الأتراك أن يركضوا في نواحي بغداد بخيولهم، مما ضاق البغداديون به ذرعاً، فطالبوا المعتصم بإخراجهم عن بغداد[٣] .

ثم إن المعتصم لما انتقل إلى سامراء خصص للأتراك أماكن لتدريبهم، واصطبلات لخيولهم، وغير ذلك، مما يدل على مدى عنايته بهذا الجانب عندهم[٤] .

غير أن الدكتور حسن إبراهيم حسن يقول: (أخذ هؤلاء الأتراك الذين كانوا بعيدين عن الحضارة والعلم يندمجون في طبقات الأمراء المثقفين، فاعتنقوا الإسلام، وتأدبوا بآدابه، وتعلموا العربية، ووقفوا على أحكام القرآن، ودرسوا العلوم الطبيعية والسياسية، حتى إذا ما أصبح

---

(١) انظر النجوم الزاهرة - لابن تغري بردي - ج٢ ص ٢٣٣.

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل السابق.

(٣) انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ١٧، ١٨.

(٤) سيرد توضيح ذلك أثناء الحديث عن بناء سامراء في الفصل القادم.

أحدهم ذا كفاية تؤهله للاضطلاع بشئون الدولة أو القيام بأعباء المناصب العالية في البلاط تحرر من عبوديته وتولى المنصب الذي يتناسب مع كفاءته ومواهبة، ومن ثمّ رشحوا للمناصب على اختلافها، ووصلوا إلى أعلى مراتبها، من الاندماج في سلك البلاط إلى تقلد أكبر الولايات)[١] .

ويبدو أن المرحوم الدكتور حسن إبراهيم قد توسع في المسألة بشكل كبير، وأن الأمر ليس بهذا الإطلاق، ويؤكد ذلك أن قلةً من الأتراك هم الذين برعوا في العلوم الطبيعية[٢] ، وأما الأغلب الأعم منهم فقد برعوا في الحرب وفنونه، لموافقة ذلك لطبيعتهم وجبلتهم[٣] .

* * * * *

---

(١) انظر تاريخ الإسلام السياسي – د. حسن إبراهيم – ج٢ ص ١٩٤.

(٢) في عهد المأمون برع أولاد موسى بن شاكر في الهندسة، وهم من الأتراك.
انظر الفصل الثاني من الثاني من هذا البحث.

(٣) انظر رسائل الجاحظ – الجزء الأول – رسالة مناقب الترك، التي يتحدث أغلبها عن صفات الأتراك الحربية، ولم يتطرق إلى براعتهم في شيء من العلوم الطبيعية، مع أن الرسالة في مناقبهم.

ثالثاً: إشراك الأتراك في الحرس الخاص والحجابة

كان الخلفاء العباسيون يهتمون بأمر سلامتهم الشخصية، فلم يكتفوا بمنصب الحجابة الذي كان موجوداً منذ عهد معاوية بن أبي سفيان وإنما جعلوا هناك هيئة خاصة تعرف بالحرس الخاص، ويبدو أن هيئة الحرس الخاص كان فيها مناصب مختلفة أعلاها منصب (رئيس الستر) وقد سبق القول: إن طولون التركي - والد أحمد بن طولون - ترقى في مناصب الحرس الخاص حتى أصبح رئيس الستر في عهد المأمون(١) .

ولما ولي المعتصم الخلافة أسلم أمر حراسته وسلامته الشخصية للأتراك، واعتمد عليهم في ذلك اعتماداً كلياً(٢) .

وكما كانت هناك مناصب داخل هيئة الحرس الخاص في عهد المأمون، فقد كان مثلها في عهد المعتصم، لكنه يبدو أن رئيس الحرس في عهد المأمون كان يقوم بمهام منصبه كحارس أول، غير أن الأمر قد اختلف إلى حد ما في عهد المعتصم، فقد وجدنا أن رئيس حرسه الخاص كان الأفشين(٣) ، وكان الأفشين قائداً من أبرز القواد في الجيش، بل كان قائد الحملة التي توجهت لمحاربة بابك الخرمي.

وكما كان الأفشين قائداً لحملة بابك في شرق الخلافة، فقد كان من بين القواد البارزين الذين فتحوا عمورية في شمال الخلافة.

كل هذا والأفشين رئيس حرس المعتصم، وبالطبع فإنه كان ينيب عنه من يقوم بمتابعة أمر الحراس وخلافه، ولعل منصب الأفشين هذا كان شرفياً، وكان منحة من المعتصم له، لما قدمه الأفشين من خدمات جليلة للخليفة والخلافة.

---

(١) انظر الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا البحث.

(٢) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي - للدكتور أحمد شلبي - ج٣ ص ١٩٥.

(٣) كان رئيس حرس للمعتصم في البداية عجيف بن عنبسة، وكان عربياً، ثم جاء من بعده الأفشين، ولعل هذا يبين لنا أن المعتصم كان يهدف إلى تحويل كل شيء في يد الأتراك.

انظر تاريخ اليعقوبي - ج٢ ص ٢٠٤.

والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٦ ص ٥١٦.

أما عن منصب الحجابة، فإن الحاجب كانت مهمته كبيرة، حيث لم يكن يتمكن أي شخص من مقابلة الخليفة إلا بإذن الحاجب[١]، ولذلك أصبح لايرتاد هذا المنصب إلا من يوثق فيه.

ولقد كان من حجاب المعتصم سندان التركي[٢]، وكذلك كان وصيف التركي[٣]، ولم تفصح المصادر المتاحة عما إذا كان سندان وصيف يتبادلان العمل في هذا المنصب، أو أن أحدهما جاء بعد الآخر.

ومما هو جدير بالذكر أنه لم يكن سندان أو وصيف وحدهما هما حاجبى المعتصم فحسب، بل كان هناك آخرون غيرهما من الأتراك أيضاً، منهم: سيما الدمشقي، وسيما الشرابي، ومحمد بن حماد بن دهمس، وغيرهم[٤].

ولعل كثرة الحجاب في عهد المعتصم، يرجع إلى كثرة الأماكن التي كان يرتادها المعتصم، أو ربما لكثرة الأعمال أو الأوقات، ولذلك ربما كانت توزع عليهم أوقات العمل.

ومع وجود هذه الافتراضات، فإننا لانملك أن نحدد رأياً واحداً في هذه الأمور، لأن المصادر لم تساعدنا على توضيح هذه المسألة.

* * * * *

(١) اكتسب هذا المصطلح في عصرنا الحديث صفات تختلف عنها في العصر العباسي، وذلك مثل مصطلحات كثيرة، انظر مقدمة البحث.

(٢) انظر مروج الذهب – للمسعودي – ج٣ ص ٤٦٢.

(٣) انظر تاريخ ابن العمراني – ص ١١٠.

ومختصر التاريخ – لابن الكازروني – ص ١٤١.

(٤) انظر تاريخ اليعقوبي – ج٣ ص ٢٠٤.

رابعاً : تنحية العرب عن الديوان وصلة ذلك باستخدام المعتصم للأتراك

لقد أفل نجم العرب منذ تولى المأمون الخلافة، وذلك لأن جُل اعتماده كان على الفرس، ثم الأتراك، فلما جاء المعتصم اعتمد على الأتراك فقط، وفقد الثقة في كل من العرب والفرس، ولعل هذا من أسباب استقدامه للأتراك(١) .

ولكن لم يخل الأمر من وجود عرب في مناطق متفرقة من أرض الخلافة، وفى أعمال كثيرة، إذ ليس فقد الثقة في إناس يمنعهم من مزاولة عملهم، ومن هنا فإن المعتصم عقب توليه الخلافة سنة ٢١٨هـ أرسل إلى كيدر بن نصر الصغدي - واليه على مصر وقتها - يأمره بإسقاط من في الديوان من العرب، وقطع العطاء عنهم، ففعل ذلك كيدر(٢) .

ويجدر بنا أن نتساءل عن السبب الحقيقي وراء هذا الأمر السريع الفاجيء الذي جاء مع بداية العهد!! أهو فقد الثقة في العرب؟ أم ليخلى مكانهم للأتراك؟ أم لأنه شعر ببوادر ثورة عربية في مصر؟ ثم: لماذا مصر بالذات؟ هل العرب كانوا فيها فقط؟

تلك أسئلة تطرح نفسها فور أمر المعتصم كيدر الصغدي بإسقاط من في الديوان من العرب في مصر.

ويبدو للباحث أن المعتصم كان قد فقد الثقة في العرب، وشاهد بنفسه الاضطرابات التي كانت في مصر أثناء خلافة أخيه المأمون، وكان للعرب دور بارز فيها(٣) .

وربما كانت طريقة جلب الأتراك وبذل الأموال في ذلك، بل وإدخالهم في ديوان العطاء،

---

(١) انظر الفصل السابق.

(٢) انظر الولاة والقضاة - لأبي عمر الكندي - ص ١٩٣.

والنجوم الزاهرة - لابن تغري بردي - ج٢ ص ٢٢٣.

وتاريخ الإسلام السياسي - د. حسن إبراهيم - ج٢ ص ١٩٦.

(٣) انظر الكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٦ ص ٤٠٩.

ربما كان ذلك قد أثقل كاهل الميزانية الخاصة بالدولة، فأراد المعتصم التخلص من العرب، ليخفف عبئاً ما عن ميزانية الدولة.

كما أنه يبدو أن المعتصم كان يريد إسقاط العرب من الديوان في جميع أنحاء الخلافة، لكنه بدأ بالبلد البعيد عن حاضرة الخلافة، حتى إذا ثارت عليه تمكن منها وهو بعيد، وعرف رد الفعل، فإن كان قوياً امتنع عن تعميم هذا الأمر على بقية الأمصار، وإن كان رد الفعل ضعيفاً جعل هذا الأمر عاماً على جميع أقطار الخلافة.

ولعله مما يؤكد ذلك أنه لم تكن هذه الخطوة الجريئة والمفاجئة من المعتصم بالتي تُستقبل من جانب العرب بالإذعان والخضوع، فقد رأوا فيها تضييع مهابة العرب نهائياً، وتقديم الأتراك جفاة الطباع عليهم، فبدأ تذمرهم.

فخرج يحيى بن الوزير الجروي في جمع من (لخم وجذام) وأشعلها ثورة على كيدر الصغدي، الذي تجهز لحربهم، فوافته المنية سنة ٢١٩هـ[١] . ولقد قال ابن الوزير رداً على أمر قطع المعتصم للعطاء عن العرب:

(هذا أمر لايقوم فينا أفضل منه، لأنا منعنا حقنا وفيئنا). فاجتمع إليه نحو خمسمائة رجل[٢] .

وقول ابن الوزير هذا يؤكد أن تذمره وضيقه ليس بسبب فعل المعتصم هذا فحسب، بل يبدو أنه كان متبرماً قبل ذلك من انحطاط منزلة العرب، وأنه كان يتحين الفرصة لإشعال ثورة، فوجد فعل المعتصم هذا هو أفضل فعل يمكن أن يكون سبباً للثورة.

ولعل هذا مما يفسر لنا سبب تنحية المعتصم للعرب عن الديوان، إذ ربما كان قد بلغ المعتصم تمرد ابن الوزير من قبل، فأراد بأمره هذا كبح جماح ابن الوزير.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة - لابن تغري بردي - ج٢ ص ٢٢٩.

(٢) انظر المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزي - لأحمد بن علي المقريزي - ط : (١٩٥٩م) مكتبة إحياء العلوم - ج١ ص ٩٤، ٣١١.

على كل حال.. لم يمر عام واحد على ثورة ابن الوزير حتى ظفر به المظفر بن كيدر، الذي تولى إمرة مصر بعد وفاة والده سنة ٢١٩هـ، حيث قاتل المظفر ابن الوزير في بحيرة تنيس، وانتصر عليه وأخذه أسيراً[١] .

وبإخماد ثورة ابن الوزير كانت قد بدت نجوم الأتراك تلمع في سماء الخلافة العباسية، وقد علق المقريزي على إخماد ثورة ابن الوزير قائلاً:

(فانقرضت دولة العرب في مصر – أي بعد إخماد ثورة ابن الوزير – وصار جندها – يعني مصر – العجم والموالي من عهد المعتصم إلى أن ولي الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مصر فاستكثر من العبيد....)[٢] .

وهكذا يتبين أن تنحية العرب عن الديوان كانت خطوة من خطوات استخدام الأتراك في الدولة العباسية في عهد المعتصم، تلتها خطوات أخرى، حيث أقصى المعتصم العرب عن مناصب الدولة المدنية[٣] ، والعسكرية[٤] .

ويبدو أن المعتصم لم يقنع بتنحية العرب عن الديوان، وإنما أراد أن يرفع عليهم الأتراك، ويدلنا على ذلك قوله لأبي الوزير أحمد بن خالد عندما أراد بناء مدينة جديدة للأتراك: (ياأحمد إشتر لي بناحية سامرا موضعاً أبني فيه مدينة، فإني أتخوف أن يصيح هؤلاء الحربية صيحة، فيقتلوا غلماني، حتى أكون فوقهم، فإن رابني منهم ريب أتيهم في البر والبحر، حتى آتي

---

(١) انظر النجوم الزاهرة – لابن تغري بردي – ج٢ ص ٢٢٩.

(٢) انظر خطط المقريزي – ج١ ص ٣١١.

والولاة والقضاة – لأبي عمر الكندي – ص ١٩٤.

(٣) جعل المعتصم إدارة مصر لأشناس التركي، وإدارة اليمن لإيتاخ.

انظر نقطة: (إسناد إدارة بعض الولايات للترك) في هذا الفصل.

(٤) أقصى المعتصم عجيف بن عنبسة وكان عربياً عن منصب رئيس الحرس، كما جعله في مستوى دون الأتراك في الجيش في فتح عمورية سنة ٢٢٣هـ، مع أنه كان قائد الحملة التي ظفرت بالزط قبل ذلك.

انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ٧–١٠ ، ٧١ وما بعدها.

وتاريخ الإسلام السياسي د. حسن إبراهيم – ج٢ ص ١٩٦.

عليهم)[١] .

ولقد فسر صاحب الأغاني الحربية بأنها حي من أحياء بغداد[٢] ، وفسرها الأستاذ جورجي زيدان بأنهم جنود العرب الذين كانوا يسكنون أحد أحياء بغداد[٣] ، ومن هنا نرى أن المعتصم كان يتخوف العرب، ويستعد لهم بأتراكه إن رابه منهم ريب.

* * * * *

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٧.

(٢) انظر الأغاني - للأصفهاني - ج١٨ ص ١٠٠.

(٣) انظر تاريخ التمدن الإسلامي - لجورجي زيدان تعليق الدكتور حسين مؤنس - ط : دار الهلال (١٩٥٨م) ج١ ص١٧١.

خامساً: وجود الأتراك في الجيش وقيادته

كان الجيش في عهد المعتصم ذا أهمية بالغة، لكثرة وخطورة المهام الملقاة على عاتقه، فلقد ترك المأمون للمعتصم فتناً كانت قد أقلقت مضجع المأمون والمعتصم من بعده، ترك له الزط، وهم قوم من شرار الناس وقطاع الطرق، كما ترك له بابك الخرمي، وكان من أكبر وأخطر الخارجين على الخلافة، وكانت له حصون منيعة في الجبال، وترك له الروم تعبث بمقدرات البلاد في الشمال.

وترك المأمون مع كل هذا جيشاً خليطاً من العرب والفرس والترك، وقد تخوّف المعتصم حتى من الجيش، لأنه استقبل خلافته بشغب الجند عليه ومطالبتهم بالعباس بن المأمون خليفة.

ومن هنا ظهرت أهمية الجيش في عهد المعتصم، وكان على المعتصم أن يعني بالجيش العناية الفائقة، ولذلك بدأ بتنحية العرب عن الديوان، وإسقاط عطائهم، وأخذ يتخلص من الفرس تدريجياً، وجعل الجيش تركياً إلى حد كبير.

وإذا كان المعتصم قد استعمل قوماً من حوف مصر ومن حوف اليمن .. وغيرهم، وسماهم (المغاربة)[١] ، فإن هؤلاء كانوا قلة لاتذكر إذا قيست بالنسبة للأتراك[٢] ، ولعلهم كانوا ممن يدينون للمعتصم بالولاء الكامل.

وإزاء كل هذا بدأ المعتصم يستخدم الأتراك في الجيش، بل كانت أعمال الجيش بالنسبة لهم هي الأساس، واهتم المعتصم بالجيش والقواد اهتماماً كبيراً، وكان ينفق أكثر ما ينفق في أمر الحرب[٣] ، وكما يقول ابن الأثير: (لم يكن - يعني المعتصم - بالنفقة أسمح منه بها في الحرب)[٤] .

---

(١) انظر مروج الذهب - للمسعودي - ج٢ ص ٢٤٦.

(٢) انظر الخراج والنظم المالية للدولة للدكتور محمد ضياء الدين الريس - ط : دار الأنصار - القاهرة - ص ٤٨٤.

(٣) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ٥٧.

حيث كان المعتصم قد تجهز لحرب الروم وفتح عمورية بجهاز لم يسبقه إليه خليفة قط.

(٤) انظر الكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٦ ص ٥٢٦.

وإذا كان المعتصم قد أسند في أوائل عهده قيادة الجيش لعجيف بن عنبسة وهو عربي[١]، فإنه مالبث أن جعل قيادة الجيش للأفشين، وأسند إليه أمر محاربة أخطر عدو للخلافة وهو بابك الخرمي، ثم إنه كان يرسل المعتصم المدد للأفشين وعلى رأس هذا المدد بغا الكبير - من كبار الأتراك - مرة، وإيتاخ التركي مرة أخرى[٢] .

ولما أراد المعتصم فتح عمورية جعل أربعة ألوية للدخول إلى عمورية، ثلاثة منها لثلاثة من قيادات الأتراك هم الأفشين وأشناس وإيتاخ[٣] .

وبعث المعتصم إيتاخاً إلى جعفر بن مهرجش الكردي لإظهاره الخلاف سنة ٢٢٧هـ[٤] .

وفي نهاية عهد المعتصم نجده يسند أمر الجيش إلى أشناس بعد أن كان بين الأفشين وأشناس، فلما نكب بالأول أصبحت قيادة الجيش كله في يد الثاني[٥] .

* * * * *

---

(١) انظر تاريخ خليفة بن خياط تحقيق: أكرم ضياء العمري - ط: (١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م) الاولى - النجف ج٢ ص ٥١٦.

(٢) انظر المصدر السابق ج٩ ص ٢٣، ٢٩.

(٣) انظر المصدر السابق ج٩ ص ٥٧، وما بعدها.

(٤) انظر المصدر السابق ج٩ ص ١١٨.

(٥) انظر الأخبار الطوال لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (٢٨٢هـ) تحقيق عبد المنعم عامر - ط. : (١٩٦٠م) الأولى - الحلبي - سلسلة تراثنا - ص ٤٠٥.

سادساً: إسناد إدارة بعض الولايات للترك

لقد كان المعتصم يثق في الأتراك الذين جلبهم من بلاد ما وراء النهر ليكونوا ساعده الأيمن، وكان لابد أن يؤكد هذه الثقة عملياً، فإذا كان مقصده الأول هو المحافظة على الخلافة، فهؤلاء حفظتها، وهذه هي ولايات الخلافة، فمن يمكن أن يديرها نيابة عن الخليفة؟ ومن سيكون محل ثقة الخليفة حتى يجعله عينه على هذه الولايات؟

لاشك أن الأتراك هم محل الثقة، والأولى بتحمل هذه المسئولية، ولقد تحقق ذلك الأمر في ولايتين كبيرتين ومهمتين من أرض الخلافة، أما الأولى فهي مصر، وأما الثانية فاليمن، بل إن الأمر زاد عن ذلك إلى أن وصل إلى حاضرة الخلافة نفسها، فكيف ذلك؟

أ - في مصر:

لم يمر سوى عام واحد على خلافة المعتصم حتى جعل إدارة مصر تحت إمرة أشناس القائد التركي، وذلك سنة ٢١٩هـ(١) .

واستمر أشناس صاحب الإدارة المصرية إلى أن توفى سنة ٢٣٠هـ في عهد الواثق، فكان إيتاخ خلفاً له في إدارة مصر(٢) .

وكان أشناس ينيب عنه من يتولى إدارة هذا البلد، ويتابع هو الأخبار وهو في حاضرة الخلافة، وآية ذلك أنه بعد أن أعطاه المعتصم ولاية مصر سنة ٢١٩هـ، ودُعى له على المنابر، كان المسئول عن ولاية مصر وقتها المظفر بن كيدر الصغدي، فأقره أشناس عليها على أن يكون نائبه، وبعد مدة صرفه وولى موسى بن أبي العباس، ثم ولى بعده مالك بن كيدر الصغدي سنة ٢٢٤هـ، ثم صرفه عنها سنة ٢٢٦هـ، وجعل مكانه على بن يحيى الأرمني، ثم جعل بعده عيسى بن منصور، وكان آخر نائب من قبل أشناس على مصر سنة ٢٢٩هـ(٣) .

---

(١) انظر الولاة والقضاة – لأبي عمر الكندي – ص ١٩٤.
والنجوم ازاهرة – لابن تغري بردي – ج٢ ص ٢٢٤.
(٢) انظر المصدرين السابقين – نفس الموضع.
(٣) انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي – ج٢ ص ٢٢٩، ٢٢١، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٥٥.

ونلاحظ من خلال الأسماء التي تولت إدارة مصر نيابة عن أشناس، أن أغلبها كانوا من الترك، وأن العرب الذين ارتادوا هذا المنصب لعلهم كانوا أصحاب ولاء كبير للأتراك.

ولعل هذا المنصب الذي أعطاه المعتصم لأشناس كان منصب تشريف، ولكنه على كل حال يوضح مدى ما وصل إليه الأتراك من مكانة في عهد المعتصم، لدرجة جعلتهم يولون من يشاءون ويعزلون من يشاءون.

ب - في اليمن:

ولى المعتصم إمارة اليمن إيتاخ بعد ثلاثة هم على التوالي: عباد بن عمر الشهابي، فعبد الرحمن بن جعفر بن سليمان الهاشمي، فمولاه جعفر بن دينار، وقد استمروا حتى سنة ٢٢٥هـ[1].

وقد استمر إيتاخ يباشر أعمال ولايته إلى أن عزل في عهد الواثق سنة ٢٣٠هـ ولكنه تولى إدارة مصر في نفس العام - كما سبق القول - بعد وفاة أشناس.

ونلمح من خلال ما سبق أن المعتصم لم يول إيتاخ اليمن مباشرة، وإنما ولي قبله ثلاثة استمروا حتى سنة ٢٢٥هـ وكانوا عرباً.

---

(١) كان عامل اليمن عبد الله بن عبد الله العباس قد سار إلى العراق بعد وفاة المأمون، واستخلف على اليمن عباد بن عمر الشهابي، فأقره المعتصم على اليمن مدة سنتين، ثم عزله بعبد الرحمن بن جعفر بن سليمان الهاشمي، فأقام في اليمن إلى سنة ٢٢٥هـ، ثم عزله بمولاه جعفر بن دينار، ولم يسر إليها بنفسه بل استناب منصور بن عبد الرحمن التنوخي، فقدمها في صفر في السنة المذكورة، وضبط البلاد، ثم قدم عبد الرحمن بن محمد بن على بن عيسى بن ماهان، وقد شارك جعفر بن دينار في ولاية اليمن، فأقام مع منصور التنوخي أياماً، وعزل جعفر بن دينار بإيتاخ التركي، فأقر [illegible] عبد الرحمن على عملهما حتى مات المعتصم.

انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٠٣.

وغاية الأماني في أخبار القطر اليماني - ليحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (١٠٣٥ - ١١٠٠هـ) تحقيق وتقديم الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور - مراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة - ط : (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - بالقاهرة ج٢ ص ١٣٠، ومابعدها.

واللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية لبدر الدين محمد بن إسماعيل العلوي (مخطوط بدار الكتب المصرية - تحت رقم ٢١٢٣ - كتب سنة ١٣٠١هـ - ورقة ٣٧.

ويبدو للباحث أن هذه سياسة استخدمها المعتصم في هذا الإقليم، لعلمه أنه إقليم يغلب على أهله التشيع الزيدي، ثم يغلب عليه التعصب للقبائل العربية، ولعل المعتصم تخوف من نشوب ثورة عليه، فلم يول إيتاخ إلا بعد فترة.

لكن الأمر بالنسبة لمصر يختلف إلى حد كبير، فإن هناك من تولى إمارة مصر، وكان بخارياً من أهل ما وراء النهر في عهدا لمأمون - كما سبق القول - وكذلك فإن المعتصم قد بدأ حرباً مع العرب في مصر عندما أمر بإسقاطهم من الديوان، وبالتالي فلن يتراجع عما بدأه، ولابد أن يقابل هؤلاء الناس بالأتراك الذين هم حماته، وحراس خلافته، فلا عجب أن يسرع في تولية من يثق فيه من الأتراك ولاية مصر، ولعله قصد بذلك إرهاب العرب الذين أرادوا إشعال ثورة ضد المعتصم إحتجاجاً على أمر إسقاطهم من الديوان.

ولعلنا نلاحظ أيضاً أن المعتصم غضب على جعفر بن دينار من أجل سبب هيّن، وهو وثوبه على من كان معه من الشاكرية (الأجراء)، وحبسه عند أشناس خمسة عشر يوماً، وعزله عن اليمن، وولاها إيتاخ التركي، ثم رضي الخليفة عن جعفر[1] .

جـ -في حاضرة الخلافة:

إذا كنا نرى أن المعتصم يسند إلى الأتراك أمر بعض ولايات الخلافة، وبخاصة البعيدة منها عن حاضرة الخلافة، فإننا قد نرى لذلك مبرراً ما، إذ ربما كان ذلك تشريفاً لبعضهم أو ثقة منه فيهم، أن يحموا له أطراف الخلافة.

لكن أن يصل الأمر إلى حاضرة الخلافة، فهذا ما كان مستبعداً، لكن الثقة تصنع أكثر من هذا.

لقد خرج المعتصم سنة ٢٢٥هـ إلى منطقة تسمى (السن)[2] ، وكان بإمكانه أن يستخلف

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص١٠٣.

(٢) السنّ: بكسر أوله وتشديد نونه، يقال لها: سنّ بارمّا، وهي مدينة على دجلة فوق تكريت لها سور وجامع كبير وفي أهلها علماء، وفيها كنائس وبيع للنصارى.

انظر معجم البلدان لياقوت - ج٣ ص٢٦٨.

على حاضرة الخلافة واحداً من أبنائه، أو وزيره، أو...... إلخ، إلا أنه ربما كانت ثقته في هؤلاء جميعاً أقل من ثقته في الأتراك، لذلك فقد استخلف أشناس، ليكون مسيراً لأمور الخلافة في غيبة الخليفة[1] .

ويحدثنا الطبري أن المعتصم أجلس أشناس على كرسي وتوجه ووشحه في شهر ربيع الأول من نفس السنة سنة ٢٢٥هـ[2] . ولاندري أكان هذا التكريم قبل خروج المعتصم للسن؟ أم بعده؟

غير أنه من الملحوظ أن الطبري ذكر ذلك الكلام، وهو عملية تكريم أشناس عقب قوله: (وإستخلف – يعني المعتصم – أشناس)[3] . وهذا هو الذي يدلنا على أنه ربما كان هذا التكريم بعد رجوع المعتصم من السنّ.

ومع هذا فلا نستطيع الجزم بهذا الرأي، وإن كنا نرجحه، غير أن هذا الأمر في عمومه (الاستخلاف والتكريم) يشير إلى قضية مهمة جداً، وهي بيان مدى ما وصل إليه الأتراك من نفوذ وسلطة.

* * * * *

(١) (٢) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٠٢.

(٣) انظر نفس المصدر والجزء والصفحة.

النقطة الثانية: مظاهر إهتمام المعتصم بالأتراك

استقدم المعتصم الأتراك، وأحبهم لما رأى فيهم من همة عالية في سبيل تحقيق ما يطلبه، ولما رآه فيهم من تفان في خدمته، ومحاولة تحقيق رغبته مهما كلفهم ذلك من جهد ومشقة.

ولا غرو فإن قوماً هذا شأنهم من التفاني في الخدمة، والطاعة المفرطة، وخليفة هذا شأنه من إحساس بصلتهم به نسباً، وحبهم للإنصياع لأوامره - إن هذا ليجعل من الطبيعي أن يفكر الخليفة في إكرامهم كلما أتيح له ذلك.

وسنورد هنا بعض مظاهر اهتمام المعتصم البالغ بالأتراك، ويهمنا هنا أن نؤكد على أن هذا الاهتمام كانت له مبرراته أحياناً، وأن هذا الاهتمام كذلك جعل الأتراك يرتفعون بأنفسهم عن بقية الناس، ومكّن لهم من النفوذ والسيطرة، بل شجع بعضهم على محاولة التمرد والخروج على الخلافة، وإن كان قد تمت السيطرة عليهم، لكن على أية حال، كانت هذه العملية (عملية الاهتمام والتكريم الزائد) نقطة مهمة ساعدت على تقوية نفوذهم وإظهار سيطرتهم وسلطانهم.

أ - ارتداء الأتراك لأنواع من الديباج والمناطق الذهبية:

ولعلنا نرى منذ بداية عهد المعتصم في الخلافة، كيف اهتم بهؤلاء الأتراك عندما ألبسهم أنواع الديباج والمناطق الذهبية، وغير ذلك من مظاهر التمييز عن باقي الأجناس[١] ، وقد كان ذلك في الوقت ذاته من مظاهر الاهتمام بهم، وإلا فكان يمكن للمعتصم أن يخصهم بزي يختلف فقط عن زي باقي الجنود، أو يعلمهم بعلامة بسيطة ليس فيها تكليف لميزانية الدولة، أما أن يلبسهم أنواع الديباج والمناطق الذهبية!! فهذا يعد شيئاً آخر فوق التمييز، وهو الحفاوةوالتكريم.

---

(١) فصلت هذه النقطة قبل ذلك في نفس الفصل.
وانظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ١٠، ١١.
ومروج الذهب - المسعودي - ج٣ ص ٤٦٥.

ب - إقطاع قطائع للأتراك في سامراء:

كان (جف) جد الأخشيد (مؤسس الدولة الأخشيدية في مصر) من فرسان فرغانة وشجعانها، وكان قد وصل إلى حاضرة الخلافة في عهد المعتصم، وقد بلغ من إعجاب المعتصم به وبشجاعته أن أقطعه قطائع في مدينة سامراء، وبقيت هذه القطائع تنسب إليه حتى زمن ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨٤هـ[١] .

ولم يكن جف وحده هو الذي كانت له قطائع، بل كثير غيره من الأتراك قد أقطعهم المعتصم القطائع في تلك المدينة الجديدة[٢] ، التي انتقل إليها بهم، ولقد ابتنى المعتصم عدة قصور للقواد والكتاب وسماها بأسمائهم[٣] .

ولعله ليس غريباً أن يفعل ذلك المعتصم، لأن الأتراك كانوا يعتبرون سامراء مدينتهم، وكانت كذلك، فإن من أهم الأسباب التي دعت لبنائها الأتراك أنفسهم، ونقلهم إليها[٤] .

ولذلك كان المعتصم قد أمر ببناء الاصطبلات والأماكن الخاصة للخيل، كما بني المنازل والبيوت للأتراك، وغير ذلك[٥] .

ولعل ذلك مما يؤكد مدى تكريم المعتصم للأتراك، وحفاوته بهم[٦] .

---

(١) انظر وفيات الأعيان - لابن خلكان - ترجمة (جف) ج٥ ص ٥٦، ٥٧.
ومصر في عهدا لطولونيين والأخشيديين - د. حسن أحمد محمود، ود. سيدة الكاشف ص ١٢.

(٢) انظر مروج الذهب للمسعودي - ج٣ ص ٤٦٧.
ومختصر تاريخ العرب - لسيد أمير على - ص ٢٤٢.

(٣) انظر تاريخ اليعقوبي - ج٣ ص ١٩٨.

(٤) سيرد تفصيل ذلك في الفصل القادم إن شاء الله.

(٥) انظر مختصر تاريخ العرب - لسيد أمير على - ص ٢٤٢.

(٦) يبدو أن المعتصم كان يدرك حقيقة أن الأتراك يحنون لأوطانهم، فأقطعهم القطائع ليشعرهم بأن سامراء أصبحت وطنهم، وقد ذكر الجاحظ صفة الحنين للأوطان عند الأتراك وتحدث عن نبذ الأتراك لتلك العادة بعد أن رأوا أن المعتصم يعرف قدرهم، ويستفيد منهم.
انظر رسائل الجاحظ ج١ ص ٦٦.

جـ تكريم الأفشين:

لما ذهب الأفشين لحرب بابك عقد له المعتصم على كل ما اجتاز به من الأعمال[١] ، ولما عاد ببابك الخرمي أدخل عليه الشعراء يمدحونه[٢] ، ورفع المعتصم منزلته وأعلى مكانته، ثم إنه توجه بتاج من الذهب مرصع بالجوهر، وإكليل ليس فيه من الجوهر إلا الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر قد شبك بالذهب، ثم ألبسه وشاحين[٣] .

وزاد الطبري أن المعتصم وصل الأفشين بعد ظفره ببابك بعشرين ألف ألف درهم، منها عشرة آلاف ألف درهم يفرقها في أهل عسكره، وعقد له على السند، وأدخل عليه الشعراء يمدحونه، وأمر لهم بصلات[٤] .

ومما يروى هنا في هذا المقام أن المعتصم كان يُجيز الأفشين كل يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم، وكل يوم لايركب فيه خمسة آلاف درهم. ويقال: إنه كان يرسل للافشين كل يوم فرساً وخلعاً منذ ظفره ببابك حتى قدومه إلى سامراء[٥] .

كل ما سبق من عطايا كان فقط من أجل عمل واحد هو التخلص من بابك الخرمي.

وقد كان للأفشين دور بارز في فتح عمورية، وكذا إحباط مؤامرة العباس بن المأمون، وعجيف بن عنبسة، التي كانت تهدف إلى الإطاحة بالمعتصم ورءوس الأتراك، ولا شك أن هذا كله رفع قدر الأفشين لدى المعتصم.

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ١٩٩.

(٢) كان من بين ما قيل في مدح الأفشين قصيدة لإبراهيم بن المهدي يخاطب فيها المعتصم.

وجزى الأفشين عبـــداً … لله خيـــراً وحـــبورا
فـــلقد لاقـــى بـــه با … بك يوماً قمـــــطريرا
ذاك مـــولاك الـذي ألـ … ـــفيته جـــلداً صبورا
لك حتـى ضرّج الســـ … ـــيف له خـــداً نضيرا

انظر مروج الذهب – للمسعودي – ج٣ ص ٤٧١.

(٣) انظر المصدر السابق ج٣ ص ٤٧٠، ٤٧١.

(٤) انظر تاريخ الطبري – ج٩ ص ٥٥.

ومن جيد شعر أبي تمام قوله في الأفشين: قد كان عذرة سودد فافتضها … بالسيف فحل المشرق الأفشين

(٥) انظر المصدر السابق ج٩ ص ٥٢، ٥٤.

ولعل هذه المبالغة في التكريم للأفشين قد أوقعت المعتصم في الحرج وجعلته يشعر بالندم لاستخدامه الأتراك، ولقد نال الأفشين غضب المعتصم، وراح ضحية اتهامات وُجهت إليه كان أهمها تمرده على الخلافة وإبطان الكفر[١] .

د - مشاركة المعتصم الأتراك في أعراسهم:

ولعل من مظاهر تكريم المعتصم للأتراك أيضاً أن يقوم بتزويج الحسن بن الأفشين من أترجة ابنة أشناس، وقد أشرف المعتصم بنفسه على هذا العرس، وقال في ذلك شعراً[٢] .

ويروى لنا الطبري أن بناء العروسين كان في القصر المسمى بالعمري، وهو قصر المعتصم بسامراء، وأن المعتصم أحضر عامة أهل سامراء، وأن العامة كانوا يتطيبون بنوع من الطيب في أوان من الفضة، بل إن المعتصم كان يتفقد من حضر العرس[٣] .

ومما لاشك فيه أن هذه المشاركة، وبهذه الطريقة في عرس ابن الأفشين، وابنة أشناس فيه تكريم كذلك لكل من الأفشين وأشناس، وفيه إظهار لمدى صلة المعتصم بهما، ومدى تقديره لهما.

هـ - الزواج من الأتراك:

لعل زواج المعتصم من الترك يعد أيضاً مظهراً من مظاهر الاهتمام والمحبة والتكريم لهؤلاء القوم الذين أنزلهم بساحته.

---

(١) سنعرض فيما بعد للأفشين ومحاكمتة، وانظر المصدر السابق - ج٩ ص ١٢٢.

(٢) قال المعتصم أبياتاً من الشعر يصف حسن وجمال واجتماع العروسين:

زفت عروس إلى عروس — بنت رئيـــس إلى رئيـــس

أيهما كان ليت شعري — أجل في الصـــدر والنفوس

أصحاب المرهف المحلى — أم نو الوشاحين والشموس

انظر مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص ٤٧١.

والبداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص ٢٨٩، ٢٩٠.

(٣) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٠١.

وقد كانت البنت الوحيدة التي أنجبها المعتصم (وهي عائشة) من أم ولد تركية[١] .

ويُلاحظ أن المعتصم الذي كان يمنع الأتراك من الزواج من غير بني جنسهم قد تزوج هو منهم، وهذا يشير إلى أنه يعتبر نفسه واحداً منهم، كما يشير إلى المدى الذي وصلت إليه علاقته بهؤلاء الأتراك.

و - تكريم أشناس:

ومن مظاهر اهتمام المعتصم بالأتراك أيضاً، ما رأيناه من استخلاف أشناس على حاضرة الخلافة، وتكريمه له عندما أجلسه على كرسي وتوجه ووشحه[٢] .

والمعتصم بكل هذا فوق أنه ينزل الأتراك منزلة سامية، فإنه يعبر عن مدى حفاوته وفخره واعتزازه بهذا الصنف من الناس، الذين جاء بهم لخدمته.

* * * * *

(١) انظر مختصر التاريخ - لابن الكازروني ص ١٤١.

(٢) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٠٣.

النقطة الثالثة: تطور الأتراك في السلطة والنفوذ

في نهاية عهد المعتصم

(خدم - حرس - جيش - إدارة)

ظهر الأتراك في الخلافة العباسية، ولم يكن ظهورهم هذا طفرة، وإنما ساعد عليه عوامل عدة.

ولم يكن الأتراك كجنس له سماته المتميزة قد انفرد بالظهور في الدولة في بداية الأمر، وإنما كانوا أناساً عاديين يلتحقون بخدمة الخلفاء، ويعيشون بين ظهراني العرب ويتزوجون منهم، وربما كان منهم الرقيق والإماء، ولكنهم توافدوا بعد ذلك حتى زاد عددهم، فأصبحوا في المواكب العامة والأعياد، أشبه بحراس الخليفة، لكنهم كانوا في الدرجة الثانية.

وفي عهد المأمون التحق بعض الأتراك بالحراسة، وقد ترقى بعضهم إلى أن أصبح رئيس الحرس[1] .

ولما كان عهد المعتصم، جاء الأتراك بكثرة إلى أرض الخلافة، وميزهم المعتصم عن سائر الناس بالزي الخاص – كما سبق القول – وابتنى لهم مدينة خاصة نقلهم إليها.

والتحق البعض في خدمة الخليفة، وفي حراسته، وأسلم لهم المعتصم أمر سلامته الشخصية، وكان رئيس الستر (الحرس) هو طولون التركي، الذي كان في نفس منصبه هذا منذ عهد المأمون.

ولما كان أغلب الأتراك حربيين فقد التحقوا بالجيش، وحاول المعتصم أن يعتمد في تكوين جيشه على الترك، وقد نجح إلى حد كبير في ذلك، ووصل عدد كبير من الأتراك إلى مناصب قيادية في الجيش.

---

(١) كان طولون – والد أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر هو رئيس الحرس في عهد المأمون. انظر وفيات الأعيان – لابن خلكان – ج١ ص ١٧٤.

وأصبحت الخلافة تدين لهؤلاء الأتراك في أمر سلامتها الداخلية والخارجية، فقد تمكنوا إلى حد كبير من القضاء على عناصر الفتن والاضطرابات الداخلية، كما نجحوا في إذلال الروم، وفتح أحصن مدنهم وهي عمورية، ويرجع الفضل الأكبر في ذلك لهم.

وإذا كانت الخلافة تدين للأتراك في أمر سلامتها، فإن الخليفة نفسه يدين لهم كذلك، فقد جعلهم مؤتمنين على سلامته الشخصية.

ثم إن المعتصم بعمد أو بغير عمد جعل الأتراك السادة الحقيقيين للبلاد، فأسلم لبعضهم بعض الولايات والإمارات التابعة للخلافة، بل أبعد من ذلك استخلف على حاضرة الخلافة تركياً رغم وجود الكثير من أهل بيته من بني العباس، وهذا يدل على مدى ما وصلوا إليه من سلطة ونفوذ.

ومع أن المعتصم كان ذا قوة تحدّ - في كثير من الأحيان - من نفوذ هؤلاء الأتراك إلا أن نفوذهم قد وضح بشكل سافر وخطير، وقد ادرك المعتصم نفسه ذلك، فقد شكا لإسحاق بن إبراهيم - أحد ندمائه - في أواخر أيامه الأتراك[1] .

وهذه الشكوى من المعتصم توحي بخيبة الأمل والحسرة على ما فعله عندما وضع الثقة في أناس ليسوا على مستوى الثقة، وتوضح تلك الشكوك كذلك كيف أن زمام الأمور قد أفلت من يدي المعتصم، وهو مستقدمهم، فماذا سيكون أمرهم مع ولده الذي عاش بينهم وتربى تحت أعينهم، وكانت لهم المكانة في بعض الأحيان دونه؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه في حينه إن شاء الله، وإنما أردنا هنا أن نوضح أن الأتراك أصبح لهم من القوة والنفوذ والسلطان ما لاينكر، وما لم يعد في مقدور أحد، حتى الخليفة نفسه أن يوقفه أو يقلل منه.

---

(١) قال المعتصم: (ياإسحاق.. في قلبي أمر أنا مفكر فيه منذ مدة طويلة، وإنما بسطتك في هذا الوقت لأفشيه إليك... نظرت إلى أخي المأمون وقد اصطنع أربعة أنجبوا، واصطنعت أنا أربعة لم يفلح منهم أحد،.... اصطنع أخي: طاهر بن الحسين، وعبد الله بن طاهر، وأنت وأخاك محمد، واصطنعت أنا الأفشين، وقد صار أمره إلى ما صار إليه، وأشناس،... وإيتاخ فلا شيء، ووصيف فلا مغنى فيه....).
انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ١٢٢، ١٢٣.

وليس ما قاله المعتصم بنفسه عن الأتراك الذين أصبح لهم نفوذ كبير وسلطان عريض – هو الوحيد، فإن ذلك قد انتشر بين كثير من الناس، ولعل قصيدة أحد شعراء الزط التي يسخر فيها من أهل بغداد ومن الأتراك المعلَّمين بالديباج، وغير ذلك، أصدق دليل على ذلك[١] .

وأكثر من هذا، فإن دعبلاً الخزاعي هجا المعتصم بأبيات قاسية جاء فيها:

لقد ضاع أمر الناس حيث يسوسهم   وصيف وأشناس، وقد عظُم الخطب

وإني لأرجـــو أن ترى من مغيـــبها   مطالع شمس قد يغص بها الشرب

وهـــمك تركي علـــــيه مـــــهانة   فأنـــت له أم وأنـــــت له أبُ[٢]

وهذا البيت الأخير يوضح أين المعتصم من الأتراك؟ وأين الأتراك منه؟!

وإن كنا لانوافق على هذه السخرية الشديدة من الخليفة، إلا أننا نورد ذلك لنوضح إلى أي مدى أحس الناس بالأتراك وبتدخلهم في شئون الدولة، لدرجة أنهم هم السائسون الحقيقيون.

ونقدم دليلاً آخر على مدى ما وصل إليه الأتراك:

عزم المعتصم في أخريات حياته على السير إلى أقصى الغرب لمحاربة عبد الرحمن الأموي – صاحب الأندلس – وشرع في ذلك، بعد أن قدّر ما يحتاج إليه لمحاربته حتى إنه قال:

قرب النّخّـــام واعجل ياغلام   واطرح الســـرج عليه واللجام

أعلم الأتـــراك أني خائـــض   لجة الموت فمــــن شـــاء أقام

ثم اشتدت عليه علته التي مات فيها[٣] .

---

(١) انظر المصدر السابق ج٩ ص ١٠، ١١.

(٢) انظر دعبل بن على الخزاعي – شاعر آل البيت – للدكتور عبد الكريم الأشتر – ط: (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) الثالثة – دار الفكر – دمشق – ص ١٤٤، ١٤٥.

والأغاني – للأصفهاني – ج١٨ ص ١٠٠.

وتاريخ الخلفاء – للسيوطي – ص ٣٣٥.

(٣) انظر تاريخ الخلفاء – للسيوطي – ص ٣٣٦، ٣٣٧.

ولعل هذا الشعر الذي قاله المعتصم يبين لنا كيف أن الأتراك هم خدمه وهم منجدوه، ويشير البيت الثاني إلى مدى تصميم المعتصم على الذهاب لبلاد المغرب والأندلس، وفي المقابل يتضح أنه مغلوب على أمره مع هؤلاء الأتراك لدرجة أنه يقول: (فمن شاء أقام)، وكأنها حيلة العاجز، فإنه يريد الخوض بهم في لجة الحرب، لكن ليس كل ما يتمناه على المراد الذي عليه قواده[١] .

ومما يدل على مدى نفوذ الأتراك أيضاً في عهد المعتصم خروج المبرقع اليماني الذي أعلن الثورة على الخليفة، ودعا إلى نفسه، وسبب ذلك أن أحد الجنود الأتراك أراد النزول في دار أبي حرب (المبرقع) وهو غائب، فمنعته بعض نسائه - إما زوجته وإما أخته - فضربها الجندي بسوط ضربة تركت أثراً في ذراعها، فلما رجع أبو حرب وعلم بما حدث تقلد سيفه وخرج مغاضباً وتوجه إلى الجندي فقتله، ثم هرب وأخفى وجهه خلف برقع[٢] .

ثم قصد المبرقع جبال الأردن فأقام بها، وكان يظهر بالنهار مبرقعاً، فإذا جاء أحد ذكره ووعظه، وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر، وطلب إليه أن يقوم بذلك، ثم يذكر الخليفة وما يفعله ويعيبه، فإستجاب له قوم من حراث أهل تلك الناحية، وكثر أتباعه[٣] .

واستمر المبرقع طوال عهد المعتصم وصدراً من عهد الواثق، ثم كان الظفر به في النهاية.[٤]

وعلى أية حال فقد انتهت تلك الفتنة التي كان سببها تهور جندي من جنود الأتراك.[٥]

* * * * *

---

(١) انظر التاريخ الإسلامي العام - د. على إبراهيم حسن ص ٤٢٠.

(٢) انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ١١٦ - ١١٨.

والكامل في التاريخ - لابن الأثير ج٥ ص ٢٦٤، ٢٦٥.

(٣) انظر المصدرين السابقين نفس الجزء والصفحة.

(٤) انظر تاريخ ابن خلدون ج٣ ص ٢٧٠.

ودولة الخلافة - لمنقريوس - ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٥) انظر دراسات في التاريخ الإسلامي - من العصر العباسي إلى قبيل العصر الحاضر - للدكتور محمود محمد زيادة ط.: (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) دار التأليف - مصر - ص ١٥٣.

الفصل الثالث

بناء سامراء.. دوافعـه ونتائجه

موضوعات الفصل

* تمهيد.
* سامراء قبل المعتصم.
* التسمية: اللغات في سامراء، وأسماء أخرى.
* الدوافع التي أدت إلى بناء سامراء:

أولاً: كثرة الجنود الأتراك وضيق بغداد.

ثانياً: شكاوى الترك والعامة على السواء.

ثالثاً: مخاوف المعتصم.

رابعاً: رغبة المعتصم في إنشاء حاضرة جديدة للخلافة.

خامساً: حب المعتصم للعمارة.

* المدينة والسكان:

أولاً: موضع سامراء الجغرافي وأهميته.

ثانياً تحقيق زمن النشأة.

ثالثاً: البناء.

رابعاً: السكان.

* سامراء والأتراك في العصر العباسي الأول.
* سامراء بين العواصم الإسلامية العراقية في العصر العباسي الأول: (الكوفة - الحيرة - الأنبار (الهاشمية) - بغداد - سامراء)
* خلاصة

الفصل الثالث

بناء سامراء .. دوافعه ونتائجه

* * *

تمهيد:

ظهرت مدينة سامراء لتكون أثراً وعلماً بارزاً من أعمال المعتصم، وأصبحت هذه المدينة حاضرة الخلافة ومركزها الإداري والديني فترة من الزمن.

واتجه المؤرخون للبحث عن أصول هذه المدينة التاريخية، وحاولوا أن يلصقوا بها حكايات تاريخية قديمة، لإظهار مكانتها.

ولايمكن لنا أن نتحدث بدقة عن تاريخ المدينة قديماً، وإنما هي عدة افتراضات نعرضها ونظنها أقرب إلى الصواب في ضوء المصادر التي بين أيدينا.

ومن الجدير بالذكر أنه قد ألفت مؤلفات حديثة حول (سامراء) عولجت فيها جوانب متعددة من حضارة تلك المدينة[1]، وليس هنا مجال الحديث المفصل عن سامراء، وإنما نحاول من خلال هذا الفصل أن نتحدث عما له صلة بموضوع بحثنا.

* * * * *

---

(١) من ذلك على سبيل المثال:

١- سامراء - لمديرية الآثار القديمة - ط : العراق.

٢- سامراء في أدب القرن الثالث الهجري - ليونس أحمد السامرائي ط (١٩٦٨م) مطبعة الإرشاد - بغداد.

٣- رى سامراء - للدكتور أحمد سوسة.

٤- مآثر الكبراء في تاريخ سامراء - للشيخ ذبيح الله المحلاتي ط (١٣٦٨هـ) مطبعة الزهراء - النجف.

٥- موجز دليل سامراء - لسالم الألوسي.

هذا بخلاف الكتب التي تحدثت عن العراق عموماً، وفيها الحديث عن سامراء كإحدى مدن العراق.

سامراء قبل المعتصم:

تشير المراجع التاريخية والبلدانية إلى قدم هذه المدينة، وإلى توغلها في أعماق العصور السحيقة، فقد قيل: إن الذي بناها (سام بن نوح)(١) ، فنسبت إليه وسميت (ساميرا)(٢) . وقيل : إن هذا الاسم أطلق على موضع يقع بين قريتين كان سام بن نوح يتردد إليهما، ويسمى بالفارسية (سام راه) أي: طريق سام(٣) .

وأثبتت التنقيبات التي أجريت برئاسة الألماني هرزفلد سنة ١٩١٢ - ١٩١٤م أن موضع سامراء كان يمثل طوراً من أطوار ما قبل التاريخ، وقد عثر على أنواع من الأواني والفخار ترقى في زمنها إلى الألف السادس قبل الميلاد، وسمى هذا الطور طور سامراء(٤) ، نسبة إلى الموضع الذي اكتشفت فيه هذه الأواني والفخار لأول مرة(٥) .

وقيل: إنها وردت في الكتابات البابلية باسم (سيمورم)(٦) .

وقيل: إن هذا الاسم يعود إلى أصل آشوري وهو (سرمارتا) فحرفه العرب إلى (سر من رأى)(٧) .

---

(١) انظر البلدان - لليعقوبي - ص ٢٣.

والتنبيه والإشراف - للمسعودي - ص ٣٠٩.

ومعجم البلدان - لياقوت الحموي - ج٣ ص ١٧٤.

(٢) انظر العقد الفريد - لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي - شرحه وضبطه وصححه وعنون لمضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري - ط (١٣٨٤هـ ١٩٦٥م) الثالثة - مطبعة لجنة التأليف والتراث والنشر. ج٦ ص ٣٢٠، ٣٢١.

ومعجم البلدان - لياقوت - ج٣ ص ١٢٣، ٢١٥.

(٣) انظر رحلة ابن جبير تحقيق دكتور حسين نصار - ط دار مصر للطباعة ص ١٤٠.

وحقائق الأخبار - لإسماعيل سرهنك - ج١ ص ٢١٩.

(٤) انظر سامراء - لمديرية الآثار القديمة ص ٧٧ نقلاً عن : سامراء في أدب القرن الثالث الهجري - ليونس السامرائي ص ٦.

(٥) انظر تاريخ الحضارات القديمة - لطه باقر - ص ٥٧ نقلاً عن سامراء - ليونس السامرائي ص ٦.

(٦) انظر موجز دليل سامراء - لسالم الألوسي ص ٥.

(٧) انظر تاريخ العرب - لفيليب حتى ج٢ ص ٥٦٠.

وذهب بعض المؤرخين إلى أن اسمها بالآرامية (سامرا)[١] .

وذكر أنها تسمى في كتب النصاري المتقدمة (سر من رأي)[٢] .

وقيل: إنها كانت مدينة عتيقة من مدن الفرس تحمل إليها الإتاوة التي كانت لملك الفرس على ملك الروم، وتسمى بالفارسية (سامرّه) أي: مكان قبض عدد جزية الروم، ذلك أن (سا) تعني الإتاوة، و (مرّه) تعني العدد[٣] . وقد أنشأ الفرس عندها حصناً سمى به (حصن سومير)، وهو الحصن الذي شهد تقهقر الجيوش الرومانية بعد مقتل قائدها الامبراطور جوفيان عام ٣٦٣م[٤] .

ثم نتقلت المدينة إلى أيدى الروم، بعد أن دحروا الفرس وطردوهم منها في عهد (خسرو أبرويز) فأنشأوا الكنائس، وأقاموا الأديرة، ومنها الدير الذي اشتراه المعتصم حيث بني مدينته الجديدة في موضعه[٥] .

ويرى آخرون أنها مدينة إسلامية بناها المعتصم وأطلق عليها اسم (سر من رأى)[٦] ثم تممها ابنه المتوكل من بعده[٧] .

---

(١) انظر بلدان الخلافة الشرقية - كي لسترنج - هامش ص ٧٧.
والعوامل التاريخية لنشأة المدن العراقية - لمصطفى الموسوي - ص ١٣٤، ١٤٧.
(٢) انظر البلدان - لليعقوبي - ص ٢٣.
والتنبيه والإشراف - للمسعودي - ص ٣٠٩.
(٣) انظر معجم البلدان - لياقوت - ج٣ ص ١٧٣، ١٧٤.
(٤) انظر رى سامراء - للدكتور أحمد سوسة - ج١ ص ٥٦.
(٥) انظر مآثر الكبراء في تاريخ سامراء - للشيخ ذبيح الله - ج١ ص ١٢ - ط. النجف.
(٦) انظر فتوح البلدان - للبلاذري - ص ٣٦٤.
ومعجم البلدان - لياقوت - ج٣ ص ٢١٥.
(٧) انظر التنبيه والإشراف - للمسعودي - ص ٣٠٩.
ومسالك الممالك - للأصطخري - ص ٨٦.

ويبـدو أن بعض هذه الروايات التي تحـاول تـأييـد فكرة عـراقـة المدينة لاتخلو من التكلف والخيال الذي لايسنده دليل، فكل هذه الروايات لانملك دليلاً واحداً على صحتها[1] .

وخلاصة القول: إن هذه المدينة أو بالأصح موضع هذه المدينة كـان معروفـاً ومـأهولاً في فترة من الزمن، سبقت الحقبة التي ابتنيت فيها المدينة الجديدة، وأن الموضع كان معروفاً بأسماء ترجع في اشتقاقها أو في مادتها إلى شيء غير قليل من التشابه[2] .

* * * * *

---

(١) يشير المسعودي في التنبيه والإشراف (ص٣٠٩) إلى أن سامراء كانت مدينة عامرة أهلة، ثم أخذت تتناقص وتضمحل حتى كان آخر خرابها واندثارها في أيام الفتنة بين الأمين والمأمون.

وهذا الرأي لانرى ما يؤيده، ولا نميل إلى أن هذه المدينة كانت عامرة قبل تلك الفتنة، وذلك لأنه لم يذكر اسم المدينة أثناء الحروب التي دارت بين قوات الأمين والمأمون في أي مصدر من المصادر المتاحة.

(٢) انظر سامراء – ليونس السامرائي – ص ٨.

أ- التسمية:

ورد اسم المدينة التي بناها المعتصم في كتب اللغة مع تفسيرات خاصة، ولغات متعددة لهذا الاسم، ونذكر هنا على سبيل المثال أن الجوهري ذكر ست لغات في اسم المدينة[١] ، وأما الفيروزابادي فقد علّل اسماً واحداً من بين تلك الأسماء، وهو الاسم الرسمي الذي كانت تصك به النقود وهو (سر من رأي) فقال: (إن المعتصم لما شرع في بناء المدينة ثقل على عسكره الانتقال إليها، فلما انتقلوا إليها سُرّوا بها، فلزمها اسم (سر من رأى)[٢] .

أما اسم المدينة عند المؤرخين، فقد ذكرت فيه تفسيرات عديدة، فمنهم من أخذ نفس خط اللغويين في تفسيره للاسم، فمن قائل إن (سر من رأى) مختصر من (سرور من رأي)[٣] ، ومن قائل: إن معنى هذه التسمية (سر من رأي) أن من رآها وقد نزلها الترك سُر بنجاة بغداد منهم[٤]، ومن قائل: إن المدينة كانت (سر من رأي) ثم سهّلها الناس في الإستعمال إلى (سامرا)[٥] ، وغير ذلك مما يطول هنا عرضه واستقصاؤه[٦] .

ومن المؤرخين من أخذ خطأ آخر في التفسير، وهو البحث عن أصول الاسم وجذوره التاريخيه، وقد سبق ذكر ذلك مما يغنى عن التكرار، ونكتفي هنا بذكر أنهم كانوا يرجعون هذا الاسم إلى أصول فارسية أو آرامية، مما لانملك أي دليل على صحته - كما سبق القول[٧] .

---

(١) انظر معجم الصحاح - للجوهري - فصل (رأي).

(٢) انظر القاموس المحيط - للفيروزابادي - ج٢ ص ٥٦٣.

(٣) انظر حقائق الأخبار عن دول البحار - لإسماعيل سرهنك - ج١ ص ٢١٩.
وصبح الأعشى في صناعة الإنشا - لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (٨٢١هـ - ١٤١٨م) نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية ط. وزارة الثقافة والإرشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. ج٤ ص ٣٣٢.

(٤) انظر تاريخ العرب - لفيليب حتى - ج٢ ص ٥٦٠.

(٥) انظر تاريخ ابن خلدون - ج٣ ص ٢٥٧.

(٦) انظر على سبيل المثال: وفيات الأعيان - لابن خلكان ج٤ ص ١٦٨. وتاريخ دول الإسلام - لمنقريوس - ج١ ص ٢٠٤. ومختصر تاريخ العرب - لسيد أمير علي - ص ٢٤٢. وتاريخ الشعوب الإسلامية - لبروكلمان ص ٢١٠. والعباسيون في التاريخ للدكتور علي حبيبة ط ١٩٨٠م الناشر مكتبة الشباب بالقاهرة - ص ١٤١.

(٧) انظر النقطة السابقة (سامراء قبل المعتصم).

أسماء أخرى لسامراء:

وهناك تسميات أخرى للمدينة منها:

العسكر: ولعل أقدم من ذكر ذلك الاسم هو اليعقوبي في كتابه البلدان، ثم تابعه العصامي المكي في ذلك، ويبدو أن إطلاق هذا الاسم كان يرجع إلى كون الجند كانوا معسكرين فيه قبل أن تعمر المدينة، ويبدو أنه بقي معروفاً حتى إنشاء المدينة[١] .

ويؤكد هذا ما ذكره ابن خلكان كذلك أثناء ترجمته لأبي محمد العسكري، وأبي الحسن العسكري، حيث قال: إن سبب تسميتهما بالعسكري يرجع إلى نسبتهما إلى سامراء، وكانت تسمى العسكر أو العسكري[٢] .

القاطول: يرى ابن خلدون أن المعتصم جدد المدينة التي بناها والده الرشيد وهي (القاطول) وسماها (سر من رأي) وقد ذكر الأصفهاني وياقوت وابن كثير كلاماً قريباً من هذا[٣] .

غير أن اليعقوبي يذكر أن المعتصم كان يزمع بناء مدينة عند القاطول لكنه ارتحل عنها إلى سامرا[٤] .

والمعلوم أن القاطول: نهر حفره الرشيد متصل بنهر دجلة[٥] .

---

(١) انظر البلدان – لليعقوبي – ص ٣٠.

وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي – لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (١٠٤٩ – ١١١١هـ) ط. (١٣٨٠هـ) – القاهرة – ج٣ ص ٣٣٠.

(٢) انظر وفيات الأعيان – لابن خلكان – ج٢ ص ٩٤، ج٣ ص ١٣٣.

(٣) انظر تاريخ ابن خلدون – ج٣ ص ٢٥٧.

والأغاني – للأصفهاني – ج١٩ ص ٢٢٩.

ومعجم البلدان – لياقوت – ج ٢ ص ٢٤.

والبداية والنهاية – لابن كثير – ج١٠ ص ٢٨٣.

(٤) انظر تاريخ اليعقوبي – ج٢ ص ٤٧٢، ٤٧٣ ط. دار صادر بيروت.

(٥) انظر معجم البلدان – لياقوت – ج٣ ص ١٧٤.

الناحية: قال صاحب كتاب مآثر الكبراء في تاريخ سامراء (ج١ ص ٧) ما نصه: (.... وفي بعض الأحاديث: دخلت الناحية، أي: سر من رأي، وذهبت إلى الناحية، أي: سر من رأي...) وقد علق الأستاذ يونس السامرائي على ذلك بقوله: (وأكبر الظن أن هذا الاسم لم يكن شائعاً معروفاً، وإنما كانت تطلقه في أحاديثها طائفة معينة لغرض معين، وآية ذلك أنه لم يرد في أي مصدر آخر)(١) .

زوراء بني العباس: أشار اليعقوبي إلى أن اسم سامراء في الكتب القديمة هو (زوراء بني العباس) وعلّل سبب هذه التسمية بقوله: (إن قِبَل مساجدها كلها مزورة فيها أزورار، وليس فيها قبلة مستوية)(٢) .

وأيًا ما كانت هذه الأسماء، واختلافات المؤرخين حول التسمية، فإن هذا يشير إلى جانب مهم وهو اهتمام المؤرخين واللغويين كذلك بهذه المدينة، باعتبارها معلماً من معالم الحضارة الإسلامية، وحاضرة للخلافة الإسلامية في فترة من فترات التاريخ الإسلامي.

* * * * *

---

(١) انظر سامراء – ليونس السامرائي – ص ٢٣، ٢٤.

(٢) انظر البلدان – لليعقوبي – ص ٣٣.

الدوافع التي أدت إلى بناء سامراء

* * *

صمم المعتصم على بناء مدينة جديدة، وأنفق في سبيل ذلك الأموال الطائلة، ولم يهدأ له قرار حتى استقر في المدينة الجديدة في موقعها، الجديدة في طريقة بنائها، الجديدة حتى في سكانها.

لقد كانت بغداد ذات شهرة عظيمة، ومكانة مرموقة، وقد تعب الخلفاء قبل المعتصم في تشييدها، وكانوا قد اضطروا تحت ظروف سياسية قاهرة إلى بناء قاعدة حصينة لخلافتهم، وزودوها بكل الوسائل المنيعة، حتى يستتب لهم الأمر، فكانت بغداد هي تلك المدينة.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: لماذا قرر المعتصم بناء مدينة جديدة؟ وهل هذه المدينة مثل بغداد من حيث التحصين والبناء....؟

وقبل الشروع في الإجابة تجدر الإشارة إلى أن (المدينة) ثمرة من ثمار الحضارة الإنسانية، وهي مشتقه من (التمدن والمدنية) وإن أي مدينة تبنى يكون لها طابع يميزها عن غيرها، فهناك المدن التي بنيت بدوافع عسكرية بالدرجة الأولى، مثل البصرة، والكوفة، والموصل، والفسطاط، والقيروان، وهناك المدن ذات الطابع الإداري، كواسط، ومن المدن ماله طابع ديني، مثل النجف، وكربلاء، وهناك مدن تحمل طابعاً سياسياً، كبغداد، سامراء، والقاهرة.

يمكن القول إذن: إن الطابع الغالب على بناء مدينة مسامراء، طابع سياسي، وهذا لايعني عدم وجود دوافع أخرى غير سياسية دفعت المعتصم لبناء المدينة، وإنما يعني ذلك أن الدافع الأساسي كان سياسياً.

وفيما يلي عرض لهذه الدوافع مجتمعة، مع مناقشتها ما أمكن ذلك.

أولاً: كثرة الجنود الأتراك وضيق بغداد:

استقدم المعتصم أعداداً هائلة من الأتراك إلى حاضرة الخلافة بغداد، وذلك عقب توليه الخلافة، وقد سبق أن بينا الدوافع التي أدت إلى استقدام هؤلاء الناس[١] .

ولقد اختلف المؤرخون قديماً وحديثاً في عدد الجنود الأتراك الذين وصلوا واستقروا ببغداد حتى اكتظت شوارع المدينة بهم، وضاقت بمن فيها، فمن المؤرخين من ذكر أنهم بضعة عشر ألفاً[٢] ، ومنهم من أوصلهم سبعين ألفاً[٣] ، ومنهم جعلهم ثمانين ألفاً[٤] ، ومنهم من قال: كانوا سبعمائة ألف لايفارقون المعتصم[٥] وذهب آخرون إلى أنهم كانوا مائتين وخمسين ألفاً[٦] .

وكان أولئك الأتراك (جفاة) يركبون الدواب، فيتراكضون في طرق بغداد وشوارعها، فيصدمون الرجل والمرأة ويطئون الصبي[٧] ، وقد تنزلوا على الناس دورهم، ولقد هلك عدة أطفال تحت أرجل الخيل من شدة الزحمة في الأسواق[٨] .

لقد أدى سلوك الأتراك في شوارع وطرق بغداد إلى تأذي العامة منهم، لدرجة أن ذلك الأمر تحول إلى صدام بين العامة وبين الترك[٩] ، فربما انفرد أحد العامة بأحد الأتراك فقتله، إلى حد

---

(١) انظر الفصل الأول من الباب الثالث من هذا البحث.

(٢) انظر تاريخ الخلفاء – للسيوطي – ص ٣٣٥.

(٣) انظر آثار البلاد وأخبار العباد لزكرياء بن محمد بن محمود القزويني (١٢٨٣هـ) ط: (١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م) دار صادر – بيروت – ص ٣٨٥.

(٤) انظر النجوم الزاهرة – لابن تغري بردي – ج٢ ص ٢٣٣.
وظهر الإسلام – للأستاذ أحمد أمين – ج١ ص٦. ط. مكتبة النهضة المصرية.

(٥) انظر تاريخ ابن العمراني – ص ١٠٩.

(٦) انظر مختصر تاريخ العرب – لسيد أمير على – ص ٢٤٣.

(٧) انظر تاريخ الطبري – ج٩ ص ١٧.

(٨) انظر تاريخ ابن العمراني – ص ١٠٩.

(٩) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٧.
وسمط النجوم العوالي – للعصامي المكي – ج٣ ص ٣٣٠.
وتاريخ الخلفاء للسيوطي – ص ٣٣٦.
والفخري في الآداب السلطانية – لابن الطقطقي ص ٢١٠.

أنه كان يسمع عن قتيل كل يوم على الأقل[١] .

وحرصاً من المعتصم على دماء الأتراك، التي كانت تذهب هدراً، ومنعاً للفوضى والاضطراب، قرر المعتصم أن يقوم ببناء مدينة جديدة لهؤلاء الأتراك الذين ضاقت بهم بغداد[٢].

ثانياً: شكاوي الترك والعامة على السواء:

لما سلك الأتراك سلوكهم الغريب في بغداد، وتأذى من ذلك العامة، وكثر قتلى الأتراك، نتيجة للصدام بينهم وبين العامة، استشعر الأتراك الخطر المحدق بهم، فقاموا بالشكوى إلى المعتصم، طالبين منه أن يخلصهم من حالات الاغتيال المستمرة هذه[٣] .

كما أن أهل بغداد بدأوا يضجون من سلوك الأتراك، وقد اعترض شيخ كبير طريق المعتصم معبراً عن رأي الكثير من البغداديين فقال للخليفة: (ياأبا إسحاق.. لاجزاك الله عن الجوار خيراً، جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج فأسكنتهم بين أظهرنا، فأيتمت بهم صبياننا، وأرملت بهم نسواننا، وقتلت بهم رجالنا)!![٤] .

ولم يكن هذا الرجل الذي حاول الأتراك منعه عن المعتصم مراراً حتى لايصل إليه، هو وحده الذي واجه المعتصم بهذا، وإنما عضده أناس آخرون (جماعة من أهل الخير)[٥] ، ويقول السيوطي: (اجتمع إليه – يعني المعتصم – أهل بغداد، وقالوا: إن لم تخرج عنا بجندك حاربناك،

---

(١) انظر التنبيه والإشراف – للمسعودي ص ٣٢٤.
وتاريخ ابن خلدون – ج٣ ص ٥٤٧.
(٢) انظر البلدان – لليعقوبي – ص ٢٥٦.
ومروج الذهب للمسعودي ج٣ ص ٤٦٦.
(٣) انظر تاريخ الطبري – ج٩ ص ١٨.
(٤) انظر مروج الذهب – للمسعودي ج٤ ص ٥٢.
والفخري في الآداب السلطانية – لابن الطقطقي – ص ١٩٠.
(٥) انظر معجم الأدباء – لياقوت الحموي مراجعة وزارة المعارف – سلسلة الموسوعات العربية – ط – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ج١ ص ١١٣.

قال: وكيف تحاربونني؟ قالوا: بسهام السحر - يعني الدعاء عليه وقت السحر - قال: لاطاقة لي بذلك) ويعلق السيوطي بقوله: (فكان ذلك سبب بنائه (سر من رأي) وتحوله إليها)[١] .

ثالثاً: مخاوف المعتصم:

يبدو أن المعتصم كان يخشى الفتنة وثورة أهل بغداد، وبعض العساكر بها، لسخطهم على تقريب الترك، ولذلك أرسل أبا الوزير أحمد بن خالد ليشترى له موضعاً لبناء مدينة فيه، وذلك بناحية سامرا، وقال المعتصم لأبي الوزير: (... فإني أتخوف هؤلاء الحربية أن يصيحوا صيحة فيقتلوا غلماني، فأريد أن أكون فوقهم، فإن رابني منهم شيء أتيتهم في البر والماء، حتى آتي عليهم)[٢] .

ويلاحظ أن كلمة (الحربية)[٣] التي وردت في كلام المعتصم يقصد بها الجنود من غير الأتراك الذين يعسكرون في بغداد، ولعلهم الذين شغبوا على المعتصم عقب توليه منصب الخلافة سنة ٢١٨هـ[٤] ، ويبدو أن أغلبهم من العرب.

ويؤيد ما ذهبنا إليه ما يلي:

أ- ما ذكره صاحب الأغاني من أن الحربية: حي من أحياء بغداد[٥] .

ب - ما قاله ابن الطقطقي وهو: (إن المعتصم خاف من الجند في بغداد، ولم يثق بهم، فقال: اطلبوا لي موضعاً أخرج إليه، وأبني فيه مدينة، وأعسكر فيه، فإن رابني من

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء - للسيوطي - ص ٢٣٦.

(٢) انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ١٧٠.

والكامل في التاريخ لابن الأثير - واللفظ له ج٦ ص ٤٥١.

(٣) جاء في بعض نسخ الطبري كلمة (الخرمية) بدلاً من (الحربية). والظاهر أن ذلك خطأ، لوجود روايات أخرى تؤكد أنهم الحربية الذين كانوا في بغداد، وليسوا أتباع بابك الخرمي.

انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ١٧ هـ ١.

(٤) انظر الكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٦ ص ٤٨٦.

(٥) انظر الأغاني - للأصفهاني - ج١٨ ص ١٠٠.

عساكر بغداد حادث كنت بنجوة، وكنت قادراً على أن آتيهم في البر والماء)[١] .

جـ - ويذكر جورجي زيدان أن الحربية هم جند العرب الذين كانوا يعسكرون في بغداد[٢] .

د - ويعبر عنهم مصطفى الموسوي بأنهم الجند القدماء ببغداد[٣] .

و - وأخيراً ذكر كي لسترنج في كتابه (بغداد في عهد الخلافة العباسية)تحت عنوان (محلة الحربية)حديثاً مفصلاً وصف فيه الموقع والطرق واعتبر محلة الحربية جزء من بغداد[٤].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الرشيد كان قد خاف من الجنود ما خاف المعتصم، ولذلك كان قد شرع الرشيد في بناء قصر له على نهر القاطول. إلا أنه لم يتممه لظروف خاصة، ليس هنا مجال سردها[٥] .

رابعاً: رغبة المعتصم في إنشاء حاضرة جديدة للخلافة:

لعل المعتصم فكر في بناء مدينة جديدة، لتكون حاضرة الخلافة العباسية، وذلك قبل أن تحدث اضطرابات الجند الأتراك في بغداد، وقبل أن يشتكى إليه العامة والأتراك على السواء.

والذي يقوى هذا الاحتمال عدة أمور نوجزها فيما يلي:

أ - كانت بغداد تعاني من التمزق السياسي منذ خلافة هارون الرشيد[٦] ، بسبب المؤامرات والنكبات والحروب، فهي بهذا لاتستطيع أن تجابه الأخطار التي تهدد كيان الدولة

---

(١) انظر الفخري في الآداب السلطانية - لابن الطقطقي - ص ٢١٠.

(٢) انظر تاريخ التمدن الإسلامي - لجورجي زيدان - ج١ ص ١٧١.

(٣) انظر العوامل التاريخية لنشأة المدن - لمصطفى عباس الموسوي - ص ١٤٦.

(٤) انظر بغداد في عهد الخلافة العباسية - كي لسترنج - ترجمة بشير يوسف فرنسيس - ط: (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م) - المطبعة العربية - بغداد ص ١١١ - ١٢٠.

(٥) انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ١٧.

(٦) حاول الرشيد الانتقال من بغداد وبناء مدينة جديدة، ولعله كان لديه من الدوافع ما يعينه على الإقدام على مثل هذا الفعل.

انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٧.

خارجياً وداخلياً، في حين أن المعتصم جاء بعناصر جديدة وأراد بهم حماية الدولة، ولايمكن لهؤلاء أن يؤدوا دورهم إلا إذا كانوا في مأمن من الفتن والاضطرابات، فكان لابد من إبعادهم عن جو بغداد الذي لايلائم المهمة التي جاءوا وجُلبوا من أجل أدائها[١]

ب - منذ شغب الجند بالمعتصم عقب توليه الخلافة، وهو يتوجس من هؤلاء الحربية، ويتخوف وقوع ثورة منهم في أي وقت[٢] .

جـ - رغبة المعتصم في تكوين طبقة نقية من الأتراك، ليكونوا عوناً له على توطيد أركان الخلافة جعلته يفكر في إنشاء حاضرة لهم[٣] .

د - كانت بغداد حاضرة الخلافة في عهد الأمين، وكذا في عهد المأمون، فهي من غير شك تحمل من أنصار الرجلين من عرب وفرس، وكلا العنصرين لايميل إليه المعتصم.

هـ - ميل المعتصم إلى الروح العسكرية، وتجمع جيش كثيف في بغداد أمر بالغ الصعوبة، فالأولى أن ينتقل بجنوده الموافقين لطباعه إلى مكان آخر.

و - وأخيراً ربما أراد المعتصم أن يحقق حلماً راود أباه الرشيد حين عزم على بناء مدينة عند نهر القاطول، إلا أنه خرج إلى الرقة فأقام بها، وبقيت المدينة لم تستتم[٤] .

خامساً: حب المعتصم للعمارة:

(كان المعتصم يحب العمارة، ويقول: إن فيها أموراً محمودة، فأولها عمران الأرض التي يحيى بها العالم، وعليها يزكو الخراج، وتكثر الأموال، وتعيش البهائم، وترخص الأسعار، ويكثر الكسب، ويتسع المعاش.

(١) انظر العوامل التاريخية لنشأة المدن - لمصطفى عباس - ص ١٤٣.
(٢) انظر تاريخ الطبري - ج٨ ص ٦٦٧.
(٣) انظر سامراء - ليونس السامرائي - ص ١١، ١٢.
(٤) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٧.

وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك: إذا وجدت موضعاً متى أنفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة أحد عشر درهماً فلا تؤامرني فيه)[١] .

ولعل رغبة المعتصم وحبه للعمارة كان دافعاً إلى جانب الدوافع الأخرى، يعين المعتصم على أن يقرر بناء المدينة الجديدة، ليتحقق ببنائها ما يقوله من نتائج مترتبة على ذلك البناء.

* * * * *

(١) انظر مروج الذهب – المسعودي ج٤ ص٤٧.

* * *

أولاً: موضع سامراء الجغرافي وأهميته:

اختار المعتصم سامراء على بعد ستين ميلاً شمالي بغداد، وتقع المدينة على نهر القاطول.

وكان المعتصم أول الأمر قد توجه إلى الشماسية ليبني فيها مدينته الجديدة، ثم تركها لضيق محلها، وقربها من بغداد[١] ، ومضى إلى البردان[٢] ، بمشورة الفضل بن مروان – وزيره يومئذ – وأقام بها أياماً، وأحضر المهندسين[٣] .

ثم لم يرتح لهواء المكان، فصار إلى موضع يقال له باحمشا[٤] ، فلم يرق له، فنفذ إلى قرية المطبرة، فأقام بها مدة، ثم مر بالقاطول، فقال: هذا أصلح المواضع، فصير النهر المعروف بالقاطول وسط المدينة، وجعل البناء على دجلة وعلى القاطول، ولما ارتفع البناء رأى المعتصم عبث البناء، لصعوبة الأرض وضيق المساحة، فخرج عن القاطول[٥] حتى وصل سامراء، فاستطاب مكانها، وبدأ في بناء المدينة فيها[٦] .

وهذا يدلنا على أن المعتصم قد حاول أن يتخذ مواضع لمدينته الجديدة، لكنه لم يجد موضعاً يضارع موضع سامراء، وذلك لأن سامراء يحيط بها حزام مائي لم يتوفر لغيرها من المدن ولاسيما بغداد[٧] .

---

(١) انظر البلدان – لليعقوبي ص ٢٥٦.

(٢) قرية من قرى بغداد.

انظر مروج الذهب – للمسعودي – ج٣ ص ٤٦٦.

(٣) انظر البلدان – لليعقوبي – ص ٢٥٦.

(٤) على الجانب الشرقي من دجلة.

(٥) انظر المصدر السابق – نفس الصفحة.

(٦) انظر مروج الذهب – للمسعودي – ج٤ ص ٧، ٩.

(٧) انظر ري سامراء – للدكتور أحمد سوسة ج١ ص ٥٤، ٥٥.

وبالإضافة لما سبق فإن المدينة تقع في مكان مرتفع عن الضفة الأخرى من النهر، مما يجعلها لاتتعرض إلى خطر الغرق في أشد حالات الفيضان[١] .

ثانياً: تحقيق زمن النشأة:

اختلف المؤرخون في تحديد زمن نشأة المدينة، فمنهم من ذكر أن ذلك سنة ٢١٩هـ[٢] ، ومنهم من قال: إنها - يعني سامراء - بنيت سنة ٢٢٠هـ[٣] ، وذهب آخرون إلى أنها كانت سنة ٢٢١هـ[٤] .

ولعل سبب هذا الاختلاف يرجع إلى أن كل مؤرخ نظر إلى الموضوع من زاوية خاصة، فالمعتصم فكر في بناء حاضرة جديدة سنة ٢١٩هـ، وأمر أبا الوزير أحمد بن خالد أن يتفقد له مكاناً صالحاً[٥] ، ثم إن المعتصم ارتحل إلى عديد من المناطق - كما سبق القول - ولم تطب له مواضعها، وكان ذلك سنة ٢٢٠هـ، وقد شرع في البناء عند القاطول سنة ٢٢٠هـ كذلك[٦] ، ثم انتقل بعد ذلك إلى البناء في سامراء.

---

(١) انظر سامراء - لمديرية الآثار القديمة ص ٣٩، ٤٠.

(٢) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٧.

(٣) انظر وفيات الأعيان - لابن خلكان ج١ ص ١٥٦، ١٥٧.
ومآثر الأنافة في معالم الخلافة لأحمد بن عبد الله القلقشندي (٨٢١هـ) تحقيق عبد السلام أحمد فراج ط (١٩٦٤م) الكويت - سلسلة التراث العربي (١١) ج١ ص ٢٢١.
وتاريخ ابن الوردي ج١ ص ٢٣٢.
والبداية النهاية لابن كثير ج١٠ ص ٢٨٤.
وتاريخ الخلفاء - للسيوطي ص ٢٣٥.
وشذرات الذهب - لابن العماد - ج٢ ص ٤٦.

(٤) انظر تاريخ اليعقوبي - ج٣ ص ٢٠٦.
والتنبيه والإشراف - للمسعودي ص ٣٠٩. ومروج الذهب للمسعودي أيضاً ج٣ ص ٤٦٧.
وسمط النجوم العوالي - للعصامي المكي - ج٣ ص ٣٣٠.

(٥) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٧.

(٦) انظر معجم البلدان - لياقوت ج٣ ص ١٧٤.

وللجمع بين الروايات يمكن القول: إن المعتصم فكر في إنشاء المدينة سنة ٢١٩هـ، ثم شرع في بنائها بعد أن استقر على موضعها أواخر سنة ٢٢٠هـ وأوائل سنة ٢٢١هـ، ثم انتقل إليها بعساكره سنة ٢٢١هـ[١] .

ثالثاً: البنـــاء:

لقد تم تقسيم المدينة إلى ثلاث مجموعات، مجموعة لقصور الخلافة، ومجموعة كقطائع للأمراء تبنى فيها قصورهم، ومجموعة ثالثة لسكان المدينة الآخرين من ترك وغيرهم[٢] .

ولقد شيد المعتصم قصراً فخماً لنفسه في الموضع المعروف بالوزيرية، كما شيد ثكنات عسكرية للجنود، ومسجداً جامعاً[٣] ، وعدة قصور للقواد والكتاب وسماها بأسمائهم[٤] .

وقام المهندسون بتجهيز اصطبلات واسعة للخيول، وإنشاء قناتين متفرعتين من دجلة، وأقيمت الأسواق والدور...، وحملت النخيل والغروس من سائر البلدان، وبنيت القرى حول المدينة، وإنتقل إليها الناس، وأقطع المعتصم القطائع لرؤساء الأتراك الذين قاموا بدورهم في تشييد القصور التي ضارعت قصر الخلافة عظمة وفخامة[٥] .

ولقد تتبع الأستاذان مصطفى عباس، ويونس السامرائي المظاهر الحضارية والمعمارية لهذه المدينة، وليس هنا مجال سردها[٦] .

---

(١) انظر المصدر السابق - نفس الجزء والصفحة.

(٢) انظر العوامل التاريخية لنشأة المدن - لمصطفى عباس ص ٢٣١ - ٢٣٣.

(٣) انظر مروج الذهب - للمسعودي ج٣ ص ٤٦٧ .

ومختصر تاريخ العرب - لسيد أمير على ص ٢٤٢.

(٤) انظر تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٤٧٣ ط دار صادر.

(٥) انظر المصدر السابق - نفس الجزء والصفحة.

ومروج الذهب - للمسعودي ج٣ ص ٤٦٧ .

وتاريخ الشعوب الإسلامية - لبروكلمان - ص ٢١٠.

(٦) انظر العوامل التاريخية لنشأة المدن - لمصطفى عباس - ص ٢٣١ - ٢٣٣.

وسامراء - ليونس السامرائي - ص ١٦، وما بعدها.

رابعاً: السكان:

مما لاشك فيه أن المدينة بنيت للأتراك، وانتقل إليها المعتصم، وجعلها حاضرة الخلافة.

ومن هنا فإن أول سكان المدينة الجديدة الأتراك ولذلك تم تشييد ثكنات عسكرية خاصة بهم، وقصور خاصة بالقواد منهم، كما اهتم المعتصم بالخيل التي ارتبطت بالأتراك كما ارتبطوا بها، فجعل لها اصطبلات خاصة[1] .

ولكن هل كان كل سكان المدينة من الترك فقط؟ بالطبع لا، لأن المدينة، وإن كانت تحمل الطابع العسكري، إلا أنها تمثل مركز الخلافة، وإذا كان الأتراك يمثلون حماة الدولة، فليس من بينهم القاضي، ولا الوزير.. إلخ ولذلك فإن سكاناً آخرين ليسوا تركاً قد أصبح لهم في المدينة نصيب.

وإذا كان المعتصم قد بنى قصوراً لرؤساء الأتراك فإنه قد بنى كذلك لغيرهم من القواد، والكتاب، ولاشك أن القاضي والوزير وغيرهما ممن لهم مناصب أساسية، وممن هم حول الخليفة أصبحت لهم قصور أو دور تناسبهم[2] .

* * * * *

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي - ج٢ ص ٤٧٣ ط دار صادر.
ومروج الذهب - للمسعودي - ج٣ ص ٤٦٧.
ومختصر تاريخ العرب - لسيد أمير على - ص ٢٤٢.

(٢) انظر تاريخ اليعقوبي - ج٢ ص ٤٧٣ ط دار صادر.
والعوامل التاريخية لنشأة المدن - لمصطفى عباس - ص ٢٣١ - ٢٣٣.

سامراء والأتراك في العصر العباسي الأول

* * *

إذا كانت الأحداث في الكوفة قد ارتبطت ببعض الأعلام مثل أبي سلمة الخلال وأبي مسلم الخراساني، وفي بغداد بالبرامكة والفضل بن سهل، والحسن بن سهل، وغيرهم، فإن سامراء قد ارتبطت الأحداث فيها بجماعة من الأتراك مثل الأفشين وأشناس وإيتاخ، وغيرهم.

وإذا كنا لم نسمع عن قصور لأبي سلمة أو أبي مسلم أو الفضل بن سهل أو أخيه في الكوفة أو بغداد، فإننا قد سمعنا عن قصور فخمة للأتراك تضارع قصر الخلافة، وسمعنا عن قطائع وضياع بأسماء هؤلاء الأتراك[1] .

ولا شك في أن هذا يوحي بنوع من الاستقرار، ويجعل الأتراك يتفانون في خدمة الخليفة والخلافة، ولذلك يقول عنهم الجاحظ بعد أن استقروا بحاضرة الخلافة ، إنهم مادة الإسلام وللخلفاء وقاية[2] .

ولعل سامراء بعد أن أصبحت مركزاً لجميع العمليات الحربية، ومنطلقاً للجيوش الإسلامية، لإخماد الاضطرابات الداخلية أو الخارجية، لعلها قد اكتسبت شهرة واسعة جعلتها تضارع بغداد، وربما نافستها.

ولقد ارتبطت سامراء بأحداث شهيرة لها صلة كذلك بالأتراك، فمن ذلك قدوم القائد التركي الأفشين إليها ومعه بابك الخرمي، بعد ظفره به، ولقد استقبلته سامراء استقبالاً مهيباً، بل إن

---

(١) انظر مروج الذهب – للمسعودي – ج٣ ص ٤٦٧.

(٢) انظر رسائل الجاحظ – ج١ ص ٩٢.

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن الأتراك كان من عاداتهم حب الوطن والحنين إليه لكنهم بعد استقرارهم في دار الخلافة في عهد المعتصم، صادفوا رجلاً حكيماً وبأقدار الناس عليماً، وهو المعتصم، فأقاموا معه إقامة من قد فهم الحظ، ودان بالحق، ونبذ العادة.

ولعل هذا يفسر لنا سر إقطاع المعتصم القطائع للأتراك، لأنه يريد بذلك أن يشعرهم بأن هذا المكان أصبح وطنهم. انظر المصدر السابق ج١ ص ٦٦.

سامراء خرجت عن بكرة أبيها لاستقبال الأفشين، ويصف الطبري ما جرى لبابك من تشهير قبل تنفيذ الحكم فيه. كما يصف العطاءات التي أعطاها المعتصم كجوائز للأفشين[١] .

وشهدت سامراء كذلك حفلات الأتراك وأعراسهم، التي شارك فيها المعتصم بنفسه[٢] .

كما شهدت سامراء كذلك محاكمة الأفشين بعد التهم التي وُجهت إليه وصلبة[٣] قريباً من بابك الخرمي[٤].

ومن سامراء قام أشهر عمل حربي بعد القضاء على بابك الخرمي، فلقد خرج المعتصم في جهاز لم يتجهزه مثله خليفة قط من السلاح، والعدد، والآلة، وحياض الأدم، والبغال، والقرب، وآلة الحديد، والنفط، .... إلخ، وكان متجهاً إلى الحدود الشمالية للدولة لمحاربة الروم، وقد فتح الله عليه عمورية، ولقد كان على قيادة الجيش ثلاثة من كبار القواد الأتراك[٥] .

ولعل من أبرز ما يربط الأتراك بسامراء كذلك ما فعله المعتصم حينما استخلف أشناس على حاضرة الخلافة، حينما أراد الخروج عنها إلى منطقة تدعي السن[٦] .

وقد تبع الواثق والده ففعل مثل فعله حيث استخلف أشناس أيضاً على حاضرة الخلافة أثناء خروجه عنها لبعض الأمور[٧] .

وهكذا يتضح أن سامراء ارتبطت في أغلب أحداثها بالأتراك الذين عاشوا بين جنباتها، وصنعوا الأحداث على أرضها.

* * * * *

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ٥٢ - ٥٤.

(٢) انظر مروج الذهب - للمسعودي ج٣ ص ٤٧١.

والبداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص ٢٨٩، ٢٩٠.

(٣) قال البحتري يمدح صنيع المعتصم في بابك الخرمي:

أخليت منه البذ وهي قراره ونصبته علماً بسامراء

انظر ديوان البحتري ج٢ ص ٣٨٣.

(٤) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٠٤ - ١١٠.

(٥) انظر المصدر السابق ج٩ ص ٢٥، وما بعدها.

والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٦ ص ٤٨٠، وما بعدها.

(٦) انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ١٠٣.

(٧) انظر المصدر السابق - ج٩ ص ١٢٤.

سامراء بين العواصم الإسلامية العراقية

في العصر العباسي الأول

(الكوفة - الحيرة - الأنبار (الهاشمية) - بغداد - سامراء)

* * *

هناك عاصمتان رئيستان للعصر العباسي الأول هما: بغداد وسامراء، وهناك بجانبهما عواصم اتخذها العباسيون مراكز لسلطانهم قبل إنشاء بغداد، وهم علي الترتيب: الكوفة والحيرة والأنبار.

وإذا أردنا أن نقارن بين هذه العواصم مجتمعة، فإننا في حاجة إلى تحديد أوجه المقارنة، وهي في تصوري ثلاثة:

أولاً: عوامل نشأة كل مدينة.

وثانياً: موقع المدينة جغرافياً واستراتيجياً.

وثالثاً: أهمية المدينة بالنسبة للخلافة ومدى صلاحيتها لتكون حاضرتها.

الكوفة

تم تأسيس الكوفة وتمصيرها في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وكانت تأسيسها إحدى الضرورات الحربية التي فرضتها دواعي الفتح الإسلامي لبلاد فارس في هذا العهد[١] .

ولقد كان الكوفة هي المشرفة على إدارة الإقليم الأوسط من العراق وما اتصل به إدارياً من إقليم الجزيرة في شمال غرب العراق وأقاليم أرمينية وأذربيجان وخراسان وغيرها من بلاد فارس[٢] .

---

(١) انظر فتوح البلدان – للبلاذري – ص ٢٧٤.
والعوامل التاريخية لنشأة المدن – لمصطفى عباب – ص ٨٣.
(٢) انظر بلدان الخلافة الشرقية – كي لسترنج – ص ٢٠.

واستمرت المدينة ذات مكانة خاصة، حيث كانت تمثل قاعدة انطلاق لجيوش المسلمين الفاتحين منذ عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحتى أواخر العصر الأموي[١] .

ومن هنا فقد كانت للكوفة أهمية حربية وسياسية.

ولقد أعلنت الخلافة العباسية في الكوفة، لكن العباسيين كانوا يعرفون أن الكوفة وسوادها شيعة على بن أبي طالب رضي الله عنه وولده، وأنه ليس من الخير للعباسيين أن يتخذوا عاصمتهم بين قوم لايدينون لهم بالولاء التام، ولايكنّون لهم المحبة والإخلاص، ولذلك سرعان ماخرج أبو العباس السفاح عن الكوفة إلى الحيرة[٢] .

الحيرة

فتحت الحيرة منذ عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، ومن المهم هنا الإشارة إلى أن الحيرة لم تكن مكاناً يمكن أن يستقر به العباسيون، ولم ينتقل السفاح إليها إلا بدافع الرغبة في سرعة مغادرة الكوفة، فلم تكن الحيرة في الحقيقة إلا مكاناً مؤقتاً نزل به العباسيون ليفكروا في اختيار عاصمة دائمة بحيث تكون مكاناً أكثر صلاحية وأحسن مقاماً، وفي الحيرة استقر رأيهم على اتخاذ الأنبار عاصمة لهم[٣] .

الأنبار (الهاشمية) :

الأنبار مدينة قديمة أسسها أحد ملوك الفرس، ثم جددها السفاح وأسماها (الهاشمية) وانتقل إليها، ونقل إليها دواوينه، وظل بها حتى مات[٤] .

---

(١) انظر فتوح البلدان - للبلاذري - ص ٢٤٢.
وتاريخ الطبري - ج٢ ص ٥٥٤.
والكامل في التاريخ لابن الأثير - ج٢ ص ٢٩٥. وغيرهم.
(٢) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي - لأستاذنا الدكتور أحمد شلبي - ج٣ ص ٢١٨.
(٣) انظر المرجع السابق - نفس الجزء والصفحة.
(٤) انظر تاريخ الطبري - ج٤ ص ٤٥٥.

نشأت المدينة -إذن- نشأة سياسية دعت إليها الظروف الخاصة للخلافة الناشئة.

ورغم أن موقع الهاشمية كان موقعاً متميزاً إلا أنه حدث فيها حدث خطير تطيّر منه المنصور، وهو ثورة الراوندية[١] .

وبسبب قسوة هذا اليوم أدرك المنصور أن بقاءه في مدينة كهذه غير مأمون العاقبة، وتشاءم منها، إذ كان على وشك أن يقتل فيها، لذلك قرر أن يشيد مدينة جديدة تحقق له الحماية، وتصلح أن تكون عاصمة هذا الملك الكبير، ونشأت بذلك فكرة مدينة بغداد عروس الشرق[٢] .

بغداد (دار السلام)

جمع ياقوت الحموي أكثر الآراء والتخريجات لمعنى كلمة بغداد واشتقاقاتها، وليس هنا مجال سردها[٣] ، ولكننا نلاحظ أن مكانة المدينة التاريخية دفعت المؤرخين للحديث عن اسم المدينة، والبحث عن جذوره واشتقاقاته وغير ذلك.

نشأت فكرة بناء مدينة بغداد في ذهن المنصور، واختار موقعها على نهر دجلة، وجند كافة الخبرات الموجودة في مملكته لإنجاز مشروعه الكبير، واستغرق بناء المدينة قرابة خمس سنوات[٤] .

ولاشك أن بغداد كانت ذات موقع حيوي ومهم بالنسبة للخلافة، فهي مدينة صنعت تحت نظر المنصور، وتم إنشاؤها بطريقة خاصة، لتكون مركزاً للخلافة[٥] .

---

(١) انظر المصدر السابق ج٧ ص ٥٠٥.

والبداية والنهاية لابن كثير - جـ ١٠ ص ٧٥.

(٢) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي - لأستاذنا الدكتور أحمد شلبي - ج٣ ص ٢١٨، ٢١٩.

(٣) انظر معجم البلدان - لياقوت - ج١ ص ٦٧٨.

(٤) انظر تاريخ الطبري - ج٧ ص ٦٥٢.

(٥) انظر بغداد في عهد الخلافة العباسية - كي لسترنج ص ٢٦٠.

وانظر موسوعة التاريخ الإسلامي - لأستاذنا الدكتور أحمد شلبي - ج٣ ص ٢٢٤.

واستمرت مدينة بغداد منذ أنشأها المنصور حاضرة للخلافة، وكانت تزداد اتساعاً وازدهاراً، وصارت من أهم المدن الإسلامية، بل والعالمية في العصر العباسي الأول، واحتلت بسرعة مكان الصدارة في العالم في النشاط الثقافي والتجاري والاجتماعي، وغير ذلك، وكثرت ثرواتها، وكانت في أوج ازدهارها في عهد الرشيد(١) .

على أنها لم تنعم بالازدهار طويلاً، وإنما تعرضت بعد عامين تقريباً من وفاة الرشيد إلى التخريب والتدمير، وذلك أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون(٢) .

وقدر لبغداد أن تنزل عن مركزها الممتاز حتى في عهد المأمون، ثم أعطت حقها في تسيير أمور الخلافة إلى سامراء التي أنشأها المعتصم في أوائل عهده(٣) .

سـامراء

لقد سبق الحديث عن موقع سامراء وأهميته الجغرافية، وكذلك تحدثنا عن الدوافع التي أدت لبناء المدينة، وكيف كانت هذه الدوافع قوية وملحة في الوقت ذاته.

ولقد أصبحت سامراء المركز السياسي للخلافة، وكانت لهذه المدينة أهمية عظمى سبقت الإشارة إليها، ويكفي أن تكون منطلقاً حربياً تخرج منها جحافل الجيوش، وتعود منتصرة، وبخاصة في عهد المعتصم، فإنه خرج منها الأفشين لمحاربة بابك الخرمي، وعاد منتصراً، وخرج منها المعتصم لمحاربة الروم، وعاد منتصراً.. إلخ.

ولقد لهج الشعراء بسامراء(٤) كما لهجوا ببغداد، ثم إن بغداد قد أصبحت خراباً في عهد المعتصم، لترتفع مكانها سامراء(٥) .

---

(١) انظر العوامل التاريخية لنشأة المدن – لمصطفى عباس – ص ١٣٩.

(٢) انظر بغداد في عهد الخلافة العباسية – كي لسترنج – ص ٢٦٠، وما بعدها.

(٣) انظر العوامل التاريخية لنشأة المدن – لمصطفى عباس – ص ١٣٩.

(٤) قال الحسين بن الضحاك: سر من را أسر من بغداد ... فاله عن بعض ذكرها المعتاد

حبذا مسرح لها ليس يخلو ... أبداً من فريدة وطراد

انظر معجم البلدان – لياقوت – ج٣ ص ١٧٦.

(٥) انظر بغداد في عهدا لخلافة العباسية – كي لسترنج ص ٢٦٤، ٢٦٥.

خلاصــــة :

لعلنا بعد هذا العرض المختصر لعواصم الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول نخلص إلى عدة ملاحظات:

أولاً: من الملاحظ أن أبا العباس السفاح انتقل بين ثلاثة عواصم وهذا يشير إلى أن الخلافة العباسية في عهدا لسفاح في بداية قيامها لم تكن تنعم بنوع من الاستقرار.

ثانياً: إن الظروف التي قامت على أساسها فكرة إنشاء بغداد تشبه إلى حد ما الظروف التي دعت لبناء سامراء إلا أن دوافع بناء سامراء كانت أكثر وأقوى.

ثالثاً: احتلت بغداد منزلة سامية ووسمت بأنها مدينة العلم والثقافة، في حين كانت سامراء مدينة عسكرية، غلب عليها هذا الطابع الحربي.

رابعاً: إن مدن الكوفة والحيرة والأنبار لاتضارع بغداد أو سامراء، لكن الأخيرتين قد صبغتا بطابع خاص يميزهما عن غيرهما، كما أنه اختلفت كل واحدة منهما عن غيرها بشيء يحدد معالمها.

وأخيراً: نستطيع القول: إن سامراء كانت مع نهاية العصر العباسي الأول في أوج ازدهارها في حين كانت بغداد مع نهاية هذا العصر أثراً بعد عين، كما كانت الكوفة والحيرةوالأنبار.

* * * * *

الباب الرابع
زيادة النفوذ التركي
في نهاية العصر العباسي الأول

الفصل الأول: الواثق وتزايد قوة الأترك.

الفصل الثاني: مراحل تطور الأتراك في الجيش في العصر العباسي الأول.

الفصل الأول

الواثق وتزايد قوة الأتراك

موضوعات الفصل

* مقدمة.
* أولاً : مظاهر تزايد قوة الأتراك في عهد الواثق:
أ - اتساع نفوذ أشناس.
ب - نفوذ إيتاخ.
جـ - من أشناس إلى إيتاخ.
د - وصيف التركي.
هـ - بغا الكبير.
و - خاقان الخادم.
ز - سيما الشرابي وسيما الدمشقي.
خلاصة القول
* ثانياً مظاهر تكريم الواثق للأتراك:
١ - على المستوى السياسي:
أ - أشناس ولقب السلطان.
ب - بغا وموسم الحج
٢- على المستوى المادي:
أ - تتويج أشناس.
ب - تكريم أشناس بعد وفاته.
جـ - جائزة وصيف بعد هزيمته للأكراد.
* ثالثاً: الأتراك والسياسة المالية حتى نهاية عهد الواثق.
* رابعاً: تدخل الأتراك في تولية الخليفة الجديد قبل دفن الواثق.
* الأتراك حول الخليفة الجديد.



الفصل الأول

الواثق وتزايد قوة الأتراك

* * *

مقدمة:

شب الواثق عن الطوق ليجد الأتراك حول أبيه، ولقد رآهم الواثق وأدرك مكانتهم، وعرف مدى تفانيهم في خدمة الخليفة السابق – المعتصم – ولي نعمتهم، ومستقدمهم الأكبر.

رآهم الواثق وهم يخمدون الثورات والفتن الداخلية، وكذلك وهم يسهمون بالقدر الأوفى في فتح عمورية، ومجابهة العدو الخارجي.

كما وجد أباه يحتفي بهم في المناسبات، ويكرمهم، ويلبسهم أنواع الديباج، ويتوجهم، بل يبتني لهم مدينة خاصة، ويقطعهم فيها القطائع الكثيرة، وأكثر من ذلك يعطيهم الولاية على بعض إمارات الدولة، وفوق ذلك يستخلف منهم على حاضرة الخلافة إذا خرج عنها، وغير ذلك مما سبق عرضه في الباب السابق.

وإذا لم تكن المصادر المتاحة قد أفصحت لنا عن مدى علاقة الأتراك بالواثق قبل توليه الخلافة، فإننا لانشك في أن الواثق قد تدرب – على الأقل – على أنواع الفروسية وركوب الخيل على يد الأتراك.

ولعل سبب إغفال المؤرخين لهذه النقطة يرجع إلى اعتبارها من الأمور البدهية، فالأتراك يحيطون بالمعتصم أينما حل، وبالتالي فهم يحيطون بأهل بيته، وعلى رأسهم أولاده الذين يُنتظر أنيكونوا أصحاب الخلافة فيما بعد.

ومما يساعدنا على إدراك مدى صلة الواثق بالأتراك قبل خلافته أنه بعد توليه الخلافة مباشرة كان من أوائل أعماله أن عقد لأشناس التركي على الشام والمغرب مع مصر، وتوّجـــه .. على ما سيأتي ذكره بعد ذلك.

ولانعدم أن نجد إشارات حول مدى علاقة الواثق بهؤلاء الأتراك قبل خلافته، فإن الطبري

يحكى لنا مجيء الأفشين القائد التركي ببابك الخرمي، بعد ظفره به، فيقول: (لما صار الأفشين بقناطر حذيفة، تلقاه هارون بن المعتصم وأهل بيت المعتصم)...[1] .

على كل حال.. ما إن ولي الواثق الخلافة حتى بدأت شوكة الأتراك تقوى، وبدأ نفوذهم يزداد، وسلطانهم يتسع، وفيما يلي من صفحات نلقي الضوء حول مظاهر تزايد قوة الأتراك في عهد الواثق..

* * * * *

(١) انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ٥٢.

أولاً: مظاهر تزايد قوة الأتراك في عهد الواثق

* * *

أ - اتساع نفوذ أشناس:

من المعلوم أن أشناس التركي كانت له إمارة مصر من قبل الخليفة المعتصم منذ بداية خلافته[1] .

فلما تولى الواثق الخلافة، كان من أول أعماله أن أقر أشناس على ولايته لمصر[2] ، ولم يكتف بذلك، وإنما ضم إليه أعمالاً أخرى، فقد ولاه الواثق من بابه إلى آخر عمل المغرب[3] .

ويذكر اليعقوبي أن أول من عقد له الواثق من قواده هو أشناس التركي[4] . فلماذا؟

لعله من الأسباب التي جعلت الواثق يعقد لأشناس ويكرمه، بل يوليه من بابه إلى آخر عمل المغرب، مدى علاقة أشناس بالمعتصم[5] - والد الواثق - فقد كانت منزلة أشناس عند المعتصم عظيمة جداً، لدرجة أنه كان قد استخلفه على حاضرة الخلافة عندما كان يريد الخروج إلى السن[6] ، وذلك سنة ٢٢٥هـ[7] ، وهذا أعلى منزلة أشناس عند الواثق أيضاً.

هذا من ناحية، وهناك رأي آخر هو أنه وربما كان قرب أشناس من الواثق ومدى ما بينهما من ثقة جعل أشناس يتحيّن الفرص للوصول إلى أقصى نفوذ ممكن.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة - لابن تغري بردي ج٢ ص٢٢٩.

(٢) انظر المصدر السابق - ج٢ ص ٢٤٥.

(٣) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٢٠٤.

(٤) انظر المصدر السابق ج٣ ص ٢٠٥.

(٥) انظر النجوم الزاهرة - لابن تغري بردي ج٢ ص ٢٥٢.

(٦) السن: مدينة على نهر دجلة فوق تكريت.
انظر معجم البلدان - لياقوت - ج٣ ص ٢٦٨.
ولم نعثر فيما بين أيدينا من مصادر على ما يوضح لنا الظروف التي دعت المعتصم إلى الخروج لهذه المدينة.

(٧) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٠٢.

غير أن الأمرين السابقين ليسا إلا إحتمالين، أما حقيقة الأمر بدقة، فإن المصادر المتاحة لم تجب عنه، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن هذا الحدث – وهو استخلاف أشناس – كان يُعد شيئاً عادياً، حيث أنه لايمثل في واقع الأمر إلا امتداداً لسلطة ونفوذ أشناس فقط، تلك السلطة التي كانت موجودة بالفعل قبل ذلك.

ب – نفوذ إيتاخ:

ولي الواثق إيتاخ التركي خراسان والسند وكور دجلة، وهذا كله مع ولايته السابقة – منذ خلافة المعتصم – على اليمن[1] .

ولما اضطربت بلاد السند، وقتل بها عاملها عمران بن موسى بن يحيى بن خالد، وجّه إيتاخ إليها عنبسة بن إسحاق الضبي، فقدم البلد، وكان قد تغلب عليه عدة ملوك، فلما قدمها عنبسة سمع أكثرهم له وأطاعوا، وخرجوا إليه[2] .

ولعلنا نستطيع القول: إن الواثق أعطى إيتاخ التركي هذه الأعمال، ليتصرف فيها، فيولي عليها من يشاء، ويعزل من يشاء، غير أنه لم يكن في مقدور إيتاخ ولا الواثق – فيما أظن – أن يقوم بتغيير واحد كعبد الله بن طاهر، وإبعاده عن ولاية خراسان، وربما يرجع ذلك إلى مكانة عبد الله، أو لقوة شخصيته ومنعته داخل هذه البلاد، ومن الجدير بالذكر أنه قد تأسست في خراسان دولة الطاهريين، التي كانت تنضوي تحت لواء الخلافة العباسية عامة.

وإذا كان إيتاخ لم يتمكن من خراسان، فقد رأيناه تمكن من السند، وكذلك من اليمن، فقد أرسل من قبله إليها سنة ٢٢٩هـ رجلاً، ربما كان تركياً اسمه شيرباسبان[3] ، ولعل هذا يشير إلى تزايد نفوذ الأتراك الفعلي في إدارة البلاد.

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٢٠٥.

(٢) انظر المصدر السابق – نفس الجزء والصفحة.

(٣) انظر الكامل في التاريخ – لابن الأثير – ج٧ ص ١١.

والنجوم الزاهرة – لابن تغري بردي ج٢ ص ٢٥٦.

والخراج والنظم المالية – للدكتور ضياء الدين الريس ص ٤٨٩.

على كل حال.. لم يقف نفوذ إيتاخ عند حد ولايته لأعمال كثيرة في الجناح الشرقي والجنوبي من أرض الخلافة، بل تعداه إلى مناصب أخرى، فلقد كان إيتاخ رئيساً للشرطة، غير أنه لم يكن قائماً بأعمالها، وإنما كان نائبه عليها رجل يدعى يزيد الحلواني[1] .

ولم يكن منصب رئيس الشرطة هو آخر شيء بالنسبة لإيتاخ، فإنه كذلك كان حاجب الواثق[2] .

ويبدو أن منصب الحجابة كان منصباً عظيماً ومكانة الحاجب كانت كبيرة، فالحاجب هو الذي يُدخل إلى الخليفة من يرغب فيه، ويعتبر الحاجب موضع ثقة الخليفة، ومحط أسراره.

ولعل هذا ما جعل إيتاخ يتمسك بهذا المنصب رغم ما وصل إليه من سلطة ونفوذ.

على كل حال.. لم ينته عهد الواثق حتى كان لإيتاخ إمارة الجيش، والمغاربة، والأتراك، والموالي، والبريد، والحجابة، ودار الخلافة، واستمر كذلك حتى توفي الواثق، وخلفه المتوكل، فاقره على كل هذا[3] .

حبس كاتب إيتاخ

رُفع إلى الواثق أن كاتب إيتاخ[4] قد حاز أموالاً عظيمة فسخط عليه، وحبسه، ثم ردّه - بعد أن أدى بعض ما طلب منه - إلى كتابة إيتاخ، وكان ذلك أثناء سخط الواثق العام على جميع الكتّاب.

---

(١) انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ١٤٠.

والبداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص ٣١١.

(٢) انظر مختصر التاريخ - لابن الكازروني - ص ١٤٤.

(٣) انظر الطبري ج٩ ص ١٦٧.

(٤) ذكر اليعقوبي أن كاتب إيتاخ هو أحمد بن الخصيب (ج٣ ص ٢٠٦). على حين ذكر الطبري (ج٩ ص ١٢٨)، وابن الأثير في الكامل في التاريخ (ج٧ ص ١٠) وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (ج٢ ص ٢٥٦) أن كاتب إيتاخ هو سليمان بن وهب.

ويبدو أن أحمد [illegible] كان من كتاب الواثق، وليس كاتب إيتاخ.

وانظر موسوعة [illegible] الإسلامي لأستاذنا الدكتور أحمد شلبي - ج٣ ص ٢٠٠.

ولكننا نتساءل: هل كان إيتاخ يعلم بذلك؟ وإذا كان يعلم .. فما ردّه؟ وهل هذه الأموال كانت لإيتاخ؟ أم لكاتبه؟ وإذا كانت لإيتاخ، فما سبب أمر الواثق بحبس كاتب إيتاخ؟..

لم تفصح لنا المصادر المتاحة عن إجابات شافية لتلك الأسئلة، ولكن يمكننا أن نستنتج أن كاتب إيتاخ كان يجمع لنفسه أموالاً كثيرة، وأنه كان قريباً من الواثق، كما كان إيتاخ كذلك، فلما حدثت فتنة مصادرة أموال الكتّاب، كان على إيتاخ أن يبلغ الواثق ليصادر أموال كاتبه من بين الكتاب.

وربما سخط الواثق على الكتّاب جميعاً، فدخل من بينهم كاتب إيتاخ، ولعل الواثق أدرك أنه بذلك أغضب إيتاخ، فأخرج كاتبه من الحبس بعد أداء بعض المال، ويدل على ذلك أنه ردّه إلى عمله ككاتب لإيتاخ، ومن هنا يتضح مدى نفوذ إيتاخ.

جـ - من أشناس إلى إيتاخ

لقد سبق الحديث عن اتساع نفوذ أشناس، وكذلك عن إيتاخ والمناصب التي أسندت إليه، والآن: ماذا لو مات واحد من هؤلاء؟ إلى من تنتقل أعماله؟

توفي أشناس سنة ٢٣٠هـ، ولم نسمع أن الواثق تحيّر في أعمال أشناس، ومَنْ يقوم بها، وإنما ضمها إلى إيتاخ التركي، وجعله في مرتبة أشناس[1] .

وهنا نتساءل: هل كان يدرك الواثق مدى اتساع سلطة أشناس؟ بالطبع كان يدرك ذلك، لكنه ربما لم يشعر بخطورة ذلك الأمر، فأشناس لم يظهر منه ما يثير حوله الشكوك مثلما حدث من الأفشين في عهد المعتصم.

ولكن .. لماذا اختار الواثق إيتاخ التركي ليضم إليه أعمال أشناس؟

يبدو أن الواثق رأى أن الرجل الثاني بعد أشناس هو إيتاخ، وأنه أقدر الناس على متابعة أمور أشناس وأعماله، ولعل الواثق أراد أن يقوى علاقته بإيتاخ أو أن يرفع منزلته لبلائه في خدمته، فضم إليه هذه الأعمال تشريفاً وتكريماً، وربما - وإن كان هذا مستبعداً إلى حد ما - ألحّ

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٢٠٦.
والخراج والنظم المالية للدكتور ضياء الدين الريس ص ٤٨٩.

إيتاخ أو تحايل بطرق مباشرة أو غير مباشرة ليكون الوارث لأعمال صاحبه أشناس، ليكون بذلك صاحب النفوذ على المشرق والمغرب.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن إيتاخ التركي أقر عمال أشناس على ما هم عليه[١]، ويستشف من ذلك أن إيتاخ لم يكن كارهاً لأشناس، وربما كان يقصد إلى الوفاء لصديقه وهو ميت بأن يقر عماله على ما هم عليه.

وخلاصة القول: إن أعمال الدولة ومناصبها كانت تتنقل بين الأتراك، إذ لم يكن يوجد على الساحة من يساويهم كفاءة وقدرة وقرباً من الخليفة، والتفافاً حوله، وتفانياً في خدمته.

د - وصيف التركي:

لقد كان وصيف التركي من قواد الأتراك البارزين منذ عهد المعتصم، وكان له قدره عند الواثق كذلك.

وكان الواثق يعتمد عليه في الأمور الصعاب، ولقد كان وصيف حاجباً للخليفة الواثق، ومنصب الحجابة معروف أهميته[٢].

ولما ثار عدد كبير من الأكراد في نواحي أصبهان والجبال وفارس، أمر الواثق وصيفاً بالخروج لملاقاة هؤلاء المتمردين، وإخماد ثورتهم وكسر شوكتهم.

وبعد حروب ضارية، ومعارك عنيفة تمكن وصيف من السيطرة على هؤلاء الأكراد، وأحضر معه إلى سامراء نحواً من خمسمائة نفس، فيهم غلمان صغار، وكانوا جميعاً مقيدين بالأغلال[٣].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة - لابن تغري بردي - ج٢ ص ٢٥٥.

(٢) انظر مختصر التاريخ - لابن الكازروني ص ١٤٤.

(٣) انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ١٤٠.

والكامل في التاريخ لابن الأثير - ج٧ ص ٢٣، ٢٤.

والبداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص ٣٠٧.

والخراج والنظم المالية - للدكتور ضياء الدين الريس - ص ٤٨٩.

ولقد عرف الواثق مسل وصيف في إخماد هذه الفتنة، فأجازه على ذلك بخمسة وسبعين ألف دينار، وقلده سيفاً، وكساه[١] .

ويكفي أن نرى بعد ذلك وصيف التركي صاحب الرأي في تولية المتوكل الخلافة قبل دفن الواثق، وأن يكون رأي وصيف في محمد بن الواثق هو الذي يقلب أمر تولية الخلافة من محمد إلى المتوكل[٢] .

و - بـغا الكبير:

كانت شخصية بغا الكبير مرموقة في عهد المعتصم، فقد كان لبغا دور كبير بعد الأفشين في حرب بابك الخرمي، وكان المسئول عن إمداد جيش الأفشين بما يحتاجه من مؤن وعتاد.

وأما في عهد الواثق، فلم يكن دوره بأقل من ذلك، فإنه قاد حملة، واتجه بها نحو الحجاز.

كان بنو سُليم (من بطون قيس) قد عاثوا في طريق الحجاز، وقطعوا الطريق، حتى تخلف الناس عن الحج - وكان لبني سُليم قائد يدعى (عزيزة)، دعا لنفسه بالخلافة، واستطاع هو ومن معه أن يهزموا القائد الذي كان قد خرج في مواجهتهم من المدينة.

وإزاء هذا وجه الواثق بغا الكبير سنة ٢٣٠هـ إليهم ، وأمره أن يقاتل كل من وجده من الأعراب مشخصاً قبل أوان الحج، فجتمعت بطون قيس من كل ناحية، وكان أكثرهم من بني سُليم، وبعد قتال عنيف استطاع بغا أن يهزمهم ويحبس خلقاً عظيماً منهم في إحدى الدور بالمدينة، فنقبوا الدار التي كانوا فيها، وخرجوا، فوثب عليهم أهل المدينة فقتلوا عامتهم، وحمل بغا الباقين في الأغلال[٣] .

---

(١) انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ١٤١.
والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٧ ص ٢٤.

(٢) سيرد توضيح ذلك فيما بعد.

(٣) انظر تاريخ اليعقوبي - ج٣ ص ٢٠٥، ٢٠٦.
وتاريخ الطبري ج٩ ص ١٣٠ - ١٣٥.
والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٧ ص ١٢، ١٣، ١٩، ٢٠.
والبداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص [illegible]

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الواثق اختار بغا الكبير لكي يقوم بإقرار الأمن في بلاد الحجاز، وهذا يوضح مدى نفوذ الترك، فهم يسيطرون على جميع أقطار الخلافة، ويكفي أن يجعل الواثق أمن الحجاج وسلامتهم من قطاع الطرق في يد تركي من قواده.

ثم أصبح بغا على موسم الحج سنة ٢٣١هـ[1] ، وكأن ذلك مكافأة من الواثق له، ولاشك أن هذا من أنواع التشريف والتكريم.

وما أن انتهت فتنة بني سُليم حتى اندلعت فتنة أخرى في اليمامة كان أصحابها هم بنو نمير هذه المرة، فأنفذ الخليفة الواثق إليهم بغا الكبير بعد أن قضى على فتنة بني سُليم بالحجاز.

وبعد معارك قاسية ارتد خلالها جيش بغا مرتين انتصر بغا في النهاية، وساق كثيراً من الأسرى إلى سامراء[2] .

ونلاحظ من خلال ما سبق أن ثورتي بني سُليم وبني نُمير ثورتان عربيتان، وكأنها محاولة يقصد من ورائها الانتصار للعنصر العربي على العنصر التركي الذي سيطر على البلاد، وأصبحت له السلطة والنفوذ.

ولعل مما يؤكد هذا أن (عزيزة)، هذا الرجل الذي كان من بني سُليم، قد دعا الناس ليسلموا عليه بالخلافة، كأنه يريدها خلافة عربية لا تركية، ولعل هذا الذي فعله عزيزة بمثابة الاعتراض على الخليفة الذي اتخذ الأتراك لحماية دولته، وأعلى منزلتهم وأسقط من شأن العرب.

كما يمكننا ملاحظة أن ثورة بني سُليم - في الغالب - لم يكن هدفها السلب والنهب وقطع الطريق، وإنما هو إحداث اضطراب ما في الدولة، كصورة لإعلان السخط على الخليفة الذي رفع الأتراك عليهم، إلا أنهم اتخذوا طريق الحجاج وسيلة لنشر أهدافهم، ففشلت محاولتهم.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٤٠.

(٢) انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ١٤٦ - ١٥٠.

والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٧ ص ٢٧ - ٢٩.

والنجوم الزاهرة - لابن تغري بردي - ص ٢ ص ٢٦٢.

ز - خاقان الخادم:

اشتهرت هذه الشخصية منذ عهد الرشيد، فلقد كان خاقان خادماً للرشيد، وكان صاحب منزل في طوس دُفن فيه الرشيد(١) .

ويبدو أن خاقان الخادم استقر بطوس وعاش بها، ولعل هذا مما جعل اسمه لايذكر بعد وفاة الرشيد إلا في عهد الخليفة الواثق(٢) ، فإنه قدم عليه، فأكرمه، وشرّفه بأن أوكل إليه أمر تبادل الأسرى الذي حدث بين المسلمين والروم(٣) في عهده.

وإذا كانت المصادر المتاحة لم تفصح عن وظيفة خاقان الخادم، غير أنه فيما يبدو أن كلمة خادم ليست اسماً وإنما هي لقب أطلق عليه ليدل على ما كان يقوم به خاقان من أعمال، ويكفى أن يُدفن الرشيد في داره ليدل ذلك على مدى مكانته عند الرشيد، ولعله كان ذا عمل ما إلا أنه بقي في طوس منذ وفاة الرشيد، ولعل الخلفاء الذين جاءوا بعد الرشيد قد جعلوا خاقان على حاله في طوس، ولذلك لما جاء إلى حاضرة الخلافة، كان تكريم الواثق له بإعطائه أمراً بالقيام بعملية تبادل الأسرى.

ح - سيما الشرابي وسيما الدمشقي:

بعد أن امتحن الواثق أحمد بن نصر الخزاعي في خلق القرآن، وقف فضربه ضربة وقعت على حبل العاتق، وكان قد أمر ألا يمشي خلفه أحد، لأنه يحتسب خطاه إليه، لكنه بعد هذه الضربة ضربه أخرى على رأسه، فجاء سيما الدمشقي وقد انتضى سيفه فضرب عنقه وحزّ رأسه، ولم يكتف سيما الشرابي بما فعله الدمشقي، بل أخذ يضربه هو الآخر بسيفه(٤) .

---

(١) سبق ذكر ذلك.

(٢) لعل السبب في ذلك يرجع إلى أن خاقان الخادم كان يعيش بطوس، وكان تركيز المؤرخين على ما يتصل بحاضرة الخلافة أو بالخلفاء من أشخاص أو أحداث.

(٣) انظر تاريخ اليعقوبي - ج٣ ص ٢٠٧.

وتاريخ الطبري - ج٩ ص ١٣٢، ١٤١ - ١٤٥.

والبداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص ٣٠٢.

(٤) انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ١٣٨.

والبداية والنهاية - لابن كثير - ج ١٠ ص ٣٠٥.

وبصرف النظر عن دوافع قتل أحمد بن نصر - أهي صحيحة أم لا؟ فإن هذا ليس مجال حديثنا، وإنما يهمنا هنا أن ننظر إلى فعل كل من الرجلين التركيين، وما يستشف منه.

إن موقف سيما الشرابي وسيما الدمشقي ليدل على أن الأتراك كان لهم وجود حتى في مجلس القضاء، ولكن كان وجودهم ليس لمناظرة المتهمين، وإنما لتنفيذ أحكام الخليفة فوراً، وربما حماية للخليفة، فمن المحتمل أن يكون هذان الرجلان من بين الحرس الخاص للواثق، كما يحتمل أن يكونا من منفذي الأحكام أو ما نسميهم بالسيّافين..

* * * * *

وخلاصة القول:

إن الأتراك قد ظهر نفوذهم في عهد المعتصم، وتزايد في أخريات حياته، فلما تولى الواثق تزايد نفوذ الأتراك أكثر ووصل إلى حد أن يكونوا:

أولاً: أصحاب السلطة الحقيقية على أعمال الخلافة شرقاً وغرباً، فقد تولى إمارة الجناح الغربي من أرض الخلافة أشناس التركي، كما تولى إمارة الجناح الشرقي والجنوب الشرقي من أرض الخلافة إيتاخ التركي.

وثانياً: أصحاب المناصب المهمة بالنسبة للخليفة، كمنصب رئيس الشرطة أو الحجابة، كما كان إيتاخ ووصيف.

وثالثاً: المسئولين عن إخماد الفتن والثورات الداخلية، فقد رأينا وصيف مع الأكراد، وكيف أخمد ثورتهم، وبغا الكبير مع بني سليم، وبني نمير في الحجاز واليمامة.

ورابعاً: وراثاً لأعمالهم فيما بينهم، فإنه ما إن توفى أشناس حتى تولى أعماله إيتاخ التركي.

وخامساً: موجودين في مجلس قضاء الخليفة.

ومن خلال ما سبق يتبين أن الأتراك قد تزايد نفوذهم واتسع سلطانهم لدرجة كبيرة، وهذا مؤشر طبيعي لما سيقومون به من أعمال في العصر العباسي الثاني.

ثانياً: مظاهر تكريم الواثق للأتراك

* * *

لم ينشأ نفوذ الأتراك من ارتيادهم للمناصب العليا داخل الدولة، ولا من توليهم لأعمال الخلافة فحسب، بل كان يزيد من هذا النفوذ ويقويه تكريم الخليفة لهم، وقد يظهر الدافع أحياناً، وقد يبدو غامضاً أحياناً أخرى.

وقد تمثل هذا التكريم في مستويين: أحدهما: سياسي، والآخر: مادي، وفيما يلي نعرض لجوانب من هذا التكريم على المستويين السابقين:

ا - على المستوى السياسي:

أ - أشناس ولقب السلطان:

ذكر ابن تغري بردي وتبعه السيوطي أن الواثق استخلف على السلطنة أشناس التركي، وألبسه وشاحين مجوهرين، وتاجاً مجوهراً، وذلك سنة ٢٢٨هـ[١] .

وعلق السيوطي على ذلك بقوله: (وأظن أنه – يعني الواثق – أول خليفة استخلف سلطاناً – يعني أشناس التركي – فإن الأتراك إنما كثروا في أيام أبيه – يعني المعتصم –)[٢] .

وذكر صاحب أزمنة التاريخ الإسلامي أن أول من لُقِّب بلقب السلطان هو أشناس التركي[٣] .

---

(١) انظر النجوم الزاهرة – لابن تغري بردي – ج١ ص ٢٥٢.

وتاريخ الخلفاء – للسيوطي – ص ٣٤٠.

ونقد ذكر اليعقوبي في تاريخه (ج٣ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥) وكذلك الطبري في تاريخه (ج٩ ص ١٢٤) وابن الأثير في الكامل (ج٧ ص ٩) ذكروا جميعاً خبر تتويج أشناس دون الإشارة إلى لقب السلطان الذي ذكره ابن تغري بردي والسيوطي.

(٢) انظر تاريخ الخلفاء – للسيوطي ص ٣٤٠.

(٣) انظر أزمنة التاريخ الإسلامي – للدكتور عبد السلام الترمانيني – مراجعة وتحقيق الدكتورين شاكر مصطفى، وأحمد مختار الصاوي – ط. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – ج١ مجلد ٢ ص ٥٢٩.

ولعلنا نتساءل: ما المقصود بقول السيوطي: (استخلف على السلطنة)؟ هل يقصد بذلك خلع لقب السلطان على أشناس - كما فهم الترمانيني[١] ؟ أم أن كلمة (السلطنة) تعني الدولة أو الخلافة؟ أم يقصد بكلمة سلطنة: حاضرة الخلافة؟

إن الظاهر من كلام ابن تغري بردي والسيوطي هو أن الواثق قد استخلف أشناس على السلطنة بمعنى حاضرة الخلافة، وذلك له ما يؤيده من أحداث سابقة في عهد المعتصم، فالمعتصم قد استخلف أشناس على حاضرة الخلافة عندما أراد الخروج إلى منطقة تدعى (السن) وذلك سنة ٢٢٥هـ[٢] .

ويمكن استنتاج أن الواثق لما أراد استخلاف أشناس خلع عليه لقب السلطان، وكان بذلك أول من استعمل هذا اللقب في الدولة الإسلامية .

لكننا نستبعد أن يكون الواثق قد استخلف أشناس على أرض الخلافة كلها - إذا سلّمنا بأن معنى السلطنة الخلافة أو الدولة - لأن هذا يصبح ضرباً من العبث، إذ لايعقل أن يعطى الواثق أشناس جزءاً من أرض الخلافة ليكون والياً عليها، ثم يستخلفه سلطاناً على الخلافة كلها، أو حتى يجعله سلطاناً على الأعمال التي أعطاه إياها الخليفة، لأنه إذا أخذ لقب السلطان على إمارته، فليس من المنطق أن يترك إيتاخ بدون هذا اللقب، وبخاصة أن إمارة إيتاخ تعادل إلى حد ما إمارة أشناس.

ب - بغا الكبير وموسم الحج:

وإذا كان من مظاهر التكريم للأتراك خلع لقب السلطان على واحد منهم فإن من مظاهره أيضاً إعطاء إمارة الحج لواحد منهم أيضاً.

---

(١) انظر المرجع السابق - نفس الجزء والصفحة.

(٢) انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ١٤٠.

وكما أغفلت المصادر الأسباب التي دفعت المعتصم إلى الخروج إلى منطقة (السن) فقد أغفلت كذلك الظروف التي جعلت الواثق يستخلف أشناس، غير أنه ليس أمامنا إلا احتمالان:

الأول: أن يكون الواثق قد عزم على الخروج إلى مكان ما مثل المعتصم.

الثاني: أن يكون الواثق قد أعطى أشناس لقب السلطان على الخافة من باب التكريم له.

فقد جعل الواثق أمير الحج سنة ٢٣١هـ بغا الكبير(١) ، وكان هذا تكريماً له لما قدم من بلاء في تأمين طرق الحج في العام الذي قبله، والضرب على أيدى المتمردين من بني سُليم، كما سبق القول.

٢- على المستوى المادي:

أ - تتويج أشناس:

توّج الواثق أشناس التركي بتاج من الجوهر، ثم ألبسه وشاحين مرصعين بالجوهر، وذلك في رمضان سنة ٢٢٨هـ(٢) .

والملاحظ أن هذا التكريم كان في بدايات عهد الواثق، وأن اليعقوبي والطبري وابن الأثير لم يذكروا شيئاً عن دوافع وأسباب هذا التتويج والتكريم، وهذا يجعلنا نضع عدة احتمالات لذلك:

أما الاحتمال الأول: فقد يكون الواثق توّج أشناس جزاء لما قدمه من خدمات للخليفة أو للخلافة.

والاحتمال الثاني: أن يكون هذا التتويج إظهاراً لما أنعم به الواثق على أشناس عندما عقد له على الشام ومصر والمغرب، واعتبر ذلك بمثابة الإظهار لذلك، أو كوسام شرف.

والاحتمال الثالث: أن يكون التتويج بمناسبة استخلاف أشناس على السلطنة - كما سبقت الإشارة - وهذا أكبر الإحتمالات وقوعاً.

والاحتمال الرابع: أن يكون تتويج أشناس علامة على تلقيبه لقب السلطان.

---

(١) انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ١٤٠.

(٢) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٢٠٤، ٢٠٥.

وتاريخ الطبري - ج٩ ص ١٢٤.

والكامل في التاريخ لابن الأثير - ج[illegible] ص ٩.

وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ج١٠ ص ٣١٢.

والبداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص ٢٩٩.

ب - تكريم أشناس بعد وفاته:

يبدو أن أشناس كان مستحوذاً على قلب الواثق، وهذا يشير إلى أنه ربما كانت هناك علاقة وثيقة جداً به خاصة، إذ لم يكتف الواثق بتكريمه في حياته، بل كرّمه بعد وفاته بأن جعل ضياعه وأمواله كلها لولده من بعده سنة ٢٣٠هـ(١) .

جـ - جائزة وصيف بعد هزيمته للأكراد:

ما إن هزم وصيف الأكراد الذين ثاروا في نواحي أصبهان والجبال وفارس، وعاد بأعداد هائلة منهم مكبلين في الأغلال، حتى أجازه الواثق بخمسة وسبعين ألف دينار، وقلده سيفاً، وكساه(٢) .

* * * * *

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٢٠٦.

(٢) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٤٠، ١٤١.

والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٧ ص ٢٣، ٢٤.

ثالثاً: الأتراك والسياسة المالية حتى نهاية عهد الواثق

* * *

لاشك أن موارد الدولة من خراج وزكاة وفيء، وغيرها، كانت أمراً بالغ الأهمية، وكان الخلفاء يولونها الاهتمام البالغ، لأنه بناء على هذه الموارد ستحدد المصارف، ولقد طلب الرشيد من أبي يوسف – صاحب أبي حنيفة – أن يكتب له كتاباً في الخراج يوضح فيه طريقة جبايته، وقيمته، وما يتعلق بذلك، وكان ذلك حرصاً من الرشيد على عدم ظلم الرعية.

ولقد أورد ابن خلدون بياناً مفصلاً بجباية الخراج في عهد المأمون(١) ، وأورد قدامة بن جعفر بياناً بجباية الخراج في عهد المعتصم(٢) ، وقد ناقش ذلك تفصيلاً الدكتور ضياء الدين الريس في كتابه الخراج والنظم المالية.

ولعلنا نلاحظ أن جباية الخراج في عهد المأمون كانت ٠٠٠ر١٢٥ر٣٩٦ درهماً، أما في عهد المعتصم فكانت ٣٥٠ر٢٩١ر٣٨٨ درهماً(٣) ، أي بنقص قدره ٦٥٠، ٨٣٣، ٧ درهماً. فما سر هذا التناقص؟ هل كان للأتراك دخل في هذا؟ هذا ما يكون من الصعب تحديده، غير أنه من بين الاحتمالات المكنة..

أما عن نفقات الدولة، فلا شك أن وجود الأتراك أنهك مالية الدولة ويمكن أن نعرض لبعض أوجه النفقات التي استجدت في عهد المعتصم، باعتبار أن عهده شهد قدوم الأتراك بأعداد هائلة:

أ- بذل المعتصم في سبيل استقدام الأتراك الأموال الطائلة(٤) .

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون – ص ١٥٦ – ١٥٨.

(٢) انظر كتاب الخراج – لقدامة بن جعفر – ص ٢٤٩ – ٢٥١.

(٣) انظر تاريخ الإسلام السياسي – د. حسن إبراهيم – ج٢ ص ٨٣، وما بعدها.

(٤) انظر تاريخا لخلفاء – للسيوطي – ص ٢٣٥.

ب- لما جاء الأتراك إلى حاضرة الخلافة، قام المعتصم بتمييزهم عن باقي الجنود، فألبسهم الديباج والمناطق الذهبية، وهذا كلف الدولة المال الكثير[١] .

جـ- ولما ضاقت بغداد بالجنود وكثرت الشكوى، شرع المعتصم في بناء مدينة جديدة كلفته الكثير[٢] .

د - وفي الحرب كان المعتصم ينفق الكثير والكثير، ولقد أنفق في حرب بابك أموالاً طائلة، وكان من بينها مكافآت كبيرة قدمها المعتصم لقائده الأفشين الذي قبض على بابك وجاء به إلى سامراء[٣] .

هـ - والجنود الذين جاءوا لينضموا إلى ديوان الجند، وقد بلغوا الآلاف كان لابد لهم من رواتب، فكان ذلك عبئاً جديداً على ميزانية الدولة.

و - كما أنفق المعتصم الكثير على الأتراك وهو يقوم بتكريمهم، فتتويج الأفشين، وتتويج أشناس كان على نفقة الدولة، وزواج الحسن بن الأفشين من أترجة بنت أشناس كان أيضاً على نفقة الدولة، وغير ذلك[٤] .

ز - ولم تكن نفقات الواثق على الأتراك بأقل من نفقات والده عليهم.

ولعل المعتصم قد أحس بأن وجود الأتراك فيه إنهاك لمالية الدولة، فأراد أن يواجه هذا الموقف، فقام بإسقاط العرب من الديوان، وقطع العطاء عنهم، وهو بهذا يكون قد حقق غرضه السياسي من إبعاد العرب عن مسرح الأحداث، والتخفيف من أعباء الدولة المالية.

---

(١) انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ١٠، ١١.
ومروج الذهب - للمسعودي - ج٢ ص ٤٦٥.
وتاريخ الخلفاء - للسيوطي - ص ٣٣٦.
(٢) انظر الفصل الثالث من الباب الثالث بعنوان (بناء سامراء ... دوافعه ونتائجه).
والخراج والنظم المالية - د. ضياء الدين الريس - ص ٤٨٨.
(٣) و(٤) انظر الفصل الثاني من الباب الثالث حول (مظاهر اهتمام المعتصم بالأتراك).

ولكن الواثق، الذي كان امتداداً لأبيه، ربما رأى طريقة أخرى يرفع بها الحرج عن ميزانية الدولة ومواردها، فاستخدم أسلوب المصادرات، ولكنها طريقة لاتخلو من شيء من الظلم[١] ، فنحن لانقنع بأن يكون قرار الواثق بمصادرة أموال الكتاب ناشئاً من سماعه لهذه الجملة: (إنما العاجز من لايستبد)[٢] ولكن ربما أثارت هذه الجملة نفسه فجعلته يعجل بما كان قد فكر فيه كطريقة لإنقاذ ميزانية الدولة.

* * * * *

(١) انظر العباسيون في التاريخ - د. على حبيبة - ص ١٤٩.
(٢) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٢٨.
والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٧ ص ١٠.
والنجوم الزاهرة - لابن تغري بردي ج٢ ص ٢٥٦.
وموسوعة التاريخ الإسلامي - لأستاذنا الدكتور أحمد شلبي - ج٣ ص ٢٠٠.

رابعاً: تدخل الأتراك في تولية الخليفة الجديد
قبل دفن الواثق

* * *

عندما مرض الواثق مرض الموت سأله من حوله أن يولي العهد من يراه صالحاً لذلك الأمر، لكنه – ولأول مرة في تاريخ بني العباس – رفض ذلك بقوله: لاأتحمل أمركم حياً وميتاً.

ولعل الواثق لم يجد الكفاءة المناسبة لتقلد هذا المنصب الخطير، فولده صغير، وعلاقته بأخيه جعفر كانت غير طيبة، فأبعد نفسه عن التدخل في هذا الأمر.

ولعله أدرك أن الأتراك ألقدر الناس على المرور من هذه الأزمة بسلام، وبإمكانهم أن يختاروا المناسب للخلافة، فهم أصحاب نفوذ وسلطة حقيقيين.

على كل حال.. ترك الواثق الخلافة دون خليفة، ولم يول بعده أحداً، فهل ترتب على ذلك السلوك شيء؟

نعم، بالطبع، فقد ظهرت – ولأول مرة – قوة الأتراك في أعلى مستوى لها، فوصل نفوذهم إلى منصب الخليفة، فكيف كان ذلك؟

توفي الواثق، وحضر إلى دار الخلافة: أحمد بن أبي داود، وإيتاخ التركي، ووصيف التركي، وعمر بن فرج التركي، ومحمد بن عبد الملك الزيات، وأحمد بن خالد أبو الوزير، فكان هؤلاء جميعاً هم مجلس الشورى الذي أخذ يفكر في تولية الخليفة الجديد، وكان الواثق ما زال مسجى في ثيابه لما يدفن بعد[1] .

اتفق الجميع على أن يجعلوا الخليفة هو محمد بن الواثق، فجاءوا به، فأجلسوه على كرسي الخلافة، وألبسوه درّاعة سوداء، وقلنسوة رصافية، فنظر إليه وصيف التركي، وكان محمد أمرد،

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٥٤، ١٥٥.
والكامل في التاريخ – لابن الأثير – ج٧ ص ٣٣، ٣٤.

قصيراً، فصاح وصيف قائلاً:

(أما تتقون الله !! تولون مثل هذا الخلافة، وهو لا يجوز معه الصلاة؟!)[١] .

وهنا نقف وقفة تأمل لنلاحظ ما يلي:

أولاً: لقد بلغ من نفوذ الأتراك أن أصبحوا في المجلس الأعلى - إن صحت التسمية - الذي يبحث في أمر خلافة المسلمين، ومَنْ يليها من بني العباس، ثم لايقف الأمر عند هذا الحد، بل يقدم أحد الأتراك - وهو وصيف - رأيه بوضوح في الخليفة الذي عزم الجميع على مبايعته، ويعضد هذا الرأي بالدليل الفقهي ، ويقوله في صورة استنكار لما يفعله هؤلاء من تقديم غلام لاتصح خلفه الصلاة، أو بمعنى آخر لاتصح إمامته للصلاة، فكيف تصح إمامته للمسلمين جميعاً، ويكون خليفة لهم؟![٢] .

وثانياً : يستشف من قول وصيف السابق مدى ما كان عليه الأتراك من ثقافة دينية، وكيف كان لهذه الثقافة أثرها في سلوكهم السياسي داخل الدولة. كما يدل رأي وصيف السابق - كذلك - على مدى مكانة الأتراك ومشاركتهم في أهم الأمور، بل والالتزام في النهاية برأيهم.

وثالثاً: يتضح من الأسماء التي حضرت مجلس الشورى الذي كان يبحث مسألة تولية الخليفة الجديد أن عدد الأتراك نصف عدد المجلس، وهذا يؤكد وبوضوح مدى نفوذ الأتراك.

---

(١) انظر المصدرين السابقين - نفس المواضع.

وقد ذكر ابن الكازروني في تاريخه (ص ١٤٥) أن هذه المقولة كانت على لسان أحمد بن أبي دواد، وليس على لسان وصيف التركي، وليس في كلامه: (وهو لايجوز معه الصلاة). ويبدو أن ذلك مجانب للصواب، لأن ابن الكازروني متأخر عن الطبري وابن الأثير.

(٢) يقول أستاذنا الدكتور أحمد شلبي في موسوعته (ج٣ ص ١٩٨):

(لقد أصبح وصيف من القوة بحيث يستطيع أن يرفع إلى العرش الرجل الذي يرتضيه، وبخاصة أن الواثق لم يختر أحداً لولاية عهده، وقد نصب وصيف باديء الأمر محمد بن الواثق خليفة على المسلمين، وكان لايزال دون سن الرشد، ولكنه سرعان ما استبدل به عمه جعفر المتوكل على الله).

والآن ... لنا أن نتساءل:

إذا كان الأتراك قد بلغ نفوذهم ما بلغ، فلماذا لم يستولوا على الخلافة، ويأخذ أحدهم منصب الخلافة لتصبح بعد ذلك في جنسهم؟

يبدو أن الأتراك لم يكونوا قد تخلصوا من فكرة (الحق الإلهي) التي كانت في الديانات الفارسية القديمة، والتي ربما رسخها العباسيون في أذهانهم، بحيث يصبح منصب الخلافة منصباً دينياً لايجوز لغير بني العباس ارتياده.

ثم.. لعل الأطماع الشخصية بين الأتراك، كانت ستؤدى إلى فتن كثيرة إذا حاول أحدهم أن يصل إلى مرتبة الخليفة.

وربما خاف الأتراك من تولية أحدهم منصب الخلافة حتى لايثيروا عليهم الرأي العام، وبخاصة أنه ظهرت في هذه الآونة أحاديث تشير إلى أحقية بني العباس بالخلافة[١] .

وبصرف النظر عن مدى وثاقة هذه الأحاديث، إلا أنها على كل حال كان لها أثر كبير على الرأي العام وقتئذ.

* * * * *

(١) جمع الإمام السيوطي الأحاديث التي تشير إلى أحقية بني العباس في الخلافة في كتاب أسماه (الأساس في مناقب بني العباس) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية.
كما أشار السيوطي إلى بعض هذه الأحاديث في مقدمة كتابه (تاريخ الخلفاء).

الأتراك حول الخليفة الجديد:

بعد كلمة وصيف الصارخة في وجه المجلس الذي أجلس محمد بن الواثق على كرسي الخلافة، تراجع الجميع عن مبايعة محمد بن الواثق، واستقر الرأي على اختيار جعفر بن المعتصم (المتوكل).

فمن سيبلغ الخبر للمتوكل؟

يسرع بغا الشرابي للمتوكل ليبلغه الخبر، ويطلب منه الحضور إلى دار الخلافة، ليتم توليته الخلافة[1] .

وأين كان المتوكل؟

وجد بغا الشرابي المتوكل قاعداً مع أبناء الأتراك في قميص وسروال[2] فكأنها جلسة تسامر.

فالمتوكل مع الأتراك يحيطون به، والذي أبلغه الخبر تركي، والذي أشار باختياره تركي، فهم يحيطون بالخلافة والخليفة، ولهم السلطان والنفوذ في كل مكان من أرض الخلافة.

وأخيراً: دفن الواثق بعد أن تولى المتوكل الخلافة، وكان السبب في ذلك هم الأتراك.

وإذا سرنا مع الأحداث قليلاً بعد دفن الواثق وتولية المتوكل الخلافة نجد أن أول عمل قام به الخليفة الجديد هو الأمر برزق أربعة أشهر للأتراك[2] .

ونقف هنا لنصل إلى نهاية المطاف بالنسبة لتزايد النفوذ التركي، فإنهم في عهد المتوكل قد أطلقوا أيديهم في كل شيء، حتى وصل الأمر بهم إلى تدبير قتل الخليفة الذي كانوا سبباً في مجيئه إلى كرسي الخلافة، وقاموا بتولية ابنه، ثم توالت الأحداث في عصر سماه المؤرخون عصر نفوذ الأتراك، وهذا ليس مجال بحثنا.

* * * * *

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٥٤.

(٢) انظر المصدر السابق – نفس الموضع.

الفصل الثاني

مراحل تطور نفوذ الأتراك

في الجيش في العصر العباسي الأول

موضوعات الفصل

* مقدمة: وجود الأتراك في الجيش منذ عهد بني أمية.
* الأتراك في الجيش قبل المأمون:

عناصر الجيش قبل المأمون (الحربية: وهم من العرب، والمشاة: وهم من الفرس).

التحاق الأتراك بالجيش (مجموعة صغيرة في عهدي المنصور والمهدي - الفضل البرمكي والترك).

* الأتراك في جيش المأمون:

- موقف المأمون من العرب.
- موقف المأمون من الفرس.
- إعجاب المأمون بالأتراك في خراسان قبل تولية الخلافة وبعدها.
- انضمام الأتراك للمأمون أثناء الفتنة بينه وبين أخيه.
- قواد أتراك في جيش المأمون.
- آلاف الأتراك في جيش المأمون (غلمان المعتصم).

* الأتراك في جيش المعتصم:

- محاولة تكوين جيش خالص من الأتراك.
- الأفشين - دراسة موضوعية.
- تطور نظام الجيش في عهد المعتصم.

* القيادات التركية في جيش الواثق.
* خلاصة.

الفصل الثاني

مراحل تطور نفوذ الأتراك في الجيش في العصر العباسي الأول

* * *

مقدمة:

ظهر الأتراك في الجيش الإسلامي منذ عهد معاوية بن أبي سفيان، أول خلفاء بني أمية، وكان ذلك على يد عبيد الله بن زياد الذي غزا الترك ورجع إلى البصرة بخلق من أهل بخارى، ومن خيرة رماة الأتراك، وضمهم إلى جيشه، وفرض لهم في الديوان، وكان عددهم ألفين(١) .

ولعل هذا كان أول استخدام للأتراك في الجيش الإسلامي(٢) ، حيث لم يكن قبل ذلك إلا صدام مسلح، وغزو لبعض بلاد الترك(٣) .

وفي أواخر عهد الأمويين انضم عدد من الأتراك إلى الحارث بن سريج، الذي كان خارجاً على الخلافة وقتئذ، وقد حاول نصر بن سيار أن يستفيد بالحارث وبمن حوله، فلم يتمكن من ذلك(٤) .

على كل حال.. كانت البدايات الأولى للأتراك في الجيش الأموي، لكنها كانت غير واضحة بالنسبة للجيش كله، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن هؤلاء الأتراك لم تكن لهم عصبية تحميهم وتظهر من شأنهم، ولم يكونوا سوى مجموعة من المرتزقة يتكسبون بعملهم كرماة أو غير ذلك داخل الجيش الأموي، وفي المقابل كان للعرب السيطرة الكاملة على الجيش، لدرجة أن بعض الباحثين يحلو له أن يسمى الخلافة الأموية بالدولة العربية.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج٥ ص ١٩٨.

وفتوح البلدان - للبلاذري ص ٤١٠.

(٢) انظر الفصل الثاني من الباب الأول، ما جاء بعنوان: (أول من استخدم الترك).

(٣) انظر الفصل الثاني من الباب الأول، ماجاء بعنوان: (أول لقاء حربي بين المسلمين والترك).

(٤) انظر الفصل الثاني من الباب الأول، ما جاء بعنوان (الحارث بن سريج) وحتى نهاية الفصل.

الأتراك في الجيش قبل المأمون

* * *

أ - عناصر الجيش العباسي قبل المأمون:

في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل كان هناك عدد هائل من الجند الذين يكونون الجيش النظامي للدولة، وكانت رواتبهم تدفع لهم بانتظام، وكان بجانب الجند النظاميين طائفة أخرى من الجند المتطوعة، وهؤلاء كانوا من البدو، وطبقة الزراع، وسكان المدن، الذين اشتركوا في الحروب، ومدفوعين بعوامل دينية أو مادية(١) .

وكان أبرز عناصر الجيش العباسي عنصرين من جنسين مختلفين، أما العنصر الأول فهم (الحربية)، وهؤلاء هم الفرسان الذين كانوا يتسلحون بالرماح، وهم من جند العرب، وأما العنصر الثاني فهم (المشاة) وهؤلاء كانوا من الفرس، ولاسيما الخراسانيين(٢) .

ب- التحاق الأتراك بالجيش:

وعلى الرغم من أن جُلّ جنود العباسيين كانوا من الفرس والعرب، فإنه مما لاشك فيه كان هناك عدد من الأتراك في الجيش، لكنهم كانوا قلة لاتذكر بالنسبة لمجموعة الجنود الآخرين، ثم دعت الحاجة إلى إدخال أعداد أخرى منهم ضمن الديوان أي ضمن الجيش النظامي، فالتحق عدد منهم في جيش المنصور، والمهدي من بعده، إلا أنهم كانوا قلة كذلك(٣) .

وفي عهد الرشيد تولى الفضل بن يحيى البرمكي ولاية خراسان، فذهب إليها، واتخذ بها جيشاً من أبناء ما وراء النهر من الأتراك، وكان هؤلاء الجنود يعرفون في بغداد بالكرمينية(٤) .

---

(١) انظر تاريخ الإسلام السياسي - د. حسن إبراهيم ج٢ ص ٢٧٤.
(٢) انظر المرجع السابق - نفس الجزء والصفحة.
(٣) انظر تاريخ التمدن الإسلامي لجورجي زيدان - ج٤ ص ١٧٧.
(٤) انظر البداية والنهاية - لابن كثير - ج١٠ ص ١٧٢.

ويبدو أن هؤلاء الذين اتخذهم الفضل البرمكي جنداً في جيش الرشيد دخلوا في الديوان، وأصبحوا ضمن الجيش النظامي.

ومما يؤكد وجود الأتراك في الجيش ما ذكره الجاحظ من أن قاتل الوليد بن طريف الذي كان يحاربه يزيد بن مريد هو يوليا التركي[١] . كما أن يزيد بن مريد - الذي كان من أبرز قواد الرشيد قد وصفهم وصفاً يدل على خبرته بهم في الحروب[٢] .

* * * * *

(١) انظر البداية والنهاية - لابن كثير ج١٠ ص ١٧٢.
(٢) انظر رسائل الجاحظ - ج١ ص ٥٨، ٥٩.

الأتـــراك في جيـــش المأمـــون

* * *

أ - موقف المأمون من العرب:

لم يكن للعرب أهمية كبرى لدى المأمون، ولذلك كان أغلب جيشه من الفرس ثم من الترك بعد ذلك، ولعل سبب فقد المأمون الثقة في العرب يوضحه الحوار التالي الذي دار بين رجل من أهل الشام والمأمون:

قال العربي: ياأمير المؤمنين .. انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم أهل خراسان!!

فقال المأمون: أكثرت عليّ ياأخا أهل الشام.. ثم قال:

والله ما أنزلت قيساً عن ظهور الخيل إلا وأنا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد.

وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتني قط.

وأما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني وخروجه فتكون من أشياعه.

وأمـا ربيعـة فسـاخطة على الله منذ بعث نبيـه من مضـر، ولم يخـرج اثنان إلا خـرج أحدهما شارياً.

ثم قال للعربي: اعزب فعل الله بك!!(١) .

ب - موقف المأمون من الفرس:

بدأ المأمون خلافته وهو بين ظهراني أخواله الفرس، وكان مدبر أمره الفضل بن سهل، الفارسي الأصل، وكانت ثقة المأمون بالفرس كبيرة، حتى ظهرت له خيانة وزيره ومدبر أمره قبل توليه الخلافة وبعدها (الفضل بن سهل) فكان ذلك مقدمة لفقد الثقة في الفرس(٢) .

---

(١) انظر تاريخ الطبري - ج٨ ص ٦٥٢.

(٢) انظر الفصل الثاني من الباب الثاني.

جـ - إعجاب المأمون بالأتراك في خراسان قبل توليه الخلافة وبعدها:

لقد أعجب المأمون بالأتراك وهو في خراسان، ويرتبط بهذا ما يروى من أنه كان يريد اللحاق بخاقان الترك فرقاً من أخيه الأمين، وليجعل الأتراك حماته من أخيه(١) .

كما أعجب المأمون بالأتراك بعد توليه الخلافة وبقائه حتى سنة ٢٠٤هـ في خراسان، فقد خبرهم، ثم إنه اعتمد على بعضهم في شئون مختلفة، فجعل منهم في حرسه الخاص، ورقى أحدهم لمنصب رئيس الستر (الحرس)، وأدخل بعضهم في الشرطة وفي الجيش وغير ذلك(٢) .

د - انضمام الأتراك للمأمون أثناء الفتنة بينه وبين الأمين:

لقد سبق الحديث في الفصل الثاني من الباب الثاني عن رافع بن الليث، الذي تحصن بسمرقند، وكان معه عدد كبير من الأتراك، وكان مناهضاً للخلافة، وأنه لما سمع بالمأمون وحسن سيرته طلب الأمان، ثم انضم للمأمون بمن معه من الجنود، ليكونوا بذلك ردءاً للمأمون ضد أخيه الأمين(٣) .

وكذلك كان في الجيش الذي قاده طاهر بن الحسين لحرب الأمين سبعمائة من الخوارزمية(٤)

هـ - قواد أتراك في جيش المأمون:

ولمع في جيش المأمون قائدان من قواد الأتراك، أحدهما: الأفشين (حيدر بن كاوس الأشروسني) الذي توجه إلى مصر على رأس جيش لردع المتمردين فيها، وقد نجح الأفشين في مهمته تلك(٥) .

---

(١) انظر الفصل الثاني من الباب الثاني.
(٢) انظر الفصل الثاني من الباب الثاني.
(٣) انظر الكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٦ ص ٢٢٩.
(٤) انظر الفصل الثاني من الباب الثاني.
(٥) انظر تاريخ الطبري ج١ ص ٦٢٥، ٦٢٧.
والولاة والقضاة - لأبي عمر الكندي - ص ١٨٥.

وأما الثاني: فأشناس، وهو الذي وجهه المأمون إلى حصن سندس على الحدود الإسلامية الرومية، لمحاربة الروم سنة ٢١٥هـ[١] .

و - آلاف الأتراك في جيش المأمون:

ولم يكن الأفشين وأشناس هما فقط التركيين الوحيدين في جيش المأمون فسحب، بل كان لدى المأمون أعداداً كبيرة من الأتراك، وكان أغلبهم يقودهم المعتصم أخو المأمون بنفسه، وقد ذهب المعتصم بأربعة آلاف من الأتراك سنة ٢١٤هـ لمصر لمجابهة المتمردين هناك[٢] .

وخلاصة القول: أن الأتراك قد بدأ نجمهم يظهر في الأفق منذ عهد المأمون، فظهروا في رئاسة الحرس، وفي الجيش كجنود نظاميين، ثم كقواد بارزين في جيش المأمون.

* * * * *

(١) انظر تاريخ الطبري ج٨ ص ٦٢٣.
والكامل في التاريخ - لابن الأثير - ج٦ ص ٢١٩، ٢٣٠.
(٢) انظر الولاة والقضاة - لأبي عمر الكندي - ص ١٨٨.

الأتراك في جيش المعتصم

* * *

أ - محاولة تكوين جيش خالص من الأتراك:

حاول المعتصم تكوين جيش من الأتراك الذين جلبهم من بلاد ما وراء النهر، وبذل في سبيل استقدامهم الأموال الطائلة[١] .

فقد بدأ بتمييز الأتراك عن سائر الجنود بعد انتقالهم إلى حاضرة الخلافة، فألبسهم أنواع الديباج والمناطق الذهبية[٢] .

ثم قام بإعدادهم حربياً داخل بغداد، فلما ضاقت بهم بغداد انتقل بهم إلى مدينة جديدة خاصة بهم هي سامراء[٣] .

ثم إن المعتصم قام بتنحية العرب عن ديوان العطاء، وفقد الثقة في الفرس، وجعل الترك في مكان الصدارة[٤] .

واستخدم المعتصم قوماً من حوف مصر، وغيرها، وسماهم المغاربة، لكن هؤلاء كانوا قلة لاتذكر إذا قيست بالأتراك[٥] .

وإزاء كل هذا استخدم المعتصم الأتراك في الجيش، وجعلهم عصبه، واهتم اهتماماً بالغاً بالجيش، وكان ينفق أكثر ما ينفق في أمر الحرب[٦] .

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء - للسيوطي - ص ٢٣٦.

(٢) انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ١٠، ١١.

ومروج الذهب - للمسعودي - ج٣ ص ٤٦٥.

(٣) انظر الفصل الثالث من الباب الثالث.

(٤) انظر الولاة والقضاة - لأبي عمر الكندي - ص ١٩٣.

(٥) انظر مروج الذهب - للمسعودي - ج٣ ص ٢٤٦.

(٦) انظر الخراج والنظم المالية - د. ضياء الدين الريس ص ٤٨٨.

أما قيادة الجيش، فقد كانت في يد الأتراك، فالأفشين كان قائد الجيش المتجه لمحاربة بابك وإخضاعه، وكذلك جعله المعتصم هو وأشناس وإيتاخ على رأس ثلاثة ألوية لفتح عمورية[١] .

ب - الأفشين - دراسة موضوعية:

الأفشين هو حيدر بن كاوس الأشروسني، و (الأفشين) لقب لملوك أشروسنة، وكان حيدر ابن ملك أشروسنة[٢] .

وكان الخليفة المأمون أثناء وجوده في خراسان يرسل رسله إلى نواحي بلاد ما وراء النهر لدعوتهم إلى الإسلام، ويقوم بترغيبهم فيكتب في الديوان من يرغب في الالتحاق به، وقد دخل في الإسلام كاوس والد حيدر، وكان عندئذ ملك أشروسنة[٣] .

ويبدو أن كاوس انتقل إلى خراسان، وظل هناك، وكذلك كان تحت راية طاهر بن الحسين عندما كان طاهر أمير خراسان، وقدم الأفشين حيدر بن كاوس إلى بغداد من خراسان، مع عدة من أبناء الملوك[٤] .

والتحق الأفشين بخدمة المأمون، ويبدو أن الأفشين كان ذا فطنة وذكاء، مما أهّله لأن يصبح من بين القواد البارزين بسرعة في عهد المأمون[٥] .

ويمكن لنا أن نلخص أعمال الأفشين منذ برز كقائد في عهد المأمون إلى أن قبض عليه المعتصم، وانطوت بذلك صفحة هذا القائد، لنصل في النهاية إلى معرفة مدى شفاعة أعماله هذه في التهم التي وجهها محمد بن عبد الملك الزيات، وأحمد بن أبي دواد إليه:

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ٥٧.

(٢) انظر إعجام الأعلام - لمحمود مصطفى - ط: (١٢٥٤هـ - ١٩٢٥م) الرحمانية - مصر ص ٦٧.

(٣) انظر فتوح البلدان - للبلاذري - ص ٤١١.

(٤) انظر تاريخ اليعقوبي - ج٣ ص ١٨٥.

(٥) انظر الفصل الثاني من الباب الثاني.

كانت **أول** الأعمال التي أظهرت نجم الأفشين هو توجهه لقمع إحدى الثورات التي قامت في مصر سنة ٢١٥هـ / ٨٣٠م، وقد نجح الأفشين في مهمته نجاحاً باهراً[١] .

وأما **ثاني** أعمال الأفشين فهومحاربة بابك الخرمي[٢] ، والظفر به والوصول به إلى سامراء، وقد تعب الأفشين في سبيل السيطرة عل بابك الذي كان يريد تغيير الملة ومحو الخلافة، وذلك لأن بابك كان يتحصن في جبال منيعة، وكانت تصعب مجابهته، وقد نجح الأفشين في الظفر ببابك رغم كل الصعوبات التي واجهته[٣] .

وثالث أعمال الأفشين البارزة: خروجه مع المعتصم كواحد من القواد الأربعة الذين كان لهم شرف فتح عمورية أحصن حصون الروم، وتلقين الروم درساً قاسياً[٤] .

ورابع أعمال الأفشين هو كشفه لمحاولة اغتيال الخليفة المعتصم نفسه، وجماعة من رؤساء الأتراك، فقد كشف عن ذلك التآمر الذي أبرمه العباس بن المأمون مع عجيف بن عنبسة للإطاحة بالمعتصم[٥] .

وخامس تلك الأعمال: تقلد الأفشين لمنصب رئيس الحرس الخاص بالمعتصم[٦] .

---

(١) انظر تاريخ الطبري - ج٨ ص ٦٢٥، ٦٢٧.
والولاة والقضاة - لأبي عمر الكندي - ص ١٨٥.

(٢) يجدر بنا أن نذكر هنا أن بند لي جوزي في كتابه (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ط : دار الروائع - بيروت - ص ٧٨) يعتبر أن حركة بابك الخرمي حركة اجتماعية، ذات أهداف اشتراكية سامية، ولا نعدم أن نجد رداً على استنتاجاته التي بنيت على غير أصول، وإنما على عدة افتراضات، ويكفي أن نشير إلى أن جوزي خلط في كلامه بين أفكاره وبين ما يدعى أنه فكر بابك.

(٣) انظرتاريخ الطبري - ج٩ ص ١٢، وما بعدها.
وإعجام الأعلام - لمحمود مصطفى - ص ٦٧.

(٤) انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ٧١ وما بعدها.
وتاريخ ابن خلدون - ج٣ ص ٢٦٢، وما بعدها.

(٥) انظر تاريخ الطبري - ج٩ ص ٧١، وما بعدها.

(٦) انظر المصدر السابق - ج٩ ص ١٠٣.

ولا شك أن هذه الأعمال جميعها كانت كفيلة بأن تجعل للأفشين حظوة ومكانة كبرى، ربما حسده عليها كثير من الناس.

ولذلك ذهب بعض الباحثين[1] إلى أن سبب اتهامه وحبسه هو حسد أحمد بن أبي دواد له، ووصل البعض إلى أن يقول: إن المعتصم نفسه حسده، لمكانته هذه، فأراد الإيقاع به، وهذا فيما يبدو شيئ مستبعد.

لقد كانت هناك ثلاثة أسباب دعت لحبس الأفشين:

الأول: إرساله أموالاً إلى أشروسنة بطريق سرية، وقد كشف ذلك الأمر عبد الله بن طاهر[2]

الثاني: مكاتبة المازيار بخلع عصا الطاعة، ومساندته إن فعل.

الثالث: مراسلته منكجور بغرض المخالفة والخروج على الخليفة.

وهناك سبب آخر داخلي، حيث بلغ المعتصم أن الأفشين يدبر لقتله وقتل عدة من قواد الترك، فجاء الأمر بحبسه.

على كل حال .. نحاول الآن عرض المحاكمة التي عقدت للأفشين ثم نجمل التعليقات عليها بعد ذلك إن شاء الله.

محاكمة الأفشين:

أ - عقوبة مؤذن وإمام من أشروسنة:

افتتح محمد بن عبد الملك الزيات المحاكمة بدعوة رجلين عليهما ثياب رثة فقال لهما: ما شأنكما؟

فكشفا عن ظهورهما، فإذا هي عارية من اللحم.

فقال ابن الزيات للأفشين: تعرف هذين؟

---

(١) انظر على سبيل المثال: العباسيون في التاريخ للدكتور على حبيبة - ص ٤١، وما بعدها.
وأزمنة التاريخ الإسلامي - للدكتور عبد السلام الترمانيني ج١ ص ٥٢٩.
(٢) انظر المصدر السابق ج٩ ص ١٠٧.

قال الأفشين: نعم.. هذا مؤذن، وهذا إمام ، بنيا مسجداً بأشروسنة فضربت كل واحد منهما ألف سوط، ذلك أن بيني وبين ملك السغد عهداً وشرطاً أن أترك كل قوم على دينهم وما هم عليه، فوثب هذان على بيت كان فيه أصنامهم - يعني أهل أشروسنة - فأخرجا الأصنام، واتخذاه مسجداً فضربتها على هذا ألفاً ألفاً لتعديهما ومنعهما القوم من بيعتهم.

ب - الإتهام بإحراز كتاب فيه كفر:

وعاد محمد بن عبد الملك الزيات ليسأل الأفشين، فقال له: ما كتاب عندك قد زينته بالذهب والجواهر والديباج فيه الكفر بالله؟

قال الأفشين: هذا كتاب ورثته عن أبي، فيه أدب من آداب العجم، وما ذكرت من الكفر، فكنت أستمتع منه بالأدب وأترك ما سوى ذلك، ووجدته محلى فلم تضطرني الحاجة إلى أخذ الحلية منه، فتركته على حاله ككتاب كليلة ودمنة، وكتاب مزدك في منزلك، فما ظننت أن هذا يخرج من الإسلام.

جـ - الإتهام بارتكاب أفعال مخالفة للشرع:

ثم تقدم المؤبذ[1] فقال: إن هذا كان يأكل المخنوقة ويحملني على أكلها ويزغم أنها أرطب لحماً من المذبوحة.. وكان يقتل شاة سوداء كل يوم أربعاء يضرب وسطها بالسيف يمشي بين وسطيها ويأكل لحمها، وقال لي يوماً: إني قد دخلت لهؤلاء القوم في كل شيء أكرهه حتى أكلت لهم الزيت، وركبت الجمل، ولبست النعل، غير أني إلى هذه الغاية لم تسقط عني شعرة يعني لم يطل ولم يختتن.

فقال الأفشين: خبروني عن هذا الذي يتكلم بهذا الكلام ثقة هو في دينه؟ وكان المؤبذ مجوسياً ثم أسلم بعد على يد المتوكل ونادمه - .

قالوا: لا.

---

(١) يظهر من هذه الرواية أن المؤبذ كان مجوسياً، وكان يسكن بجوار الأفشين، ولم توضح المصادر شيئاً عن سبب مجيء هذا الرجل إلى مجلس الحكم ومواجهة الأفشين بهذه الاتهامات، والظاهر أنه جيء به إما لتلفيق تهم للأفشين أو ليشهد علي الأفشين بحكم الجوار الذي بينهما.

قال: فما معنى قبولكم شهادة من لاتثقون به ولا تعدلونه؟

ثم أقبل على المؤيذ فقال: هل كان بين منزلي ومنزلك باب أو كوة تطلع عليّ فيها وتعرف أخباري منها؟

قال: لا.

قال: أفليس كنت أدخلك إليّ وأبثك سري وأخبرك بالأعجمية وميلي إليها وإلى أهلها؟

قال: بلى.

قال: فلست بالثقة في دينك، ولا بالكريم في عهدك إذ أفشيت على سراً أسررته إليك.

د - الاتهام بمكاتبة أهل أشروسنة للأفشين بصفته إله:

ثم تنحى المؤيذ، وتقدم المرزبان بن تركش.

فقالوا للأفشين: هل تعرف هذا؟

قال : لا.

فقيل للمرزبان: هل تعرف هذا؟

قال: نعم هذا الأفشين.

فقالوا: هذا المرزبان.

فقال له المرزبان: ياممخرق.. كم تدافع وتموه!!

فقال له الأفشين: ياطويل اللحية.. ما تقول؟

قال: كيف يكتب لك أهل مملكتك؟

قال: كما كانوا يكتبون إلى أبي وجدي.

قال: فقل.

قال: لاأقول.

قال المرزبان: أليس يكتبون إليك كذا وكذا - بالأشروسنية؟

قال: بلى.

قال: أفليس تفسيره بالعربية إلى إله الآلهه.. من عبده فلان بن فلان.

قال: بلى.

قال محمد بن عبد الملك الزيات: والمسلمون يحتملون أن يقال لهم هذا؟ فما أبقيت لفرعون حين قال لقومه ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[1].

قال: كانت هذه عادة القوم لأبي وجدي ولي قبل أن أدخل الإسلام، فكرهت أن أضع نفسي دونهم فتفسد علي طاعتهم.

فقال له إسحاق بن إبراهيم بن مصعب: ويحك ياخيذر[2] !! كيف تحلف لنا بالله فنصدقك ونصدق يمينك ونجريك مجرى المسلمين وأنت تدعي ما ادعى فرعون؟!!

قال: ياأبا الحسين.. هذه سورة قرأها عجيف على علي بن هشام، وأنت تقرؤها علي، فانظر من يقرؤها عليك؟

هـ - الإتهام بمكاتبة المازيار ودعوته للخروج على الخليفة:

ثم قدم المازيار - صاحب طبرستان - فقالوا للأفشين: تعرف هذا؟

قال: لا

قالوا للمازيار: تعرف هذا؟

قال: نعم، هذا الأفشين.

فقالوا له: هذا المازيار.

---

(١) سورة النازعات، الآية : ٢٤.

(٢) حيدر، وخيذر، كلاهما اسم واحد هو اسم الأفشين، وقد ورد في بعض المصادر بالنقط وفي الأخرى بدون النقط.

قال: نعم، قد عرفته الآن.

قالوا: هل كاتبته؟

قال: لا.

قالوا للمازيار: هل كتب إليك؟

قال: نعم .. كتب أخوك خاش إلى أخي قوهيار.

إنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيري وغيرك وغير بابك، فأما بابك فإنه بحمقة قتل نفسه، ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت فأبى حمقه إلاأن دلاه فيما وقع فيه.

فإن خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيري، ومعي الفرسان وأهل النجدة والبأس، فإن وجهت إليك لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة: العرب، والمغاربة، والأتراك.

والعربي بمنزلة الكلب، أطرح له كسرة ثم اضرب رأسه بالدبوس، وهؤلاء الذباب - يعني المغاربة - إنما هم أكلة رأس، وأولاد الشياطين - يعني الأتراك - فإنما هي ساعة حتى تنفذ سهامهم ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتي على آخرهم، ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم.

فقال الأفشين: هذا يدعي على أخيه وأخي. لاتجب عليّ. - يعني دعواه - ولو كنت كتبت إليه بهذا الكتاب لأستميله إليّ، ويثق بناحيتي كان غير مستنكر، لأني إذا نصرت الخليفة بيدي، كنت بالحيلة أحرى أن أنصره لآخذ بقفاه وأتي به إلى الخليفة لأحظى عنده كما حظى به عبد الله بن طاهر عند الخليفة.

ثم نحى المازيار.

د - الاتهام بعدم الاختتان:

ولما قال الأفشين للمرزبان التركشي ما قال، وقال لإسحاق بن إبراهيم ما قال زجره ابن أبي دواد، فقال له الأفشين: أنت ياأبا عبد الله ترفع طيلسانك بيدك فلا تضعه على عاتقك حتى تقتل به جماعة.

فقال له ابن أبي دواد: أمطهر أنت؟

قال: لا.

قال: فما منعك من ذلك وبه تمام الإسلام والطهور من النجاسة؟

قال: أو ليس في دين الإسلام استعمال التقية؟

قال: بلى.

قال: خفت أن أقطع ذلك العضو من جسدي فأموت.

قال: أنت تطعن بالرمح وتضرب بالسيف فلا يمنعك ذلك من أن تكون في الحرب وتجزع من قطع قلفة؟!

قال: تلك ضرورة تعنيني فأصبر عليها إذا وقعت، وهو شيء أستجلبه فلا آمن معه خروج نفسي، ولم أعلم أن في تركها الخروج من الإسلام.

فقال ابن أبي داود: قد بان لكم أمره، يابغا – لبغا الكبير أبي موسى التركي – عليك به[1] .

ملحوظات حول المحاكمة:

نستطيع من خلال المحاكمة التي سبق عرضها أن نلاحظ ما يلي:

أولاً: يبدو أن المؤذن والإمام كانا مخطئين، لأن العهد الذي أبرمه الأفشين مع ملوك السغد، والذي لم تشر المصادر إلى وقته ولا إلى أسبابه – هذا العهد فيه شرط معمول به عند المسلمين.

ومما يضع علامات استفهام حول اتهام الأفشين بضرب الإمام والمؤذن أنه لم يكن أمر هذين الرجلين معلوماً قبل وقت المحاكمة، ولا يُعلم متى جاءا، وشكوا الأفشين، كما لايعلم متى

---

(١) فضرب بغا بيده على منطقته فجذبها فقال: قد كنت أتوقع هذا منكم قبل اليوم، فقلب بغا ذيل القباء على رأسه ثم أخذ بمجامع القباء من عند عنقه، ثم أخرجه من باب الوزيرين إلى محبسه.

انظر تاريخ الطبري – ج٩ ص ١٠٧.

وتاريخ ابن خلدون – ج٣ ص ٥٧٠.

والكامل في التاريخ – لابن الأثير – ج٦ ص ٥١٣ – ٥١٦.

ضربهم الأفشين، وكذلك لم يكن هذا الاتهام من بين الأسباب التي دعت للقبض على الأفشين.

ورغم هذا الغموض، فإننا إذا سلمنا بصحة الواقعة، فإنه يمكننا القول: إن الأفشين قد أسرف في العقوبة التي فرضها على هذين الرجلين، لكن هذا لايعني أن يُلقى باللوم على الأفشين وحده، بل كان يجب أن يعلم أعضاء المحكمة خطأ الرجلين، ثم يتم حسابهما، إلا أننا لم نعثر على ما يشير إلى شيء من ذلك في المصادر المتاحة.

ثانياً: يُلاحظ أن المؤبذ الذي تقدم بمجموعة من الاتهامات للأفشين كان مجوسياً، فلماذا قبلت شهادة مجوسي، ورفضت شهادة الأفشين الذي هو على أسوأ الفروض مسلم في الظاهر؟

خصوصاً وأن الأفشين قد أفحم المؤبذ حين أثبت له من خلال الحوار الذي دار بينهما أنه غير مأمون في دينه، كما أن الأفشين قد لفت نظر المحكمة إلي أني هذا الرجل لاتجوز شهادته.

ثالثاً: يظهر من الحوار الذي دار بين المرزبان والأفشين أن المرزبان لم يقدم كتاباً واحداً من الكتب التي كان يراسل أهل أشروسنة بها الأفشين، كما لم يُعثر في بيت الأفشين على شيء من ذلك.

ثم إن رد الأفشين على المرزبان يحتمل أمرين: أولهما: أن يكون الأفشين لم يفهم حقيقة الإسلام، أو لم يتمكن الإسلام في قلبه، وثانيهما: أنه قد يكون منافقاً يظهر خلاف ما يبطن.

فإذا كان الأفشين يسكت على هذه المكاتبات حتى لايفسد طاعة أهل أشروسنة عليه في زعمه، فهذا خطأ في فهم الإسلام، وهذا الخطأ لايوجب القتل، وإذا كان منافقاً، فلا يقتل أيضاً، وإنما تكون عليه أحكام أخرى قد فصلتها كتب الفقه ليس هنا مجال بسطها.

رابعاً: أما مسألة مكاتبة الأفشين للمازيار، فمسألة يشوبها كثير من الغموض والخلط، وذلك لما يلي:

روى الطبري أن عبد الله بن طاهر لما قبض على المازيار بعد حروب شديدة وعده أن يسأل أمير المؤمنين الصفح عنه إذا أعطاه الكتب التي كاتبه بها الأفشين، فأعطاه إياها، فسلمها عبد الله إلى إسحاق بن إبراهيم ليسلمها إلى يد المعتصم، فلما حضر المازيار سأله المعتصم عن الكتب فلم يقر بها فأمر بضربه حتى مات وصُلب إلى جانب بابك[1].

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ٩٩، ١٠٠.

فهذا الذي رواه الطبري يناقض ما رواه بعد ذلك من اعتراف المازيار ومواجهته بالأفشين، وهذا أمر يضعف المسألة ويشكك في صحتها.

ومع هذا، فإننا إذا سلمنا بصحة مقابلة المازيار مع الأفشين ومناقشته، فإننا نرى أن المازيار لم يوجه اتهاماً للأفشين، كما أن الأفشين قد رد رداً مقنعاً على المازيار، حيث قال: إن مكاتبة أخي لأخيك لاتلزمنا، وأيضاً مما يشكك في المسألة أن المازيار لم يقدم كتباً للمحكمة، وإنما تكلم فقط عن كتاب واحد ليس بخط الأفشين، ولا موجه من الأفشين مباشرة.

خامساً: روى الطبري أن أحمد بن أبي دواد كان قد دعا الأفشين في دار العامة، فقال له: قد بلغ أمير المؤمنين أنك ياخيذر أقلف! قال: نعم، ولكن الأفشين لما ذهب إليه حمدون بن إسماعيل في محبسه ذكر له ما فعل ابن أبي دواد، وقال له: إن ابن أبي دواد قال ما قال ليفضحني أمام القواد والناس، ولكن الموت أحب إلى من أن أتكشف بين أيدى الناس، لكني ياحمدون إن أحببت أن أتكشف بين يديك حتى تراني، فعلت[1] .

ولاندري أكان رد الأفشين على ابن أبي دواد أثناء المحاكمة للتمويه وخوف الفضيحة؟ أم أن الأفشين كان أقلف بالفعل وأراد التقية.

ومع كل هذا، فإن مثل هذه القضية لاتخرج الإنسان من الملّة، وإنما هي من أمور العادات والفطرة.

وقبل أن نترك موضوع محاكمة الأفشين نورد هنا رسالة الأفشين إلى المعتصم لما اعتقله، وقد طلب أن يرسل له المعتصم ثقة من طرفه ليرسل له رسالة شفوية، فأرسل إليه حمدون بن إسماعيل، وقد كلفه الأفشين أن يقول للمعتصم ما يلي:

(قل لأمير المؤمنين: أحسنت إليّ وشرفتني وأوطأت الرجال عقبي، ثم قبلت فيّ كلاماً لم يتحقق عندك ولم تتدبره بعقلك!، كيف يكون هذا، وكيف يجوز لي أن أفعل هذا الذي بلغك!!

تخبر بأني دسست إلى منكجور أن يخرج وتقبله!

(١) انظر المصدر السابق ج ٩ ص ١١١.

وتخبر أني قلت للقائد الذي وجهته إلى منكجور، لاتحاربه واغدر، وإن أحسست بأحد منا فانهزم من بين يديه. أنت رجل قد عرفت الحرب، وحاربت الرجال، وسُسْت العساكر، هذا يمكن؟! رأس العسكر يقول لجند يلقون قوماً: افعلوا كذا وكذا!! هذا ما لا يسوغ لأحد أن يفعله، ولو كان هذا يمكن ما كان ينبغي أن تقبله من عدو قد عرفت سببه، وأنت أولى بي، إنما أنا عبد من عبيدك وصنيعك.

ولكن مثلي ومثلك ياأمير المؤمنين، مثل رجل ربى عجلاً حتى أسمنه وكبر وحسنت حاله، وكان له أصحاب اشتهوا أن يأكلوا من لحمه، فعرضوا له بذبح العجل فلم يجبهم إلى ذلك، فاتفقوا جميعاً على أن قالوا له ذات يوم: ويحك، لم تربى هذا الأسد؟ هذا سبع وقد كبر، والسبع إذا كبر يرجع إلى جنسه، فقال لهم: ويحكم هذا عجل بقر ما هو سبع!! فقالوا: هذا سبع، سل من شئت عنه، وقد تقدموا إلى جميع من يعرفونه، فقالوا له: إذا سألكم عن العجل فقولوا له: هذا سبع، فكلما سأل الرجل إنساناً عنه، وقال له: أما ترى هذا العجل، ماأحسنه! قال الآخر: هذا سبع، هذا أسد، ويحك! فأمر بالعجل فذبح.

ولكني أنا ذلك العجل كيف أقدر أن أكون أسداً؟

الله الله في أمري، اصطنعتني وشرفتني وأنت سيدي ومولاي. أسأل الله أن يعطف قلبك علي)[1] .

فهل شفعت هذه الرسالة للأفشين عند المعتصم؟

يبدو أن الرسالة قد جاءت بعد فوات الأوان، فلم يكن المعتصم بحاجة إلى شفاعة، فقد امتلأ قلبه حنقاً على الأفشين، وما هي إلا أيام حتى كان الأفشين معلقاً على باب العامة بسر من رأى بجوار جثة بابك الخرمي[2] .

فهل أخطأ الأفشين حتى أوصل نفسه إلى مصيره المحتوم؟ أم هل أخطأ المعتصم في حق

---

(١) انظر المصدر السابق ج ٩ ص ١١٢، ١١٣.

(٢) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٣٠٣.

قائده الأفشين، الذي قدم له أعمالاً بدونها ربما لم تقم للمعتصم قائمة؟

إذا تتبعنا حياة الأفشين لوجدناها حياة حافلة بالانتصارات، وبالتكريم من المعتصم، فهل شعر الأفشين برفعة مكانته، وجلالة قدره عند الخليفة، وحاول أن يستغل ذلك في التخلص من الخليفة، بل وليعيد الدين الأبيض للبلاد؟ هل شعر الأفشين بإمكانية ذلك؟

إننا رغم المحاكمة – التي لم نر من خلالها اتهاماً قوياً محكماً حول الأفشين – لانستطيع الحكم على الأفشين بأنه كان يريدها مجوسية. فالمحاكمة كانت في أغلبها مجرد إلصاق تهم دون البحث عن مدى صحة انتساب هذه التهم للأفشين، ولم تكن المحكمة مستعدة لأن تقبل أي دفاع، بدليل زجر ابن أبي دواد للأفشين عندما تكلم بشدة مع المرزبان، ومع إسحاق بن إبراهيم.

ونستطيع أن نستنتج من هذه المحاكمة أن الأفشين كان جندياً فيه بطولة وقوة، وأنه لم تكن همته إلاأن يصل إلى أعلى مراتب الدولة، ولذلك لما عهد إليه الخليفة بحرب بابك الخرمي لم يتلكأ ولم يتردد حتى قضى عليه لتكون له بذلك الزلفى عند الخليفة[١] .

ويبدو أن أغلب أصحاب الأماكن البارزة، والقواد البارزين في حياة المعتصم كانوا يحنقون على الأفشين الذي ذاع صيته، وارتفعت منزلته لدى الخليفة، وربما حسدوه على ذلك.

ومما يدلنا على أن الكثيرين نفسوا على الأفشين مكانته وحسدوه ما رواه أبو حنيفة الدينوري من أن أحمد بن أبي دواد وَجَد على الأفشين لكلام بلغه عنه، فأشار على المعتصم أن يجعل الجيش نصفين، نصفاً مع الأفشين، ونصفاً مع أشناس، ففعل المعتصم ذلك، فوجد الأفشين منه وطال حزنه واشتد حقده.

فقال أحمد بن أبي دواد للمعتصم: ياأمير المؤمنين، إن أبا جعفر المنصور استشار أنصح الناس عنده في أمر أبي مسلم، فكان من جوابه أنه قال: (ياأمير المؤمنين، إن الله تعالى يقول: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)[٢] فقال له المنصور: حسبك. ثم قتل أبا مسلم.

فقال له المعتصم: أنت أيضاً حسبك ياأبا عبد الله، ثم وجه إلى الأفشين فقتله[٣] .

---

(١) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية – للشيخ محمد أبو زهرة – ص١٤٨، ١٤٩.

(٢) سورة الأنبياء ياية (٢٢).

(٣) انظر الأخبار الطوال – لأبي حنيفة الدينوري – ص ٤٠٥، ٤٠٦.

القيادات التركية في جيش الواثق

* * *

كان الجيش في عهد المعتصم قد انقسم إلى قسمين كبيرين على رأس كل قسم قائد تركي، وبإيعاز من أحمد بن أبي دواد عاد الجيش تحت راية أشناس فقط، وتم القضاء على الأفشين[١]

ومن المعلوم أن أشناس التركي كان قد اشتراه المعتصم قبل خلافته، وكان أحد غلمانه، ثم التحق بجيش المأمون، وترقى في المناصب إلى أن أصبح في آخر عهد المعتصم أكبر القواد وكان على رأس إحدى الفرق التي فتحت عمورية[٢] .

ولما جاء الواثق خليفة استقبل خلافته بتتويج أشناس وتكريمه، وأبلغ في ذلك إلى الحد الذي أمّر الواثق أشناس على غرب الخلافة الإسلامية[٣] .

ثم مات أشناس سنة ٢٣٠هـ، وخلفه في جميع أعماله إيتاخ[٤] ، الذي كان الواثق قد أمره قبل ذلك على شرق الخلافة[٥] .

ولم يكن إيتاخ التركي هو وحده القائد البارز في حياة الواثق، بل كان هناك قواد آخرون لهم شهرة كذلك، منهم بغا الكبير، الذي ذاع صيته في انتصاراته على المتمردين في أراضي الحجاز واليمامة[٦] ، ومنهم وصيف التركي الذي كان قد حارب الأكراد الذين تمردوا في مناطق أصبهان والجبال وفارس، وانتصر عليهم[٧] .

---

(١) انظر المصدر السابق – نفس الصفحة.

(٢) انظر إعجام الأعلام – لمحمود مصطفى – ص ٦٥.

والقاموس الإسلامي – لأحمدعطية الله – ج١ ص ١١٨.

(٣) انظر تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(٤) كان إيتاخ غلاماً خزرياً لسلام الأبرش، وكان طباخاً، فاشتراه المعتصم سنة ١٩٦هـ، ورفع مكانته لما رأى فيه من نجابة وفروسية، وكان واحداً من القواد البارزين.

انظر إعجام الأعلام – لمحمود مصطفى – ص ٦٨.

(٥) انظر تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٢٠٤ – ٢٠٦.

(٦) انظر تاريخ الطبري ج٩ ص ١٣٠، ١٤٦.

(٧) انظر المصدر السابق – ج٩ ص ١٤٠.

وخلاصة القول: إن الأتراك قد تطور نفوذهم في الجيش في العصر العباسي الأول، فبعد أن كانوا قلة لا وجود لها يذكر في الجيش التحقوا بالجيش، وتزايد وجودهم، ثم أصبحوا هم عنصر الجيش الأساسي، وملكوا قيادة الجيش، وبدأت تتنقل القيادة بينهم، وهذا هو أقصى نفوذ لهم.

* * * * *

خاتمة البحث

* * *

لقد ظهر لنا من خلال العرض السابق لموضوع (الأتراك والخلافة في العصر العباسي الأول) عدة نتائج يمكن إيجازها في النقاط التالية.

١- إن جذور الأتراك الأولى ترجع إلى قبيلة تسمى (ترك)، وقد استطاعت هذه القبيلة السيطرة على جميع القبائل الناطقة بالتركية، لتجعل من اسم (الترك) الخاص بها اسماً عاماً لكل الناطقين بالتركية.

٢- لايوجد رأي قاطع حول سبب تسمية الترك بهذا الاسم، وإنما هناك عدة افتراضات.

٣- إن المواطن الأولى للأتراك كانت عند تخوم الصين، ثم إنه بعد أن بنى الصينيون سداً لمجابهة اعتداءات الأتراك المتكررة عليهم انساح الترك في أواسط آسيا، واستقر أغلبهم في بلاد ما وراء النهر، وأصبحت هذه البلاد بعد ذلك موطناً لهم.

٤- إن بلاد ما وراء النهر التي تتكون الآن من ست جمهوريات تحت الاحتلال الروسي، كانت تتبع إداريا إقليم خراسان، كما أن ما وراء النهر شهدت أكبر حركة استقدام للأتراك إلى أرض الخلافة الإسلامية وبخاصة في عهد المعتصم.

٥- كانت هناك علاقة بين الترك والفرس، وبخاصة الساسانيون، وكانت هذه العلاقة تتسم تارة بالعداء، وتارة أخرى بالود إلى درجة المصاهرة، وقد فسر لنا هذا سبب نجدة الأتراك لآخر ملوك الفرس الساسانيين (يزدجرد) الذي فر أمام الجيوش الإسلامية.

٦- لقد كان لصفات الأتراك الخلقية والخلقية، وكذلك لعاداتهم قبل الإسلام أثر كبير في حياتهم داخل أرض الإسلام ولقد كان من أهم سماتهم الفروسية، فلما دخلوا الإسلام أظهروا مهارة حربية فائقة بحكم عاداتهم، وبما اكتسبوه من مبادئ سامية على رأسها مبدأ الجهاد في سبيل الله.

٧- كان أول لقاء حربي بين المسلمين والترك في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا اللقاء قد حسم العلاقة بين الطرفين، لأن تراجع الترك وشعورهم بالهزيمة كان إيذاناً بغزوهم وفتح بلادهم.

٨- في أواخر الخلافة الراشدة لم تكن بلاد ما وراء النهر، وأجزاء كبيرة من فارس قد

تمتعت بالاستقرار التام تحت حكم المسلمين.

٩- إن الفتوحات الإسلامية لبلاد ما وراء النهر في عهد الأمويين قد انقسمت إلى ثلاث مراحل، المرحلة الأولى: ما قبل قتيبة بن مسلم، وكانت هذه المرحلة بمثابة التمهيد، ثم جاءت مرحلة فتوحات قتيبة، حيث اتسعت في هذه المرحلة رقعة البلاد المفتوحة، وتم السيطرة عليها، فلما كانت المرحلة الثالثة وهي ما بعد قتيبة بن مسلم انحسرت السيطرة على البلاد المفتوحة لوجود الفتن والاضطرابات المتكررة في هذه المناطق.

١٠ – لقد تعددت الروايات حول أول من عبر نهر جيحون من المسلمين ودخل بلاد ما وراء النهر، وكان سبب ذلك اختلاف العهود، واختلاف الجهات التي عبر منها المسلمون.

١١- إن أول من استخدم الأتراك في الجيش الإسلامي هو عبيد الله بن زياد وذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان عندما اتخذ عبيد الله ألفين من خيرة رماة الترك في جيشه، جاء بهم من بخارى بعد غزوها.

١٢- كان لبلاد ما وراء النهر أثر كبير في نجاح الدعوة العباسية السرية.

١٣- إن معركة (طراز) التي حدثت في عهد السفاح بين الصينيين والمسلمين في بلاد ما وراء النهر قد حسمت قضية تدخل الصين في أمور ما وراء النهر، وأصبحت السيطرة الحقيقية على هذه المناطق للمسلمين.

١٤- لم تكن بلاد ما وراء النهر أرضاً مستقرة لكثرة الفتن والثورات بها، وقد عاملها أبو مسلم الخراساني بقسوة وعنف، ولذلك لم يأسفوا على موته، ولم تظهر منهم ثورات تطالب بثأره مثلما حدث من الخراسانيين.

١٥- نتيجة للاضطرابات التي كانت مستمرة في بلاد ماوراء النهر أرسل الخليفة المهدي وفدين لهذه البلاد، الأول مهمته نشر الدعوة الإسلامية في ربوع تلك المناطق، والثاني لمعرفة مدى اعتراف أمراء هذه المناطق بسلطة الخلافة العباسية عليهم، وقد نجح الوفدان في مهمتيهما.

١٦- لما تولى الفضل بن يحيى البرمكي إمارة خراسان في عهد الرشيد اتخذ بها جنداً من الأتراك، وأرسل أعداداً منهم إلى بغداد.

١٧- لقد كان للفتنة التي حدثت بين الأمين والمأمون أثر في ظهور الأتراك على مسرح

الأحداث.

١٨- وفد الأتراك بطرق متعددة في عهد المأمون، الذي استخدمهم في شئون الدولة المختلفة وأدخلهم الديوان، وكان من بين الأتراك من وصل إلى رئاسة الحرس الخاص، ومنهم من كان من القواد البارزين في الجيش.

١٩- دفعت المعتصم عوامل عدة أدت إلى تزايد الوجود التركي في عهده، من هذه العوامل تلك الصفات المشتركة بين الأتراك وبين المعتصم، وكذلك دور أمه التركية في جلب الأتراك، وفقد الثقة في الجنود العرب والفرس، وغير ذلك.

٢٠- استخدم المعتصم الأتراك على مراحل عدة، بدأها بتمييزهم بزي خاص، ثم بالإعداد الحربي، ثم الالتحاق في الحرس الخاص والحجابة، ثم في الجيش وشئون الدولة الأخرى.

٢١- كانت مظاهر اهتمام المعتصم بالأتراك كبيرة جداً مما أدى إلى تزايد نفوذهم داخل الدولة.

٢٢- تطور نفوذ الأتراك في عهد المعتصم من كونهم خدماً إلى كونهم حرساً، إلى جنود في الجيش، إلى إسناد إدارة بعض الولايات إليهم.

٢٣- لقد ضاقت بغداد على الأتراك، وكثرت الشكوى فابتنى المعتصم سامراء حاضرة جديدة للخلافة، وانتقل إليها بأتراكه، وأقطعهم فيها القطائع مما جعل نفوذ الأتراك أقوى، وسيطرتهم أكثر فاعلية.

٢٤- وكان لسامراء مكانة خاصة بين كل من الكوفة والحيرة والأنبار (الهاشمية) وبغداد وهي العواصم الإسلامية المختلفة في العصر العباسي الأول.

٢٥- لقد تزايد النفوذ التركي في عهد الواثق، الذي كان امتداداً لأبيه في سياسة استخدام وتكريم الأتراك.

٢٦- لقد ظهر مع نهاية العصر العباسي الأول تزايد النفوذ التركي، الذي انتهى بأن يكون نصف عدد مجلس الشورى الذي يقوم بعملية اختيار الخليفة الجديد من الأتراك.

٢٧- إذا كانت الحياة السياسية داخل الدولة الإسلامية قد تأثرت بوجود الأتراك، فإن موارد الدولة قد تأثرت كذلك بوجودهم، مما دفع المعتصم إلى تنحية العرب عن ديوان العطاء، ودفع

الواثق إلى مصادرة أموال الكتاب؛ لرفع الحرج عن ميزانية الدولة.

٢٨- لقد أثرت الثقافة الإسلامية على سلوك الأتراك السياسي داخل الدولة، ودليلنا على ذلك موقف وصيف التركي من محمد بن الواثق، عندما رُشّح لمنصب الخليفة حيث ذكر أنه لاتجوز معه الصلاة، فكيف تجوز إمامته للمسلمين؟

٢٩- كان من بين الأتراك قواد برزوا منذ التحاقهم بالدولة العباسية، وكان على رأس هؤلاء قائد يدعى الأفشين، وقد اتهم هذا القائد بالخيانة العظمى، وعقدت له محكمة، لم تكن منصفة الإنصاف الكامل، وهذا يرجع لأسباب شخصية لدى هيئة المحكمة.

٣٠- تطور نفوذ الأتراك في الجيش في العصر العباسي الأول، فبعد أن كان الجيش مع بداية هذا العصر يتكون من عنصرين أساسيين هما العرب والفرس، انضم إليهم عنصر ثالث هو الأتراك، ثم أخذ هذا العنصر التركي يترقى إلى أن أصبح منه بعض قواد الجيش، ثم أصبح الجيش تركياً خالصاً، جنوداً وقواداً مع نهاية العصر العباسي الأول.

٣١- وأخيراً.. نحن لانعفي المعتصم ولا ابنه الواثق من جزء من الخطأ، لأنه مما لاشك فيه أن الأتراك جاءوا للمحافظة على أمن الدولة داخلياً وخارجياً بالدرجة الأولى، وليس لتسيير نظام الحكم.

وإذا كان المعتصم قد أكرم الأتراك وبالغ في ذلك وتبعه ابنه الواثق، فإن هذا الإكرام ما كان يعني أن يطلق الأتراك أيديهم في الحياة السياسية إلى حد اختيار الخليفة.

فالأتراك حربيون، والجندي الذي قد تعود الحياة العسكرية، والحكم العسكري بما فيه من ضبط وربط وحزم وربما قسوة وغلظة وظلم، هذا الجندي لايصلح أن يباشر الحياة الاجتماعية وتكون في يده مقاليد الأمور داخل الدولة، لأنه لم يتعود على الحياة المدنية التي تختلف كثيراً عن تلك الحياة العسكرية.

هذا ، وأمل أن أكون قد وفقت إلى إضافة شيء جديد إلى المكتبة التاريخية، والله من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل.

فهرس المصادر والمراجع

* * *

ملحوظات:

١- المصادر أو المراجع المذكورة هنا هي التي اعتمد عليها هذا البحث ووردت في ذيل صفحاته، أما المراجع الأخرى التي أسهمت بطريق غير مباشر فلم تذكر في هذه القائمة.

٢- الطريقة التي اتبعت في تنظيم هذه القائمة بنيت على اعتبار أسماء الكتب أولاً، ثم عرض اسم المؤلف كاملاً.

٣- الحرف (ط) يرمز إلى الطبعة أو المطبعة.

٤- أثبتنا أسماء المصادر والمراجع بالترتيب الألفبائي، مع عدم اعتبار الملحق (ال).

٥- إذا اتفق اسم المصدر أو المرجع مع آخر، أثبتناه بترتيب المؤلفين مع عدم اعتبار الملحقات (ابن - ال).

حرف الهمزة

١- الآثار الباقية من القرون الخالية:
لأبى الريحان البيرونى (٤٤٠هـ)
تحقيق: سخاو
ط: (١٨٧٨م) ليبسك.

٢- آثار البلاد وأخبار العباد:
لزكرياء بن محمد بن محمود القزوينى (١٢٨٣هـ)
ط: (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) - دار صادر ، دار بيروت - بيروت.

٣- إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء:
للشيخ محمد الخضرى بك.
ط: الإستقامة بمصر - نشر المكتبة التجارية الكبري.

٤-أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم:
لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء الشامى المقدسى المعروف بالبشارى (نبغ سنة ٣٧٥هـ).
ط: (١٩٠٦م) - بديل - ليدن.

٥- الأخبار الطوال:
لأبى حنيفة أحمد بن داود الدينورى (٢٨٢هـ).
تحقيق: عبد المنعم عامر.
ط: (١٩٦٠م) - الأولي - الحلبى - سلسلة تراثنا.

٦- أزمنة التاريخ الإسلامي:
للدكتور عبد السلام الترمانينى.
مراجعة وتحقيق: الدكتورين شاكر مصطفي وأحمد مختار العبادى.
ط: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب.

٧- الأدب التركي المعاصر:
مجلة عالم الفكر - الإسلام والترك فى العصور الوسطي : مجلة عالم الفكر.

٨- إعجام الأعلام:
لمحمود مصطفى.
ط: (١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م) الرحمانية - مصر.

٩- الأعلام:
قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين.
لخير الدين الزركلي.
ط: (١٩٨٠م) - الخامسة - دار العلم للملايين - بيروت.

١٠- الأغاني:
لأبي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين (٣٥٦هـ - ٩٧٦م).
مصور عن طبعة دار الكتب - مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت.

١١- الإمامة والسياسة:
لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (الدينوري) (٢٧٦هـ).
ط: الحلبي - القاهرة.

١٢- الإنباء في تاريخ الخلفاء:
لمحمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (٥٨٠هـ).
تحقيق وتقديم ودراسة: الدكتور قاسم السامرائي.
ط: (١٩٧٣م) - ليدن - نشريات المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية (١)
القاهرة.

حرف الباء

١٣- البداية والنهاية في التاريخ:
للحافظ عماد الدين أبي إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ).
ط: السعادة - مصر.

١٤- بغداد في عهد الخلافة العباسية:
لـ : كي لسترنغ.
ترجمة: بشير يوسف فرنسيس.
ط: (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م) المطبعة العربية - بغداد.

١٥- البــــلدان :
لأحمد بن واضح اليعقوبي (٢٨٤هـ).
ط: (١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م) الثالثة - المطبعة الحيدرية - النجف.

١٦- البـــــلدان :
لأبي بكر أحمد بن محمد الهمداني - المعروف بابن الفقيه.
ط: (١٣٠٢هـ) - ليدن.

١٧- بلدان الخلافة الشرقية:
لـ : كي لسترنج.
ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد.
ط: (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م) - الرابعة - المجمع العلمي العراقي - بغداد.

حرف التاء

١٨- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي:
للدكتور حسن إبراهيم حسن.
ط: (١٩٥٨م) الرابعة - مكتبة النهضة المصرية.

١٩- التاريخ الإسلامي - الدولة العباسية (المجلد الخامس):
لمحمود شاكر.
ط: (١٩٨٦م) - المكتب الإسلامي - بيروت.

٢٠- التاريخ الإسلامي العام (الجاهلية - الدولة العربية - الدولة العباسية):
للدكتور علي إبراهيم حسن.
ط: مكتبة النهضة المصرية.

٢١- تاريخ بغداد أو مدينة السلام:
لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ).
نشر دار الكتاب العربي - بيروت.

٢٢-تاريخ الترك في آسيا الوسطى:
لفاسيلي فلاديمروفتش بارتولد.
ترجمة: الدكتور أحمد السيد سليمان، ومراجعة: أحمد صبري.

ط: (١٩٥٨م) مكتبة الأنجلو المصرية.

٢٣- تاريخ التمدن الإسلامي:

لجورجي زيدان

تعليق: الدكتور حسين مؤنس.

ط: (١٩٥٨م) دار الهلال - مصر.

٢٤- تاريخ الخلفاء:

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ).

تحقيق: الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد.

ط: (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) - الرابعة - المكتبة التجارية الكبرى، والفجالة الجديدة - مصر.

٢٥- تاريخ خليفة بن خياط:

لخليفة بن خياط.

تحقيق: أكرم ضياء العمري.

ط: (١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م) الأولى - الآداب - النجف.

٢٦- تاريخ دول الإسلام:

لرزق الله منقريوس الصوفي.

ط: (١٣٤٤هـ - ١٩٢٣م) الهلال - مصر.

تاريخ الدولة العباسية = محاضرات تاريخ الأمم.

٢٧- تاريخ الرسل والملوك (المسمى بتاريخ الطبري):

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ).

تحقيق: الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم.

ط: دار المعارف - الرابعة.

٢٨- تاريخ الشعوب الإسلامية:

لكارل بروكلمان.

ترجمة: منية أمين فارس، ومنير البعلبكي.

ط: (١٩٧٧م) - السابعة - دار العلم للملايين - بيروت.

٢٩- تاريخ العرب:

للدكتور فيليب حتي، وجبرائيل جبور، وادورد جرجي.

ط: (١٩٥٨م) - الثالثة - دار الكشاف - بيروت.

١- الآثار الباقية من القرون الخالية:

لأبي الريحان البيروني (٤٤٠هـ)

تحقيق: سخاو

ط: (١٨٧٨م) ليبسك.

تاريخ ابن العمراني = الإنباء في تاريخ الخلفاء.

تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار البشر.

٣٠- تاريـــخ المذاهب الإســـلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية:

للشيخ محمد أبو زهرة.

ط: دار الفكر العربي - القاهرة.

تاريخ ابن الوردي = تتمة المختصر في أخبار البشر.

٣١- تاريخ اليعقوبي:

لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح - الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي (٢٨٤هـ).

ط: (١٣٥٨هـ) - المكتبة الرضوية - النجف.

٣٢- تتمة المختصر في أخبار البشر (المسمى تاريخ ابن الوردي):

لزين الدين عمر بن الوردي (٧٤٩هـ)

تحقيق : الأستاذ أحمدرفعت البدراوي.

ط: (١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م) دار المعرفة - بيروت.

٣٣- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف:

للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي (٧٤٢هـ).

تحقيق : عبد الصمد شرف الدين، وإشراف: زهير الشاويش.

ط: المكتب الإسلامي - بيروت.

٣٤- تحفة الوزراء:
لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى (٤٢٩هـ).
تحقيق: حبيب علي الراوى، والدكتورة ابتسام مرهون الصفار.
ط: (١٩٧٧م) العانى - بغداد - من مطبوعات وزارة الأوقاف العراقية - سلسلة إحياء التراث الإسلامى (٢٤).

٣٥- تركستان .. قلب آسيا:
لعبد العزيز جنكيز خان.
ط: (١٩٤٥م) الجمعية الخيرية التركستانية.

٣٦- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي:
لفاسيلى فلاديميروفتش بارتولد.
نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم.
ط: (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) الكويت.

٣٧- تطور نظام الوزراة من بداية العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري:
لسامية توفيق عبد الله.
رسالة ماجستير لجامعة القاهرة سنة ١٩٧١م.

٣٨- تقويم البلدان:
لعماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبى الفداء صاحب حماة (٧٣٢هـ).
عنى بتصحيحه وطبعه: ريغود والبارون ماك كوكين ديسلان.
ط: (١٨٤٠م) دار الطباعة السلطانية - باريس.

٣٩- التنبية والإشراف:
لأبى الحسن علي بن الحسين المسعودى (٣٤٥هـ).
تصحيح ومراجعة: عبد الله إسماعيل الصاوى.
ط: (١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م) المكتبة العصرية - بغداد.

٤٠- التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول:
لمجاهد مصطفى.
رسالة دكتوراة لجامعة الأزهر سنة ١٩٧٥م.

حرف الثاء

٤١- ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد:
للأستاذ أحمد علبى.
ط: (١٩٦١م) - الأولي - مكتبة الحياة - بيروت.

حرف الجيم

٤٢- الجامع لأحكام القرآن:
لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (٦٧١هـ).
ط: دار الشعب - مصر.

٤٣- جمهرة أنساب العرب:
لأبى محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسى (٣٨٤ - ٤٥٦هـ)
تحقيق: إ. ليفى بروفنسال
ط: دار المعارف - الثانية

حرف الحاء

٤٤- حاضر العالم الإسلامي:
للأمير شكيب أرسلان.
ط: (١٩٧٣م) دار الفكر العربى - بيروت.

٤٥- الحالة العلمية في صدر الدولة العباسية:
لمحمد السيد أحمدإسماعيل خليفة.
رسالة دكتوراة لجامعة الأزهر.

٤٦- حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري (دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية):
للدكتور شكرى فيصل.
ط: (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م) الخانجى - مصر.

٤٧- حقائق الأخبار عن دول البحار:
للميرلاى إسماعيل سرهنك.
ط: (١٣١٢هـ) الأولي - بولاق.

حرف الخاء

٤٨- الخراج والنظم المالية للدولة:

للدكتور محمد ضياء الدين الريس.

ط: دار الأنصار - القاهرة.

٤٩- الخراج وصناعة الكتابة:

لقدامة بن جعفر (٣٢٩هـ).

شرح وتعليق: الدكتور محمد حسين الزبيدى.

ط: (١٩٨١م) دار الرشيد للنشر - العراق - سلسلة كتب التراث (١١٠).

كتب التراث (١١٠).

خطط المقريزى = المواعظ والاعتبار.

حرف الدال

٥٠- دائرة المعارف الإسلامية:

لمجموعة من المستشرقين.

ترجمة أحمد الشناوى وإبراهيم زكى خورشيد وعبد الحميد يونس.

مراجعة: د. مهدى علام.

توزيع: دار الفكر للطباعة والنشر - القاهرة.

٥١- مقال: لمحة تاريخية وجنسية عن الترك (مادة الترك) :

بقلم: بارتولد.

٥٢- مقاله عن (تركستان) مادة تركستان:

بقلم : بارتولد.

٥٣- مقال عن (نهر جيحون):

بقلم: بول.

٥٤- مقال عن نهر (سيحون):

بقلم: بارتولد.

٥٥- دراسات في التاريخ الإسلامي من العصر العباسي إلى قبيل العصر الحاضر:
للدكتور محمود محمد زيادة.
ط: (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) دار التأليف - مصر.

٥٦- دراسات في تاريخ العرب (العصر العباسي الأول):
للدكتور السيد عبد العزيز سالم.
ط: مؤسسة شباب الجامعة.

٥٧- دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل البيت (دراسة تحليلية لحياته وشعره):
للدكتور عبد الكريم الأشتر.
ط: (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) الثالثة - دار الفكر - دمشق.

٥٨- دول الإسلام:
للحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي (٧٤٨هـ).
ط: (١٣٦٤هـ) - الثانية - دار المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن.

٥٩- دولة الخلافة العباسية:
للدكتور زكي محمد غيث.
ط: (١٣٨٠هـ - ١٩٦١م) - عطايا - باب الخلق - مصر.

حرف الذال

٦٠- الذخائر والتحف:
للقاضي الرشيد بن الزبير (ق: الخامس الهجري).
تحقيق: لادكتور محمد حميد الله، ومراجعة الدكتور صلاح الدين المنجد.
ط: (١٩٥٩م) - الكويت - سلسلة التراث العربي (١).

حرف الراء

٦١- رحلة ابن جبير:
لابن جبير.
تحقيق: الدكتور حسين نصار.
ط: دار مصر للطباعة - بدون تاريخ.

٦٢- رسائل الجاحظ (الرسالة الأولى: مناقب الترك):
لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)
تحقيق الأستاذ: عبد السلام محمد هارون.
ط: الخانجي - القاهرة.

حرف الزاي

٦٣- زهر الآداب وثمرة الألباب:
لأبي إسحاق إبراهيم بن على الحصرى القيرواني (٤٥٣هـ).
شرح وضبط: زكي مبارك.
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
ط: (١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م) - الثالثة - المكتبة التجارية الكبري.

حرف السين

٦٤- سامراء في أدب القرن الثالث الهجري:
ليونس أحمد السامرائي.
ط: (١٩٦٨م) - الإرشاد - بغداد.

٦٥- سمط النجوم العوالي في انباء الأوائل والتوالي:
لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (١٠٤٩ - ١١١١هـ).
ط: (١٣٨٠هـ) - القاهرة.

٦٦- سير أعلام النبلاء:
للحافظ شمس الدين أب عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي (٧٤٨هـ).
تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومجموعة.
ط: (١٤٠٣هـ) - الثانية - مؤسسة الرسالة - بيروت.

حرف الشين

٦٧- شبهات حول العصر العباسي الأول:

للدكتور مؤيد فاضل ملا رشيد.

ط: (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) - الأولى: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - سلسلة نحو عقلية إسلامية واعية (٦).

٦٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب:

لأبى الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد المعروف بابن العماد الدمشقى الحنبلى (١٠٨٩هـ).

تحقيق: لجنة إحياء التراث العربى فى دار الآفاق الجديدة - بيروت.

ط: (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) الثانية - دار المسيرة - بيروت.

٦٩- شرح القاموس: المسمى: تاج العروس من جواهر القاموس:

لمحب الدين أبى الفيض السيد محمد مرتضي الحسينى الواسطى الزبيدى الحنفى.

ط: (١٣٠٦هـ) الأولي - الخيرة - الجمالية - مصر.

٧٠- الشعر والشعراء:

لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)

ط: (١٩٠٢م) بريل - ليدن.

٧١- الشعوبية وأثرها الاجتماعي في الإسلام:

للدكتورة زاهية قدورة.

ط: دار الكتاب المصرى.

حرف الصاد

٧٢ - صبح الأعشي فى صناعة الإنشا :

لأبى العباس أحمد بن علي القلقشندى (٨٢١هـ - ١٤١٨م).

نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية - ط: وزراة الثقافة والإرشاد القومى - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٧٣- صورة الأرض:
لأبي القاسم ابن حوقل النصيبي (٣٦٧هـ).
ط: (١٩٣٨م) الثانية - ليدن.

حرف الطاء

٧٤- الطريق إلى المدائن:
للأستاذ / أحمد عادل كمال.
ط: دار النفائس - بيروت.

حرف الظاء

٧٥- ظهر الإسلام:
للأستاذ أحمد أمين. ط: مكتبة النهضة المصرية.

حرف العين

٧٦- العباسيون الأوائل (٩٧هـ/ ٧١٦م - ١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، دارسة تحليلية للفترة الأولى من لعصر العباسي الأول منذ بدء الدعوة العباسية حتى بداية عهد الرشيد:
للدكتور فاروق عمر.
ط: دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

٧٧- العباسيون في التاريخ:
للدكتور علي حبيبة.
ط: (١٩٨٠م) مكتبة الشباب - القاهرة.

٧٨- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المسمى (تاريخ ابن خلدون):
لعبد الرحمن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (٨٠٨هـ).
بتعليق الأمير شكيب أرسلان - ط: (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م)- المكتبة التجارية الكبرى بفاس وتطوان - المغرب.
ط: (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت.

٧٩- عجالة المبتدى وفضالة المنتهى:

للحافظ أبي بكر محمد بن أبي عثمان الحازمي الهمداني.

تحقيق: عبد كنون (عضو مجمع اللغة العربية).

ط: (١٣٩٣هـ ٠ ١٩٧٣م) الثانية - مجمع اللغة العربية - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

٨٠- العصر العباسي الأول:

للدكتور عبد العزيز الدوري.

بدون تاريخ.

٨١- العقد الفريد:

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ): شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري.

ط: (١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م) - الثالثة - لجنة التأليف والتراث والنشر.

٨٢- العلاقات بين العرب والصين:

لبدر الدين حى الصيني.

ط: (١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م) - الأولي - مكتبة النهضة المصرية.

٨٣- العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية:

لمصطفي عباس الموسوي.

ط: (١٩٨٢م) - دار الرشيد للنشر - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - العراق - سلسلة دراسات (٢٩٥).

٨٤- عيون الأخبار.

لأبي محمد بعد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ).

ط: (١٩٢٥ - ١٩٣٠م) - دار الكتب المصرية - القاهرة.

حرف الغين

٨٥- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني:

ليحيي بن الحسين بن اقاسم بن محمد بن علي (١٠٣٥ - ١١٠٠هـ).

تحقيق وتقديم: الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة الدكتور محمد مصطفي زيادة.

ط: (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.

حرف الفاء

٨٦- فتوح البلدان:

لأحمد بن يحيي بن جابر البلاذري.

ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

٨٧- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية:

لمحمد بن على بن طباطبا، المعروف بابن الطقطقى.

ط: الرحمانية بمصر - عنى بنشره محمود توفيق الكتبى - دار إحياء الكتب العربية.

حرف القاف

٨٨- القادسية:

للأستاذ أحمد عادل كمال.

ط: دار النفائس - بيروت.

٨٩- القاموس الإسلامي:

للأستاذ: أحمدعطية الله.

٩٠- القاموس المحيط:

لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى.

ط: مؤسسة الحلبى - القاهرة.

٩١- قتيبة بن مسلم الباهلي:

لبسام العسلى.

ط: (١٩٨٥م) السادسة - دار النفائس - بيروت.

سلسلة مشاهير قادة الإسلام (٣).

٩٢- القرب في محبة العرب:

لزين الدين عبد الرحيم العراقى (٨٠٦هـ - ١٤٠٣م).

تحقيق: الأستاذ أحمد حلمى القادرى.

ط: (١٣٨١هـ - ١٩٦١م) الإسكندرية - نشر: عادل محمد البهى، وعبد السلام محمد سعيد - سلسلة الكتب القديمة (١).

حرف الكاف

٩٣- الكامل في التاريخ:
لعز الدين أبى الحسن علي بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير (٦٣٠هـ).
ط: (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) دار صادر - بيروت.

٩٤- كنتم خير أمة أخرجت للناس (أولئك آبائي) - الجزء الخامس: الحروب عند العرب:
لخير الله طلفاح.
ط: بغداد، بدون تاريخ.

حرف اللام

٩٥- اللطائف السنية في الممالك اليمنية:
لبدر الدين محمد بن إسماعيل العلوى.
مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٢٣ كُتب سنة ١٣٠١هـ.

٩٦- لطائف المعارف:
لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى (٤٢٩هـ).
تحقيق: دى يونغ.
ط: (١٨٦٧م) - ليدن.

حرف الميم

٩٧- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (عشرة أجزاء):
لأستاذنا الدكتور / أحمد شلبى.
ط: مكتبة النهضة المصرية.
الجزء الثاني - ط: السابعة.
الجزء الثالث - ط: الثامنة.

٩٨- موسوعة مقارنة الأديان (أربعة أجزاء) - الجزء الثاني (المسيحية):
لأستاذنا الدكتور / أحمد شلبى.
ط: مكتبة النهضة المصرية.

٩٩- مآثر الإنافة في معالم الخلافة:
لأحمد بن عبد الله القلقشندى (٨٢١هـ).
تحقيق: عبد الستار أحمد فراج.
ط: (١٩٦٤م) الكويت - سلسلة التراث العربى (١١).

١٠٠- مآثر الكبراء في تاريخ سامراء:
للشيخ ذبيح الله المحلاتي.
ط: (١٣٦٨هـ) - الزهراء - النجف.

١٠١- مجلة الدراسات الأدبية:
يصدرها قسم اللغة الفارسية بالجامعة اللبنانية.
مقال (بوذا والبوذية) - بقلم : علي أصغر حكمت.

١٠٢- مقال: (زرادشت وأصول الديانة الزرادشتية):
بقلم : الدكتور محمد محمدى.

١٠٣- مقال (ماني وديانته) :
بقلم: الأستاذ السيد حسن تقى زاده.

١٠٤- مجلة الرسالة الإسلامية:
تصدرها كلية الشريعة - جامعة بغداد.
مقال عن (الراوندية - من الحركات الهدامة فى الإسلام).
بقلم الدكتور قحطان عبد الرحمن الدورى.

١٠٥- مجلة عالم الفكر:
مقال عن (الأدب التركى المعاصر) .
بقلم الأستاذ: إبراهيم الواقوقى.
العدد (١) سنة ١٩٨٢م.

١٠٦- مقال عن (الإسلام والترك في العصور الوسطى):
بقلم الأستاذ: سعد زغلول نصار.
المجلد العاشر سنة ١٩٨٠م.

١٠٧- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية):
للمرحوم الشيخ محمد الخضرى بك.
ط: الخامسة - مكتبة الإستقامة - القاهرة.

١٠٨- مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي:
لسيد أمير على.
ترجمة: الأستاذ رياض رأفت.
ط: (١٩٣٨م) - القاهرة.

١٠٩- مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس:
للشيخ ظهير الدين علي بن محمد البغداد المعروف بابن الكازرونى (٦١١ - ٦٩٧هـ).
تحقيق: الدكتور مصطفى جواد.
ط: (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) المؤسسة العامة للصحافة والطباعة - بغداد - سلسلة كتب التراث (١٨).

١١٠- المختصر في أخبار البشر، المسمى تاريخ أبي الفداء:
لعماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبى الفداء - صاحب حماة (٧٣٢هـ).
ط: (١٣٢٥هـ) القاهرة.

١١١- مروج الذهب ومعادن الجوهر:
لأبى الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودى (٣٤٦هـ).
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ط: (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) دار المعرفة - بيروت.
ط: دار صادر - بيروت.

١١٢- مسالك الممالك:
لأبى إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الإصطخرى المعروف بالكرخى.
ط: (١٩٤٧م) بريل - ليدن.

١١٣- المسلمون في الإتحاد السوفيتي عبر التاريخ:
للدكتور محمد علي البار.
ط: الأولى - دار الشروق - القاهرة.

١١٤- المسند:
للإمام أحمد بن حنبل الشيبانى.
ط: دار صادر، والمكتب الإسلامى - بيروت.

١١٥- مصر في عهد الطولونيين والأخشيديين:
للدكتور حسن أحمد محمود، والدكتورة سيدة الكاشف.
ط: (١٩٥٠م) - القاهرة.

١١٦- معاهد التعليم في العصر العباسي الأول:
لأبى العينين محمد أبى العينين نجم.
رسالة دكتوراة لجامعة الأزهر سنة ١٩٢٧م.

١١٧- معجم البلدان:
لشهاب الدين أبى عبد الله ياقوت الحموى (٦٢٦هـ)
مراجعة: وزارة المعارف العمومية.
ط: دار إحياء التراث العربى - بيروت - سلسلة الموسوعات العربية.

١١٨- معجم البلدان:
لشهاب الدين أبى عبد الله ياقوت الحموى (٦٢٦هـ).
ط: دار صادر.

١١٩- المعجم الوسيط:
أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
ط: المكتبة العلمية - طهران.

١٢٠- مقاتل الطالبيين:
لأبى الفرج الأصفهانى (٣٥٦هـ).
ط: (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) الثانية - مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم - إيران.

١٢١- مقدمة ابن خلدون:
لعبد الرحمن محمد بن خلدون الحضرمى المغربى (٨٠٨هـ).
ط: التقدم - القاهرة.

١٢٢- الملل والنحل:
لعبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى (٥٤٨هـ)
ط: (١٩٧٦هـ) - مصطفى البابى الحلبى - القاهرة.

١٢٣- من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام:

لبندلى جوزى.

ط: دار الروائع - بيروت.

١٢٤- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بخطط المقريزي):

لأحمد بن علي المقريزى (٨٤٥هـ).

ط: (١٩٥٩م) - مكتبة إحياء العلوم.

١٢٥- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب (باكستان الحالية) في عهد العرب:

للدكتور عبد الله مبشر الطرازى.

ط: (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) عالم المعرفة - جدة.

حرف النون

١٢٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:

لجمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (هـ).

ط: (١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م) - الأولي - دار الكتب المصرية - القاهرة.

حرف الواو

١٢٧- الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول:

للدكتور / محمد ماهر حمادة.

ط: (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) - الرابعة - مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٢٨- الوزراء والكتاب:

لأبى عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى (٣٣١هـ)

تحقيق: مصطفي السقا وزملائه.

ط: (١٩٣٨م) القاهرة.

١٢٩- وفيات الأعيان وأنباء الزمان:

لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان (٦٨٧هـ).

تحقيق: الدكتور إحسان عباس.

ط: دار صادر - بيروت.

فهرس الموضوعات

الأتراك والخلافة في العصر العباسي الأول.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٩٤/٢١٥٢
I.S.B.N
977-5476-07-0

مطبعة الشروق A.1 بالفيوم ت: ٢٢١٨٨١ ـ ٥ ٣٢ / ٨٤٠

Summary

The First native land of the Turks was at the borders of China, then most of them gathered in the land that existed Beyond the River of Oxos which became their native land.

The Turks had many qualities and habits before Islam, the most important of them was their Fame as horsemen. and that quality had a great effect on their behaviour inside the Islamic country and the Islamic nation later on whereas their role in the army which was really big.

The first military meeting between the Muslims and the Turks took place when the last Percian King "Yazdagerdd" asked for their help at the time of Omar Ibn El Khattab and it was for the victory of the Muslems over the Turks at that time that was the first step to invade them in their land.

Then the relation between the muslems and the Turks had developped when the Arab conquest to the land beyond the River of Oxos (the native land of the Turks) started during the Ommaid period and then it was Obaid Allah Ibn Ziad (in the Caliphate of Moaweya Ibn Abe Sefian) who employed The turks in the Islamic army.

Very near before the end of The Ommaid period the Abbaside Secret call began to Spread in Persia and Khorasan land and the land beyond the River of Oxos and that call succeeded in those regions.

By the beginning of the Abbaside caliphate there had been many troubles and revolutions in the land beyond the River and the First Abbaside Caliphs had tried to dominate and to overcome those lands and that lasted till the time of "ALMAHDI" who thought that the domination over those lands and the overcoming of those troubles required:

First: Spreading the Islamic Call in those regions.

Second: to Know, to what extent was the confession of the governors (Ameers) of those reigns of the Abbaside claiphate authority over them. And it happened that Almahdi Succeeded in both the two matters that most of those regions and their governors embraced Islam.

By the begining of "Alrasheed" time some Turks began to move in the capital of the caliphate and succeeded to join the palace of the Caliph and to join th army.

Then it was a big point for them that "Almamoun" collected a lot of them around him during his war against his brother "ALAMEEN".

And when "Almotasim" became the caliph he called in the Turks from the land beyond the River at very large numbers and paid a lot for this. He also cared for them greatly and prepared them at a high level and built a new city for them that was called Samarraa and moved he and the Turks to it.

The Turks then began to establish and fix their places in ghe army and to promote gradually until they became the generals of

the army and even the whole army was almost Turks, moreover Almotasim gave them the position of Ameer of Gorernor on Some regions.

And when Alwatheq- the son of Almotasim took over he continued his father policy toward the turks that he got them very near to him, honoured them and gave them the highest positions and those were the reasons that the Turks became the ones who had the real authority in those lands.

Then it was the greatest power that the Turks reached when they had the ability and the force to choose the new caliph and even to change him, and that happened when they proposed to turn the caliphate from Mohamed Ibn Alwatheq who was young to his uncle Al motawakkel.

Lastly it was the utmost influence that the Turks had when they dominated every thing as for the country or for the caliph himself. They Killed the caliphs and put others forward and no one had an effect on them.